

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



مَكْتَبُكَ

خمسة وخمسين شهراً في مخبئي

بقلم صاحبها

محمد شكري الكرداوي

ليسانسيه في التربية والآداب

— (حقوق الطبع محفوظة لصاحب المذكرات) —

الطبعة الأولى يناير عام ١٩٣٦



صورة صاحب المذكرات
صورت في أول المحرم عام ١٣٥٤ هـ
الموافق ٤ ابريل عام ١٩٣٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ

(قرآن كريم)

المقدمة

نهضت الأمة المصرية وقطعت لاستكمال نهضتها مراحل بعضها أقوى من بعض حتى اشتد ساعدها عام ١٩١٩ وأصبحت تستهين بالصعاب والشدائد فامتحنها الدهر بحوادث القبض والاعتقالات ونفى الزعماء فلم يكن ذلك فيها إلا بوقاً نفخ في صفوفها روح الصبر على المكاره والعمل على تدعيم جانب المقاومة وبذلك انقضى أو كاد عهد البث ومجرد الشكوى والتغنى بالآمال وحل عهد الرقابة الفعالة والمحاسبة الدقيقة وهذه مرحلة كبرى لنفسية الأمة هي المرحلة التي من الحتم اللازم قطعها على كل أمة تنشد العظمة والفلاح .

جرى ذلك لحدث على أثره أن اختلفت مظاهر الحياة السياسية في مصر وانقلبت آياتها وصورها رأساً على عقب ومن أمثلة ذلك أن كانت وجهة نظر الشعب في السياسة الخارجية تطابق وجهة نظر المشاهدين في المسارح للروايات التمثيلية . فما كان اهتمامنا ينصرف

بكلياته إلا نحو تتبع الأخبار الخارجية للأمم فمن كان منها عت إلينا
بعلاقة ما هللنا له وكبرنا حين ظفـره ومن كان خصما له خاصمناه أو
كان حليفاً له صافيناه وإلى هذا الحد كانت تقف مشاعرنا وأفكارنا
ولم تتجاوزـه إلى الأمور الخاصة بنا كأمة مستقلة تمام الاستقلال .

أما اليوم فقد أصبحنا بفضل نهضتنا السياسية والاجتماعية قوامين
على تصاريـف شئوننا مدققين في حركات زعمائنا مفكرين يجد وهمـة
فيما يصلح لنمو مدنيتنا وإسعادنا في سائر أمورنا .

أصبح الانكليز يحسبون لوجودنا حساباً . أصبحت الأمم
الأخرى تعتبرنا عنصراً حياً بينها . أصبح الوزراء يخشون حساب الأمة
العسير . أصبح الأعيان يرهـبون الرأي العام . أصبحت المدارس يوتأ
وطنية وحقولا لغرس بذور الفضائل ولا سيما الشجاعة الأدبية بعد
أن كانت أما كن لبث الترهات والأضاليل في نفوس النشء وتكـييلها
بمختلف القيود وصب العقوبات على رأس من يتغنى بأناشيد الاستقلال
وعظمة الوطن . أصبح الموظفون أكثر تعففاً وأبعد عن التملق
والمرآة . أصبح علماء الدين أقرب إلى قول الحق والتـنزه عن مجارة
أغراض الحكام . أصبح العمال أكثر اتحاداً وأجراً طلباً لحقوقهم
المهضومة . أصبح الطلبة المتغربون أكثر طلباً للعلم واقتصاداً للمال .
أصبح الأغنياء أشد سخاء وأعظم اهتماماً بالمشروعات المفيدة . وأصبح
المستقبل أمام الصغار أسطع ضياء وأكثر تفاؤلاً . وبالجملـة صارت
فروع الحياة المصرية أبهى منظراً وأنبـل مقصداً مما كانت عليه قبل
الانقلاب الأخير . والفضل كله في ذلك لا ريب راجع إلى مظهر

الاتحاد والاستهانة بالشدائد ، ذلك المظهر الذى بدا من الأمة أخيراً خلافاً جاذباً فصب النفوس فى قالب آخر من القوالب الاجتماعية بعد أن طهرها من جراثيم الأوهام الباطلة أوهام التشبث بالحياة على أية صورة كانت وأبان للناس بطريقة عملية أن الحكومات لا يشتد ساعدها فى الظلم إلا من جراء ضعف الشعوب وانكماشها عن مجابهة الشدائد وأن الأمم القوية لا تقبض بيد من حديد على عنق الأمم الضعيفة إلا لأن العامل الأكبر فى ذلك يرجع إلى استسلام الضعيفة وتحاذلها أكثر مما يرجع إلى بطش القوية وجبروتها .

كم كتب الكتاب الأفاضل وخطب الخطباء المصاقف زمناً طويلاً ، فلم يقدمنا ذلك إلا خطوة قصيرة ، ومازلنا على ذلك حتى تقدم سعد باشا زغلول عام ١٩١٩ أمام أمته بجرأة بز بها من تقدمه من الزعماء على ما لهم من فضل ومقام وصار يصدر المنشورات تلو المنشورات مذيلة بتوقيعه وتوقيع أنصاره ، ثم هزأ بالصعاب رغم ضعفه وشيخوخته ولما قبض عليه خلفه سادة كرام حذوا حذوه وثبتوا ثباته . ثم بدأ نفر فى الاعتصاب ضد الحماية الباطلة . فكانت كل هذه الفصول العملية مجتمعة هى الموقعة الفاصلة بين القديم من نفسية الشعب والجديد منها ، إذ هب الشعب على أثرها قائلاً : إذا كان لا بد من الموت فما أجمله أن يكون فى سبيل الوطن . وإذا كان لا بد من الحياة فما أعزها حرة مستقلة . ولا مشاحة فى أن اقتران الأقوال بالأعمال ذلك المظهر الذى كان شعار تلك الفترة من تاريخ مصر استطاع أن ينظف الجو من سائر

المخاوف أمام الشعب الراقد المنكمش وأن يرفع روحه من حماة الصغار إلى قمة المجد والفخار ..

إن مقالة في الصحف في بلادنا هذه لا يقرأها إلا المتعلمون وهم قليلون ولا يتمتع بها إلا النزر اليسير من هذه الأقلية . أما اتحاد علم ونهضة شاملة فظهر أن عمليان يراها الجهلاء والعلماء والصغار والكبار وربات الخدور والسفور ، يراها كل هؤلاء بدرجة واحدة وفي وقت واحد ، فيكشفانهم بأسرارهما ويطالعانهم بمرامهما بلا عناء ولا إبهام ويستمد كل فرد منهما لعقله ضياء ولقلبه سنادا بنصيب كنصيب سواه . ومن هنا كان زمن هذه الحوادث العملية في بلادنا رغم سيادة الأمية هو ذلك الزمن الذي تغنى فيه بنشيد الوطنية أطفال الأزقة وبنات المنازل وسيدات الحجر ، وصارت الوطنية وكره الأجني الغاصب ومعاداة الحاكم الظالم والمطالبة بالحياة الدستورية عقائد هبطت في النفوس إلى القرار ، فارتفع منها صوت يسمع واضحا جليا لا لبس فيه ولا خفوت ...

لم يتلق الشعب هذه المبادئ والآمال من موسوعات الحكمة لأنه لا يعرف لغتها ، وإنما كانت اللغة التي يعرفها هي اللغة التي تخاطب بها العيون والآذان ، وليست هي اللغة التي يخاطب بها العقل المتعلم . فلما سمعت الآذان ورأت العيون ذلك المظهر الخلاب المنبعث من نور النهضة تساءل الناس ما ذا في الأمر فأجيبوا : إن هناك حقوقا يجب استردادها ، إن هناك زعماء أهيئ وأسروا لأنه يمثلنا ، فصار كرامته جزءا لا يتجزأ من كرامة الأمة ، وصار الدفاع من أجله حتما مقضيا .

سمع العامة بأسرهم هذا الجواب ، وما كان الذي سمعوه سوى صوت الطبيعة وإلهاماتها ، فأذعنوا له وهم لا يدرون كيف تغفل في معقولاتهم ، إذ أن تعاليم النهضة لا تدخل إلى النفوس إلا كالشعاع ما يكاد ينبعث حتى يسطع ضياؤه في الأرجاء كافة . أما تعاليم العلماء ومقالات الكتاب الخاوية من روح العمل فلا تلقى سبيلها إلى القلوب إلا الفينة بعد الفينة ، ولشد ما سرى تيار التقليد والحماسة على إثر ذلك إلى النفوس عامة فارتبطت وثيقا بالمطالب السامية :

جلاء الاحتلال — البرلمان — السودان

عض الشعب بالنواخذ في ظرف عام واحد على هذه المطالب وتقلص عنه شبح الوهم الذي كان يقيم في النفوس فيعقل الألسنة عن التصريح بها ويهاجم القلوب فيملؤها رعبا ومذلة ، وما كان هذا الوهم إلا صنما صقلته يد الأناية في الأحقاب الغابرة . وقديما كان الكتاب يبحثون عن المعول الصلد الذي يحطم ذلك الصنم من القلوب فلم يوفقوا حتى إذا ما لمعت سيوف النهضة في آفاق مصر بهية وضاحة وضربت رقاب الخوف مفرية صداعة ، عثر الناس على ذلك المعول مصادفة بغير عناء ووجدوه مخبوءا تحت ظلال الاتحاد وحوادث النهوض والاستبدال .

محمد شكري الكرداوي

لمحة من تاريخ حياتى قبل حادث الاختفاء

ولدت

بمدينة المنصورة فى يوم ٤ اكتوبر عام ١٨٩٤ وأنتمت
الدراسة الابتدائية بها والدراسة الثانوية بالاسكندرية ،
ثم سافرت إلى الآستانة فى عام ١٩١٣ والتحقت بكلية الطب الشاهانية ،
وفى صيف عام ١٩١٤ عدت إلى بلدتى المنصورة لتمضية العطلة الصيفية ،
وأنا على نية الأوبة إلى الآستانة إذا ما انقضت العطلة الصيفية . ولم
أكن أدرى أننا على أبواب حرب عظمى سوف تلتهم نيرانها العالم
بأسره . فلما وقعت الحرب حيل بينى وبين العودة إلى الآستانة فطاب
لى المقام بمدينة المنصورة حيث كنت . وفى يوم ١٨ ديسمبر عام ١٩١٤
روعت مصر باعلان الحماية البريطانية عليها رغم إرادة أهلها ، وقد
استساغت قلة من أنبائها حصول هذا العدوان بل وساهموا فيه وجرت
بعض الشئون على أيديهم ، فأثار هذا الحادث فى نفسى كل مقت
وكرامية وقابلته بعقد نيتى على أن أكون أول فداء فى سبيل الاحتجاج
الفعلى ضد الحماية الباطلة ومن قبلوها ، وأقدمت على تنفيذ النية ، واحتاج
الأمر الى شراء مسدسات والتمرن على ضرب النار ، فتجولت فى الريف

أبحث عن ضالتي وساعدني في ذلك ابن خالتي حضرة عبد الحميد افندى اسماعيل ، واشترى لى عدداً من مسدسات لا بأس بها ولكنها من الطراز القديم وترددت على بلدة ييلا غربية ، وأطلقت كثيراً من الطلقات من المسدسات والبندقيات في فترات مختلفة ، بمعاونة حضرة عبد الرحمن افندى النشاوى الذى عرفنى به ابن خالتي المذكور .

وسافرت إلى القاهرة قبيل تتويج السلطان حسين كامل لضربه برصاص المسدس يوم التتويج ، وأقمت بطرف أحد الاخوان وتركت المسدسات بمنزله ، فأرسل إلى أهلى خطاباً ينبئهم فيه بالخبر فحضر أخى على الفور ومعه بعض الأقارب وأكثروا من التهديد باخطار البوليس إذا لم اعد معهم فى الحال ، وكان حاضراً معنا وقتئذ حضر تاحمد افندى أمين منصور * وسلامه افندى محمد الخولى فعدت مع أقاربي إلى المنصورة وأجلت التنفيذ الى فرصة أخرى أنتهزها على حين غرة منهم .

وبينما أنا جالس بمنزلى بالمنصورة بعد ذلك بأيام قليلة إذ حضر إلى حضرة محمد افندى محمد خليل واستوضحنى الخبر فسر دته عليه فى كثير من الحماسة وإلهاب الشعور فما كان منه إلا أن قابل كلاي بالموافقة التامة نحو الفكرة وباحساس شريف نحوى شخصياً وقال لى أنا فداء لك وللوطن وأنا بالنيابة عنك أنفذ ذلك وما عليك إلا أن تأمر وترمم ما تريده من الخطط .

* اقرأ فى ذيل الكتاب تقريراً مقدماً بخط يد حضرة محمد افندى أمين منصور شارحاً فيه ما رآه وما سمعه بنفسه وقتئذ وهذا التقرير منقول الى هذا الكتاب بالزئكغراف

ومحمد افندى محمد خليل هذا هو ابن عمى شقيقة والدى وكان يعيش معنا فى معيشة واحدة منذ وفاة والدته وكانت لى شبه رياسته أدبيه عليه لكونه لم يتعلم إلا تعليماً بسيطاً بالمنزل ولم يلتحق بمدرسة ما فى حياته . أما أنا فكنت طالباً بمدرسة عالية ، وقد لحظت عليه فى أيام سابقة سرعة انقياده لرغباتى والتحدث بالاعجاب بى وقت أن كنت غائباً عنه فى الآستانة ، وكان يرأسنى فيبث فى السطور ما يشير إلى هذا الاعجاب . وكان الذى يزور غرفته الخاصة يرى على الحائط إطاراً بديعاً يجمع فى زواياه الأربع صورة مصطفى كامل باشا وصورة على فهمي كامل بك وصورة محمد فريد بك وصورتي . وكان له ولع كبير منذ الصغر بقراءة القصائد الحماسية وحفظ ما يعجبه منها عن ظهر قلب وكذلك بالتنديد بأعمال الاستبداد والاحتلال . فلجميع هذه الظروف لم أرتب فى إخلاصه لى واستعداده الكامل لتنفيذ ما أثير عليه به بمجرد أن قال لى ما قال . وبدأ يتمرن على ضرب النار فى طى السكتمان ومن عجيب الظروف أنى وفقت فجأة الى الحصول على مسدسات من طراز بروننج كان أحد الألمان ويدعى موريس جلدنبرج وهو قومسيونجى حدايد ألمانية باعها قبل الحرب الى حضرة صديقى المفضل عبد اللطيف افندى لطفى سيد احمد * تاجر الحدايد بالمنصورة ولما علم عبد اللطيف افندى منى بالغرض من البحث عن مسدسات تبرع لى بها ورفض أن يتناول لها ثمنها ما .

* اقرأ فى ذيل الكتاب تقريراً مقدماً بخط يد حضرة عبد اللطيف افندى يشرح فيه ما حصل وقتئذ وقد نقل التقرير إلى هذا الكتاب بالزئكغراف

تمرّن محمد افندى خليل بهذه المسدسات تمرّنا كبيراً وكنت أخرج معه بعيداً عن المنصورة في الحقول والمقابر حتى حذق الرماية وكنت أنا في أثناء ذلك أتحدث كثيراً أمام أقاربي عن ضعف أعضائي وأنتى بحاجة إلى التداوى بعمرقة أحد مشاهير الأطباء بالقاهرة . وأخيراً سافرت أنا و خليل افندى من المنصورة إلى القاهرة في أبريل عام ١٩١٥ وركبنا القطار عن طريق طنطا وركبنا هو عن طريق الزقازيق . وفي القاهرة أقمت أنا بمنزل ابن عمّة لى أخرى وهو حضرة مراد افندى أمين . ولم يكن يعلم من الأمر شيئاً سوى أننى حضرت إلى القاهرة للمعالجة بعيادة الدكتور حامد شاكر بك بالقبة الخضراء ورأى بنفسه أذهب كل يوم معه الى الطبيب المذكور لأعالج بأخذ حقن للتقوية .

أما محمد افندى خليل فأقام بفندق المؤيد بشارع كلوت بك . وفي يوم الخميس الموافق ٨ ابريل بوغت الناس بخبر اطلاق المرحوم محمد خليل افندى مسدسه على السلطان حسين كامل عقب اجتياز السلطان ميدان عابدين في عربته قاصداً ميدان الاوبرا ، ولكن الرصاصة لم تحترق إلا كبوت العربّة على بعد سنتيمتر واحد فقط من جسم السلطان ، كما ذكر ذلك في أثناء المحاكمة . وكان المسدس محوطاً بالأزهار والورد على شكل طاقة ، وذلك تقليداً للحالة التي كان عليها مسدس برنزيب الصربي الذي قتل ولي عهد النمسا في بلدة سراييفو فأشعل بقتله نيران الحرب العظمى عام ١٩١٤ ، فإنه أشيع وقتئذ أن مسدسه كان بهذا الوصف ، وكانت هذه الاشاعة عالقة بذهنى فذكرتها ل خليل افندى ، وكان المسدس

نفسه صغيرا جدا فسهل دسه وسط الورد ، وبعد أن أطلق خليل افندى مسدسه قبض عليه في الحال .

كان السلطان راكبا عربة وكانت أمام العربة كوكبة من الفرسان وخلفها جنود شاهرون سيوفهم بأيديهم وبجانب العربة اليوزباشى ابراهيم خيرى افندى شاهراً سيفه فهجم خليل افندى على عربة السلطان في وسط السيوف وما كاد يطلق أول عيار نارى حتى هوى اليوزباشى خيرى افندى بسيفه على رأسه فشططر طربوشه شطرين وجرحه في رأسه جرحاً بليغاً وفي الحال قبض أحدهم بشدة على يد خليل افندى حتى تسلمه البوليس وذهب به الى قسم عابدين .

أعقب ذلك تفتيش واسع النطاق بمدينة المنصورة قبضوا في أماناته على جميع أقاربه وعلى أنا بالقاهرة . ولم يقل المرحوم خليل افندى شيئاً في التحقيق سوى ما كنا قد اتفقنا عليه بمخذافيه . وبعد أن سألت النيابة العمومية الدكتور حامد شاكر بك وتلقت منه رداً بأننى كنت أتردد على عيادته كل يوم للمعالجة بالحقن ، لم تجد وجهها لاستمرار حبسى وصدر الأمر بالافراج عنى في ١٠ أبريل وكذلك عن أخى وصهرى اللذين قبض عليهما وأتى بهما من المنصورة الى القاهرة .

وقد حوكم المرحوم خليل افندى أمام محكمة عسكرية بريطانية في يوم ٢٠ أبريل عام ١٩١٥ ، ومن أقواله أمام المحكمة المذكورة قوله :
(أنا الآن أعطى حياتى لأخو ذلك العار العظيم الذى سجله علينا التاريخ*)

يريد بالعار سكوت الامة عن القيام بحركة فعلية ضد الحماية الباطلة واكتفائها بالهمسات يهمس بها فى الآذان

وذكرت جميع الصحف أن الطبيب البريطاني الذي انتدب لفحصه قال في الجلسة ان المتهم أعرب له عن أسفه لأن ضربته طاشت ، وذكر له مرارا أنه اذا أطلق سراحه يعود الى ارتكاب جريمته .

ورقة اتهام خليل افندى

إنه في يوم الخميس الموافق ٨ ابريل عام ١٩١٥ وما قبله ، صمم وتصور ودبر بجنون وتعمد وخيانة ، أن يسبب موت صاحب العظمة السلطان حسين كامل الحاكم على مصر تحت قوة الحماية البريطانية . وقد أظهر تدبيره هذا الفاسد وخيائته وفساد تصميمه بمكرات وأعمال . ذلك أنه لكي ينفذ نياته الشريرة أطلق الرصاص في شارع عابدين في يوم ٨ ابريل على صاحب العظمة السلطان حسين من مسدسه بقصد قتل عظمته غدرا مخالفا لذلك واجب الخضوع ومخلا بالنظام ومحتقرا للأحكام العسكرية المعلنة بمصر بأمر حكومة جلالة الملك بمنشور اعلانها الصادر يوم ٢ نوفمبر عام ١٩١٤ .

فليحاكم أمام محكمة عسكرية *

ونشر قلم المطبوعات المصرى في ٢١ ابريل عام ١٩١٥ البلاغ الآتى وقد أذيع في جميع الصحف وهو :

(حكم المجلس العسكرى بالاعدام شنقا على محمد خليل الذى حاول اغتيال عظمة السلطان ، وقد أقر على هذا الحكم اللفتنت الجنرال السير

• يلاحظ أن لهجة ورقة الاتهام تشبه لهجة منشورات نابليون بونابرت التى كان يذيعها فى مصر أيام حملته عليها حول عام ١٨٠٠ ميلادية .

جون مكسويل قائد جيوش جلالة ملك بريطانيا العظمى في القطر
المصري ()

وقد نفذ الاعدام في الساعة الثامنة صباحا من يوم السبت ١٠
جمادى الثانية سنة ١٣٣٣ هـ الموافق ٢٤ ابريل عام ١٩١٥ وعند تنفيذ الحكم
أدار وجهه إلى الحاضرين وتبسم ورفع يده إلى جبهته وقال السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته (عليه رحمة الله الواسعة)

وقد نشطت أعمال التجسس بعد ذلك بمدينة المنصورة وروقب
شبانها جميعا مراقبة دقيقة ، وصار منزلى يفتش بين آن وآخر على حين
غرة ، وراقبتى السلطة العسكرية بعين ساهرة ونبه على بعدم مغادرة
المنصورة في أى وقت إلا بعد إخطار البوليس بذلك ، وأخيرا أكرت
السلطة من اعتقالى . فى ٨ اغسطس عام ١٩١٥ قبض على وأرسلت إلى
سجن الاستئناف بمصر ، ثم إلى سجن الحدراء بالاسكندرية ، وأفرج
عنى فى ٢٢ منه ، وفى ٢٩ منه أمرت السلطة العسكرية بالقبض على
وأرسلت بغير سؤال إلى سجن الاستئناف بمصر ، وفى أول سبتمبر
عام ١٩١٥ نقلت الى معتقل درب الجمايز ، وفى يوم ١٨ سبتمبر عام
١٩١٥ نقلت الى معتقل طره ، وفى ١٨ يناير عام ١٩١٦ نقلت الى معتقل
الجزيرة ولبثت فيه حتى أفرج عنى فى يوم ٢٥ اكتوبر عام ١٩١٧ وكان
معى بالمعتقلات كثيرون من أفاضل المصريين ومن بينهم نخبة من
صفوة شبان المنصورة ، وهم حضرات : سلامه افندى محمد الخولى
ومحمد افندى عوض محمد ومحمود افندى ابراهيم الدسوقي ومحمد افندى



صورة صاحب المذكرات وهو معتقل باعتقال الجيزة
في أثناء الحرب العظمى عام ١٩١٧ وكان يطيل لحيته ككثير من المعتقلين
وصورت وسط الأزهار التي كان يزرعها مع المعتقلين



صورته أخذت في أثناء الحرب العظمى في أوائل عام ١٩١٧
 وكان صاحب المذكرات معتقلا بمعتقل الجيزة الواقع بجوار كوبري عباس وكان
 مع أفراد فرقة كرة القدم وهو الجالس في الصف الثاني وفي وسطه حزام جلد ووراءه
 باب أحد عنابر النوم بالمعتقل ويرى خلف المعتقلين نوافذ وعنابر المعتقل

صبري منصور ومحمد افندي راوى ومحمد افندي محمد السراج
وعبد الرحمن افندي الصيرفي .

وكان كل فريق من حضراتهم معتقلا لأسباب تخالف أسباب
اعتقال الفريق الآخر ، وإنما يسود الجميع استياء عام إزاء الحماية الباطلة
التي يعملون ضدها بطرق مختلفة . .

وكان بالمعتقل أيضا ١٧ طالبا من طلبة مدرسة الحقوق ، كانوا
أضربواهم ومعظم طلبة المدرسة يوم زيارة السلطان حسين كامل لها
في عام ١٩١٥ فاعتقلوهم مدة سبعة أشهر .

وأذكر منهم حضرات الأفندية محمد صبري أبو علم وأحمد مرسى بدر
وحافظ عامر وأحمد والى الجندى ومحمد فهمى كرايه وإبراهيم رياض
وأحمد لطفى وحسن يس وأحمد فؤاد حمدي وإسماعيل حمدي ورياض
الشريف ومحمد صادق العجيزي .

ولما خرجت من الاعتقال كانت صحتي ضعيفة فصرفت الوقت
فى التنقل بين القرى المختلفة استجماما للعافية واشتغلت قليلا بالتجارة
والزراعة . ولما كدت أسترد شيئا من الصحة حتى قامت الثورة المصرية
عام ١٩١٩ وشملت جميع بلاد القطر احتجاجا على الحماية الباطلة وطلبا
للاستقلال الشام ، فقدت بنفسي فى اتونها الملهب وأصبحت أحد
أعوانها السريين ، وفى منزلى بالمنصورة كان يجتمع عشرات الطلبة
ليلا لترتيب المظاهرات بالمدينة ، وتكونت شعبة أخرى لا يعلم بها أحد
لكتابه وطبع المنشورات المختلفة واصفها ليلا على الجدران خاتمة على

الاضراب أو الاحتجاجات المختلفة . وكانت هذه الشعبة مكونة منى ومن حضرتى احمد افندى جلال الموظف بأمورية الأوقاف بالمنصورة والمستغل بالصحافة بعد ذلك ومحمود افندى العدل التاجر بالحوار ، وكنا نذيل المنشورات بامضاء (اليد السوداء) ونلصق على الأوراق دائرة كبيرة من الورق الأسود ، وكان لهذه المنشورات أثر كبير بالمدينة .

وحدث فى هذا الوقت أن تابعت الاستقالات المختلفة من كراسى الوزارة وحقن رأى العام على كل من يؤلف وزارة ضد ارادة الأمة والوفد المصري المعبر الوحيد عن رأى البلاد . ورغم ذلك تقدم محمد سعيد باشا وألف وزارته وسط عاصفة من الاحتجاج ولم يقم وزنا للمطالب السلمية الصادرة من الأمة بكامل هيئاتها . فكان لهذه الظروف تأثير فى نفسى ، وشرعت ثانية فى تدبير المؤامرات السرية للقضاء على وزارته ، ووهبت نفسى للموت مرة أخرى ، فى سبيل ما أعتقد . وبعد بحث طويل أخبرنى صديقى الفاضل الشيخ محمد محمد خليفه التاجر بكفر الزيات والمدرس قبل ذلك بالمنصورة ، بأن هناك شخصاً أزهرى من كفر الزيات على أتم استعداد لالقاء القنابل ، وهو الشيخ سيد على محمد وأنه عضده وشجعه ويحبذ اختياره لهذا العمل ، وعلى أثر ذلك سافرت توالى إلى الاسكندرية وفحصت الطرق الموصلة من ديوان الحكومة إلى منزل سعيد باشا بسان استفانو بالرميل ، واخترت الأمكنة الصالحة للوقوف فيها وقذف القنبلة منها ، وعرفت بنفسى كل ما يتعلق بذلك ، ثم عدت الى المنصورة . وفى يوم الخميس ٢٨ اغسطس عام ١٩١٩ سافرت الى كفر الزيات ، وفى اليوم التالى

سافرت من كفر الزيات الى الاسكندرية برفقة الشيخ سيد على محمد وتزلنا في محطة سيدى جابر ، ثم أريته الطريق الموصل من بولسكى الى محطة جنا كليس بالرمل وأفهمته أوصاف الباشا ومواعيد خروجه من منزله وأصلح مكان للوقوف فيه حين قذف القنابل ، وكذا كيفية قذفها .
وفي صبيحة يوم الثلاثاء ٢ سبتمبر عام ١٩١٩ رافقنى الشيخ سيد من الاسكندرية الى كازينو سان استفانو مستقلين ترام الرمل ، وجلس كل منا في عربة بعيداً عن الآخر ، وكنت أنا مرتديا جلبابا وسترة وطربوشا ، وييدى سلة تملوها كمية من العنب مغطاة بفوطة وتحت العنب قنبلة بها مواد شديدة الفتك ينقصها أن تدلى إلى داخلها من فتحة صغيرة زجاجة بها حامض الكبريتيك لتستقر في مكان صغير مهيأ لها من قبل ، ولو ارتعشت يد المدلى أقل رعدة في أثناء اسقاط الزجاجة إلى الداخل أو نسي شيئا من الأشياء لانفجرت القنبلة فيه على الفور .

وعند الوصول إلى الكازينو وقف الشيخ سيد على بابه وقصدت أنا صوب مراحيض الكازينو وييدى السلة المحتوية على القنبلة ، ولما دخلت غرفة المراحيض كانت بساطة حركاتي لا تنم عما في نفسى من أمر جلل ولم ألتفت عنة أو يسرة ولذا كنت على يقين من أنه لم ينظر إليّ أحد بصفة خاصة كما لم أنظر إلى أحد . ثم ولجت في مرحاض كان مفتوحا وأغلقت الباب وأحكمت رتاجه بالمزلاج ، ونثرت أمامى محتويات السلة ، وأخرجت من جيبى زجاجة الحمض التى لا توضع في القنبلة إلا قبل أن يراد استخدامها بوقت قصير ، وفتحتها وأسقطتها بسلك رفيع إلى مقرها الداخلى ، ثم أعدت القنبلة على مهل إلى مكانها

في السلة لأنها بذلك أصبحت تنفجر بمجرد اهتزازها ، (لأن انسكاب أية نقطة من الحمض من داخل الزجاجية على المواد الموجودة بالقنبلة تحدث حرارة كافية لاجداث الانفجار) وحشوت ماحولها من الفراغ بجرائد كثيرة كانت بالسلة من قبل كي تقف عمودية تماماً ورصصت عناقيد العنب فوقها ، ثم أقيمت ما تناسر من الأوراق في المرحاض وشدت (السيفون) فتدفق الماء بصوت عال ، وخرجت كأن شيئاً لم يحصل . وحدث في أثناء وجودي بالمرحاض أن ضغط على الباب لفتحه مرتين ، ولما كان المزلاج مقفلاً بأحكام لم أكن ألقى بالا إلى هذه المفاجآت ، وبعد خروجي قابلت الشيخ سيد وناولته السلة وكان على علم تام من قبل بضرورة المسير بها باحتراس وعدم هزها إلا عند الاستعمال ، وذهب تَوَّأً إلى المكان المعين سابقاً وهو محل بائع غازوزة وجلس عنده يتشاعل بشرب الغازوزة . وبعد قليل خرج رئيس الوزراء من منزله في السيارة ومر في طريقه المعتاد فقذف الشيخ سيد السيارة بالسلة التي بيده وقال (خذها يا خائن) ولما كانت نافذة السيارة مقفلة تدحرجت السلة إلى الأرض وانفجرت القنبلة انفجاراً له دوى صم الآذان ، وسمع في أطراف الرمل ، وهشم قضبان الحديد بالمنازل المجاورة وحفر بالأرض حفرة عميقة وأسرعت السيارة بالفرار اسراعاً لا مثيل له ، فلم يصب رئيس الوزراء بشيء سوى تهشيم مؤخر السيارة وفي الحال قبض على الشيخ سيد ، أما أنا فكنت واقفاً بعيداً عنه فلم يعرفني أحد وعدت إلى المنزل الذي أقيم به بالاسكندرية ، وغيرت ملابسى وتوجهت إلى طبيب يوناني كنت ترددت على عيادته للمعالجة

بأخذ الحقن للتقوية ، لاأخذ المعالجة من ضمن أسباب وجودى بالاسكندرية . وبدأت أذهب اليه قبل ذلك التاريخ بيومين وكنت أذهب حول الظهر فوصلت إلى عيادته فى هذا اليوم فى نفس الميعاد الذى تعود أن يرانى فيه ، وعنوان هذا الطبيب هو ا . مسينيزى بشارع الرمل رقم ١٢ . ونشر قلم المطبوعات فى الساعة الأولى ونصف فى مساء ٢ سبتمبر عام ١٩١٩ ما يأتى :

(ورد من الاسكندرية على وزارة الداخلية التلغراف الآتى : — فى الساعة العاشرة ونصف من صباح اليوم حينما كان حضرة صاحب الدولة محمد سعيد باشا رئيس الوزراء مارا بسيارته بمحطة جنا كليس ألقى عليه المدعو السيد على محمد من أهالى كفر الزيات قبلة فانفجرت ولم تصب دولته بشىء ، وضبط الفاعل ، وباشر حضرة رئيس النيابة التحقيق) .

أما الشيخ سيد فانهم حينما قبضوا عليه أو سعوه ضربا ولم يدخروا حيلة إلا استخدموها فى سبيل اعترافه بأسرار الحادثة ، فأحضروا له والديه يبيتان معه ليلا ، مزودين بالوعد والوعيد ، وهو بعد شخص عصبي المزاج ، يناهز العشرين من عمره ، لم يصب من الخبرة وقتئذ إلا قليلا ، وعيبة البارز فيه قلة ثباته على رأى من الآراء . ولم يكن اندفاعه نحو تنفيذ الحادثة قد بلغ أعلى الدرجات فى اللحظة الأخيرة إلا بفضل ما اتخذته معه من ضروب التأثير والتشجيع قبيل تنفيذ الحادثة فلما بعد عن هذا التشجيع عقب وقوع الحادثة لم يلبث طويلا حتى اعترف بكل ما يعلم ، ولكن التردد كان صفة لا تفارقه . وقد نمت عليه

أقواله عند ما أفضى الى بخلجات نفسه ونحن نهم بركوب القطار
محطة كفر الزيات للسفر الى الاسكندرية ويبدنا جريدة الاهرام ،
تذكر أن لجنة الامور الخارجية بمجلس الشيوخ الاميركي ستسمع أقوال
المندوبين المصريين وتقرر حق ايرلندا في تقرير مصيرها ، فبادر بفتح
حديث بيني وبينه بصدد ذلك ضمنه أنه لا لزوم لعمل شيء ما دامت
أمريكا ستساعدنا . ولما عرفت ما يحول بخاطره رددت عليه في الحال
بأقوال تناسب المقام كان منها (ان مصر يجب أن تأخذ ثأرها بيدها
لا يد غيرها *) .

ولما وصلنا الى الاسكندرية عمدت الى تأجيل تنفيذ الحادثة أياماً
قليلة ريثما يستقيم قلبه وتم تهيئته لما هو مقدم عليه . ولم يكن يعلم
أننى أستمهله في التنفيذ حتى أدرسه وأعاجله على ضوء مالى من الدراية
وكنت في أثناء ذلك لا أجعله يشعر بالسبب الحقيقي للتأخير ، بل أجعل
ذهنه يتجه إلى أسباب بعيدة عن الحقيقة ، ولشدة تصديقه لها
ذكرها للمحققين باعتبار أنها حقائق فأتعبتهم هذه الأخبار في بعض
مراحل التحقيق .

وبعد مرور أربعة أيام من وصولنا الى الاسكندرية جرى في
غضونها ما جرى من الأقوال والمقابلات الكثيرة معه ، كان التردد
قد اختفى من ذهنه بتاتاً فتنفذت الحادثة : ولكن صفة التردد كان لها

• ستقرأ في المذكرة السادسة تفاصيل ما دار من الأقوال في أثناء
المحاكمة وفيها إيضاح لما كنت أقوله له من الأقوال في القطار

نكس فعادت اليه ثانية وقت التحقيق ، وكانت هي الظاهرة الخلقية التي تجلت من أول التحقيق الى آخر المحاكمة ، فقد أنكر كل شيء ثم اعترف بكل شيء ، ثم أنكر البعض واعترف بالبعض ، وكل ذلك في مدة قصيرة ، وذكر اسمي واسم الشيخ خليفه في ثانى يوم الحادثة ، فقبضوا على الشيخ خليفه من بلدة كفر الزيات ، وفي اليوم نفسه فتشوا منازل جميع أقاربي بالنصورة وقبضوا على بعضهم . أما أنا فلم يعثروا لى على أثر . وما زال الشيخ سيد يصر على أقواله التي ذكرها ضد الشيخ خليفه ، حتى حانت فرصة اجتماع أحدهما بالآخر في غفلة من الرقابة ، داخل سجن الحدراء وكان معتقلا معهم في قضية سياسية أخرى حضرة عصام الدين حفنى ناصف افندى فساعد كثيرا في التأثير في الشيخ سيد فعاد بعد ذلك يشكر بتاتا كل ما عزا به الى الشيخ خليفه ، ولكنه لم يجد حرجا في الاصرار على ما عزا به الى . وكان ذلك من أسباب الحكم بالبراءة بالنسبة للشيخ خليفه والحكم ضدى غياييا من محكمة جنابات الاسكندرية بالسجن مع الشغل خمسة عشر عاما ، كما سيأتى مفصلا في موضعه .

ورب قائل يقول : انه ما دمت أنك لحظت عليه ذلك التردد قبل وقوع الحادثة فلماذا تستمر معه حتى النهاية ، وكان الأجدى أن تقطع صلتك به وقت أن تحققت أو رجحت أن سيكون مصدر خطر . فالجواب أن هذه الأمور هي أمور أدبية نتائجها جامعة لكل الاحتمالات والفروض ، والذي يشترك في هذه الأمور بقدر كبير أو صغير لابد أيضا أن يكون مستعدا لمختلف النتائج ، والا فانه اذا فكر

كثيراً وبالغ في حرصه الى الحد الذي ليس بعده حدفانه لا يعمل شيئاً وكثرة التفكير في النتائج عند الاقدام الصادق على هذه الأمور تخلخل العزائم والحماسة في أكثر أطوارها لا تتفق والتفكير العميق .

كنت في أثناء الإقامة بالاسكندرية قبل وقوع الحادثة تقابلت مع صديق لي يسمى اسماعيل افندى برعي ، وهو موظف بمصلحة الفنارات . فلما رأيته أفرغ قصارى جهده لنزولي ضيفاً عنده ، ولما كان يعيش أعزب بغير أسرة طاب لي المقام بمنزله . وقد أخبرته أنني حضرت إلى الاسكندرية للمعالجة ولشراء بعض البضائع من الجمر ك قرأت عنها في الصحف ، ولم يكن يعلم من أمري شيئاً أكثر من ذلك ، مع أن القنبلة كانت معي بمنزله ، ولكنه لم يكن يدقق فيما يتعلق بي شأن كل مضيف مع ضيفه ، خصوصاً وأنني لم أكن أطالع صحفاً كلما خلوت اليه ولم يكن يسمع مني غير عبارات الهجاء للسياسة وأهلها حتى دخل في روعه أنني هجرتها سرمداً (وقد ذكر اعتقاده هذا مفصلاً في ساحة القضاء عند محاكمتي غيائياً) .

وكان يغادر منزله في كل صباح عند الساعة السابعة بغير أن يمر على غرفتي متحاشياً يقاظي من النوم . وفي مساء الأربعاء ٣ سبتمبر عام ١٩١٩ أي في ثاني يوم للحادثة علم من أحد اخوانه المحامين أن الذي ألقى القنبلة على سعيد باشا اعترف بأن الذي دبر له الحادثة هو شخص اسمه شكرى من المنصورة وأن شكرى هذا أخذه في صباح يوم الحادثة إلى كازينو سان استفانو وصنع له القنبلة هناك ، وأن النيابة بثت الميون في الكازينو وسألت جميع موظفيه . فأتجه فكر اسماعيل افندى نحوي ،

ولكنه لما كان مأخوذاً بظواهر الأحوال كان نفي الشبهة عنى أسبق الى ذهنه من أى شىء آخر وعزم على أن يزودنى بالخبر لا على سبيل أننى الشخص المقصود ، بل على سبيل أنه يخبرنى بصدفة غريبه فى تشابه الأسماء . ولما عاد الى منزله ليلاً وجدنى نائماً فلم يسمح بايقاظي لعدم أهمية الموضوع فى نظره . وفى الساعة السابعة من صباح الخميس مر بغرفتي فوجدنى جالساً غير نائم فأنبأنى بالخبر وهو يتسم :

وكان هذا أول ما وصلنى من الأخبار الحقيقية عما يدور فى التحقيق ، فتبادلت وإياه الابتسام وأشرت إشارة استهزاء وجاريتيه فى اعتقاده وقلت ان الأمر هين ، وإن المنصورة مملوءة بأسماء شكرى ، وانه لاشك فى أن المقصود هو شخص آخر غيرى . ولكن بما أن الأحكام العرفية تحبب خبط عشواء فأتى أرى السفر الى بلدى هذا اليوم أمراً مناسباً . وعلى سبيل الاحتياط لا غير اذا كان بمنزلك كتب أو أوراق ممنوعة فالأفضل أن تخفيها أو تمزقها لأن البوليس كما تعلم يبادر فى مثل هذه الظروف الى تفتيش المنازل واذا سألك سائل عنى فقل انه سافر الى بلده فى الميعاد الذى كان فى نيته أن يسافر فيه من قبل .

قلت هذا وأخذت ملابسى القليلة فى يدى ونزلت معه ثم افترقنا وما ان تركنى حتى رأيت أن أبت فى الموقف برأى حاسم على وجه السرعة وأحسست بالرأى ينبجأ عن الاضطلاع بمهمة هي أشبه بمعركة حرية . وقررت المقاومة وسبيلها الاختفاء واطمأنت نفسى الى هذا القرار . ولم يكن الاختفاء فكرة عرض لى أمرها من قبل حتى أكون على بينة من أسرارها أو على علم بالطرق والمسالك التى يجب أن تسلك

فى مثل هذا الضرب من الحياة ، ولكنه أمر وليد الساعة وصواب
أمله على الموقف . أما كيفية تنفيذه وكيف أمضى فى ذلك فأنا خالى
الذهن منه بتاتاً .

والآن لما كان ما استتب عليه الرأى يتطلب التنفيذ فوراً سرت
على مهل صوب المحطة يقل من حدة سيرى سؤال يحول فى النفس :
هل القاهرة أصلح للاختفاء أم الاسكندرية ؟ والى أن استقر الرأى
نهائياً على تفضيل القاهرة ، كنت قد وصلت الى المحطة قبل قيام
اكسبريس الساعة الثامنة والنصف صباحاً . وكان هذا السفر هو فاتحة
رواية حقيقية قمت بتمثيل فصولها على مسرح الأيام التى استطالت الى
خمسة وخمسين شهراً من ٤ سبتمبر عام ١٩١٩ الى مارس ٩ عام ١٩٢٤ -
وسيقراً حضرات القراء فى هذا الكتاب أنباء وحوادث هذا الاختفاء
مدونة على شكل مذكرات شهرية عددها خمسة وخمسون ، وسيرون
من حوادث الاختفاء أننى لم أغادر المملكة المصرية طوال هذه المدة
المديدة وسيرون أنه رغم اعلان الحكومة منح مبلغ ٥٠٠ جنيه مكافأة
لمن يقبض علىّ ، ونشرها خبر المكافأة فى صحف العراق وسوريا
والحجاز ، وتوزيعها الآلاف من صوري الشمسية فى طول البلاد
وعرضها ، ورغم سؤالها نحو ٦٠٠ شخص وبلوغ صفحات التحقيق نيفاً
وتسماًئة صفحة . وتنبهها على المصارف كافة بمصادرة ما يوجد باسمى
من الأموال ، إذا وجد ، وصدر الحكم علىّ من محكمة جنائيات
الاسكندرية بالسجن مع الشغل خمسة عشر عاماً ، وتبلغ العمد كافة

من آن لآخر بأوصافى ليسجلوها بدفاترهم ، وتعليق صورتي على أبواب بعض مراكز البوليس .

رغم ذلك كله فاني بفضل الله قد نجوت من شر ست وزارات تعاقبت على كراسي الحكم في غضون هذه المدة ، وفشلت كل خطط البوليس ولم يعثر لي على أثر ، حتى شكلت وزارة الأمة برياسة سعد زغلول باشا عام ١٩٢٤ وأصدرت عفواً عن جميع المقبوض عليهم سياسياً فظهرت بمحض رغبتى وعدت ثانية إلى الحياة الاجتماعية .

وهذه الحوادث التي سيمر ذكرها هي بعض ما نالني من متاعب الحياة ابتداء من عام ١٩١٥ إلى عام ١٩٢٤ ، أي ابتداء من سن العشرين من عمري إلى سن الثلاثين منه . عشر سنوات هي أثنى سنوات شبابي أمضيته في معتقلات سياسية كثيرة من جراء تأييد وجهة نظري الوطنية وختمتها باختفاء طويل مهلك للقوى الجسمية ، ولا أرجو جزاء على ذلك سوى أن أرى وطني العزيز راتعاً يوماً ما في مجبوحة الاستقلال الحقيقي ونحن لا نزال على قيد الحياة ، ونرى قادته وأهل المكانة به يعملون لمصلحه بشرف وعزة وإباء . . .

ما لاحظته في أثناء الاختفاء

الاختفاء فن . . . !!

أولاً — يجد المختفي في المدن الكبيرة عوامل تساعد على نجاح مهمته أكثر مما يجده في المدن الصغيرة فالأطراف المترامية والجماهير الزاخرة والجنسيات المختلفة واللغات والأزياء العديدة وكثرة عدد اللاجئين والنازحين تجعل المدينة الكبيرة تعج بالحياة على مختلف صورها وتضم بين جوانبها كثيراً من الحوادث والوجوه المتشابهة ومن أجل ذلك قد مرّن سكان هذه المدن على رؤية المتناقضات والغرائب تحفل بها الطرق والمنتديات وأصبحت كل الألوان والأشكال والحركات والصفات هي عندهم من مألوفات الحياة اليومية وإذا سكن متعطل بجوار متمول أو زاهد بجوار عابث أو متزوج بجوار أعزب أو أجنبي بجوار وطني فليس في أحدهم ما يستلفت نظر الآخر لأن هذا وأكثر منه هو ما جرت به العادة في المدينة أزماناً طويلة .

ومكان هذه بعض أوصافه يستطيع فيه المختفي أن يخفي حقيقته عن مخالطيه ومعاشره بعد مراعاة قيود قليلة سنسردها فيما بعد، فانه كيفما سلك سبيلاً في مظاهره وحياته الخاصة فلن تكون تصرفاته وأفعاله وأزياءه ولغاته وأشكاله دخيلة على حياة المدينة بل جارية على سنن العادة فيها وما دامت كذلك فهو في مأمن من حصائد الاسنة ووشاية الواشين

ولا يوجد في بلادنا من المدن العامرة سوى اثنتين هما القاهرة والاسكندرية . وللأولى قصب السبق في مضمار الاختفاء وسبب ذلك وجود عدد وفير من الحارات الصغيرة المتدخلة بعضها في بعض حتى أن الكثير منها ينتهي عدة ثنيات بعد النقطة التي يخال الناظر إليها أن الحارة تنتهي

عندها وتكثر أمثال تلك الحارات في جهات الخليفة والجمالية والسيدة زينب .

أما الاختفاء في صغار القرى والعزب فليس من الصواب في قليل ولا كثير وذلك لأن سكان القرى يعرف بعضهم بعضا فكل غريب بينهم يكشف أمره من أول نظرة اليه ولما كان المعلوم من أمر القرى أنها ليست مقاما مستطابا للطارئ أصبح كل طارئ عليها كأنه قد خالف العادة ولذا يصبح موضع تساؤل من القائمين بأمرها فاذا بحثت الجهات الرسمية هناك عن أشخاص ذوي أوصاف خاصة كان العثور عليهم أمرا ميسورا . وكذلك كتمان الاسرار في البيئات الصغيرة حيث المنازل متلاصقة ومحتوياتها ظاهرة والعداوات تملأ الجو ليس أمرا مستطاعا لان العداوات مطية إفشاء الاسرار إلى الجهات الرسمية ولا يستطيع المختفي هناك هربا سريعا إذا دفعته الحاجة إلى ذلك لان الطرق الزراعية جهات مكشوفة وكل السائرين فيها أجسامهم ظاهرة للعيان

ثانياً — يهيم الناس أينما كانوا باستطلاع الاخبار والمعلومات الخاصة بكل ساكن جديد وعلى ذلك يرى المختفي نفسه في فاتحة أيامه مضطرا لان يذيع عن نفسه بضعة أخبار إشباعا لهذه الاغراض الفطرية فعليه أن يفكر مليا في بادئ الامر في ما يجب أن يعرف الناس عنه من الاسم والبلد والصناعة وسبب السكنى فاذا ما صدر منه للناس قول وجب التقيد به والثبات عليه بغير تعديل إلى النهاية مهما أظهرت الايام له عيوباً وذلك لأن الاضطراب في الأقوال والاختلاف في الروايات التي تزداد عن الانسان من أكبر الدواعي تفتيقا لذهن الجاسوس الماهر ، ويأجذبوا لو استطاع المختفي أن يحترف بحرفة ما بعد أيام أو أشهر قليلة ليكون له أمام الناس وأمام أفراد البوليس صناعة معلومة وإذا استطاع أن يكتم سره عن أقاربه وأصدقائه كافة بغير استثناء كان ذلك أفضل رأيا وأدخل في باب الصواب فكثيرا

ما تنجم اخطار داهية عن تصرفات سيئة تصدر مباشرة أو غير مباشرة
بغير عمد عن طريق أشخاص لا يودون إلا الخير للانسان

ثالثاً — إذا سكن في القاهرة فليتنجب سكنى الحارات القصيرة المسدودة .
وليتخذ له سكناً في الحارات الطويلة المفتوحة من النهايتين وذلك لان من
عادة فقراء القاهرة وبخاصة النساء منهم أن يجلسوا جماعات أمام أبواب
منازلهم في الحارات المسدودة ويطول حديثهم وهم إذ يتحدثون لا يكون
حديثهم إلا وصفاً لحادثة خطوبة أو طلاق أو شكاية من زوج أو ابن أو قريب
أو تدمراً من كساد الاعمال وغلاء المعيشة فاذا انتهوا من ذلك انتقلوا إلى
اغتياب الغائبين ثم إلى سب بعضهم بعضاً ثم تهدأ الحال رويداً رويداً حتى
إذا ماصفاً الجو دفعهم انقباض الصدور الذي يحدث عقب مقارنة أحوالهم
بأحوال غيرهم وقلة مواد الحديث إلى تسديد اللغات إلى الزمان ثم إلى
التدخل في ما لا يعنهم فيعطفون في أحاديثهم على أخبار كل ساكن في
الحارة سواء أكان جديداً أم قديماً ويذكرون كل ما يعرفونه عنه من إيراده
ومصروفه ومن يدخل اليه ومن يخرج من عنده . وكذا مواعيد مجيئه ومواعيد
خروجه إلى آخر ما لا يخطر بالبال ولا يمت إلا إلى ظواهر الحال وهذه
الحارات المسدودة لا يطررها غالباً إلا ساكنوها أو ضيوفهم ولذا ترى
الغريب إذا دخل فيها سدّد الجميع اليه انظارهم وعلى ذلك تسرى على سكانها
أحوال البيئات الصغيرة كالقرى

أما الحارات المفتوحة من النهايتين وخصوصاً ما كان منها طويلاً فتعتبر
كطريق عام يمر الناس منه على الدوام ولذا ترى فقراء النساء فيها لا يجلسن
على أبواب المنازل إلا فترات يسيرة ولا يلتقن بالآ إلى المارة ولا يعظم
اهتمامهن لمعرفة أحوال الجيران وعلى ذلك يجد المختفى في مثل هذه الحارات
فرصاً مساعدة لا يخفأ بعض أحواله عن متناول اللسان ولا يجد فيها من
يسدّد اليه نظراته ويرقب حركاته من الجيران إلا النزر اليسير .

رابعاً — لا يسكن في ضواحي المدينة لأن الجواسيس يقصدون إلى هذه الجهات مرات عديدة ، وسكان الضواحي الفقراء أكثرهم من اللصوص وحثالة الناس والمقيم معهم على قدم المساواة يصيبونه بالأذى والسرقات مهما ادعى الفقر ، ويستضعفونه ويزجون به في مشاكلهم الخاصة ، وهذه الأحوال الاجتماعية السائدة في تلك النواحي كجهات الامام الشافعى ومصر القديمة وأطراف العباسية من شأنها أن تجعل حياة المحتفى غاصة بالمصاعب والآلام وقد توصله إلى مراكز البوليس كشاهد عدة مرات ، وليس من الصواب أيضاً أن يسكن المحتفى في وسط المدينة لأن هذه الدائرة حافلة بالمحال التجارية على مختلف أنواعها وكذلك بالقهوات وأما كن اللهو فهى مجتمع عام فيه كثيرون من أهل القاهرة وكثيرون من أهل المدن كافة وعلى ذلك تكون نسبة من يقابلون الانسان فيها من معارفه أكثر من نسبة من يقابلونه في ضواحي المدينة . وكذلك يجب الابتعاد عن السكن بجوار المساجد المشهورة لأن الغرباء كثيراً ما يؤمون هذه النواحي للزيارة فهى دائماً عامرة بالناس والخلاصة أن خير الجهات للاستقرار فيها هى ما كانت قريبة من الضواحي بعيدة عن المساجد المذكورة كثيرة السكان يقل الغريب فيها أكثر من سواها.

خامساً — يخطئ من يظن أن اعتزال الناس كافة والقبوع في عقر الدار قبوعاً تاماً هو المسلك السديد والخطئة المثلى لنجاة المحتفى من المخاطر والحقيقة أن مخالفة عادات الناس وما ألفوه في حياتهم اليومية مخالفة كبيرة هي ممكن الخطر والخطأ المبين . ولما كان اختلاط الناس بالناس هو العادة التى درج عليها الجيران وألفوها بمشاعرهم — وكانت العادة هى منطق الحوادث لدى العامة — أصبح أنزواء الجار في كسر داره وبعده عن الناس بعداً تاماً هو مجلبة القيل والقال لمخالفته العادات والاعتبارات العامة ، فالأصوب أن يختلط المحتفى بالجيران بغير مبالاة في ذلك ، وستترك إدارة دفع المحادثات التى ستدور للاحالة في مختلف الاوقات إلى مهارة المحتفى ومبلغ حذقه وتصرفاته وفي حالة عدم

خروجه من المنزل على الاطلاق واستطاعته إذاعة أسباب معقولة لذلك لدى الجيران لا ينبغي له أن يعتز بهذا الموقف طويلا فان الشكر كثيرأ ماتهاجم العقول على حين غرة منها والأجدر به أن ينتقل إلى مكان آخر بعد مرور عام على الاكثر أما إذا عاوتته ظروفه على الخروج كثيرا من منزله وعرف كيف يأتلف بأهل الحى فليس ثمت من حرج لو بقى حيث هو مدة طويلة فإنه متى ألفتة العيون كثيرا وأطال مدة إقامته فى جهة من الجهات نسى الناس تاريخ حلوله فى جهتهم وتكلموا عنه كأنه من صميم أهلها وأكدوا وبالغوا فى ذلك كما هو أسلوبهم فى رواية الأخبار وبهذا يصبح للبخفى بمضى المدة وطول المعاشرة مكانة القريب لا الغريب والمعروف لا المجهول ويجد أفرادا ينصرنه وبواسونه ويشهدون لصالحه بخطهم وأختامهم بغير ماشك أو إحجام كما يجد آخرين يشاركونه فى تجارة أو يقبلونه فى خدمتهم بغير أن يطالبوه بالضمان .

سادأ - لا يجب أن يطيل لحيمته كثيرا كما يتبادر إلى الذهن لأن المألوف فى بلادنا هذه أن الناس يخلقون لحام خصوصا الشبان وسكان المدن فاذا طالت لحيمته أصبح مخالفا للمألوف وهذه المخالفة تضره أكثر مما تنفعه وتجعل أنظار الجواسيس تحديق فيه لأن من طبيعة الأنظار عند المسير فى الطرق أن تقع أول ماتقع على كل ماهو شاذ من ملابس أو حركة أو عادة أو منظر والجواسيس من شأنهم ألا يدعوا هذه الاستثناءات تغفلت من أيديهم دون تمحيص عسى أن يعثروا فيها على ضالة ما ولما كان الجواسيس قد ألقوا حركة الهجوم - كما هو شأن صناعتهم - ولكنهم لم يحددوا مواقف الدفاع لعدم وقوفهم فى هذه المآزق فعلايات اتقاء أنظارهم أمرا ميسورا وذلك بعدم المغالاة فى مخالفة العادة فى حركات الجسم أو الهيئة العامة للشخص وعدم إطالة الحى أو استعمال النظارات السوداء كثيرا أما إذا كان لدى المختفى أدوات اختفاء أخرى لا تجعل فى وجهه شيئا غير مألوف فاستعمالها لا ضرر منه . ومن أكبر

الفوائد تغيير الزى من أفندى إلى شيخ وبالعكس ومع أن ذلك لا يخفى الشخصية عمن يعرفها حق المعرفة إلا أنه يخفيها بدرجة كبيرة عمن لم ير إلا صورة الشخص ولم يتلق إلا أوصافه من بلاغ أو واصف .

والخلاصة أنه يجب العلم بأن المبالغة في إخفاء معالم الوجه أو قلب حياة الانسان رأساً على عقب هي سبيل الخطر لاموطن السلامة كما يدخل في روع المحتبئ في أوائل أيامه فان لكل من أبناء الريف وأبناء المدن وأبناء الوجه البحرى وأبناء الوجه القبلى ولكل جاهل ومتعلم وغنى وفقير وعسكرى وملايكى لكل من هؤلاء ميزة خاصة قد تدق على من هو قليل الملاحظة ولكنها تنبئ عن نفسها لأقوياء الملاحظة فأنهم يعرفون هذه الفوارق في سحنة الشخص أو لهجة كلامه أو طريقة مشيته أو مقدار ملبسه من ثقل أو خفة فإذا ذهب رجل من كبار المتعلمين وعاش في الريف كعامل في الحقول فان رجله العاريتين في الهواء على الدوام تنان على أنها حديثا عهد بهذه المعيشة وليستا أصيلتين بها وذلك لخاوهما من التشقق والغلظة والنشف وكذلك سائر أعضاء جسمه لا تدل على أنه الرجل الذى تلفحه نيران الشمس طوال نهاره على عمر السنين . وإذا ذهب شاب من أهالى المنصورة مثلاً يدعى أنه من أبناء قرية من قرى مديرية قنال كذبت سحته والفاظ لعتة وعلى ذلك من هذه النواحي التى لم يراع أصحابها فيها دقة الاختيار يمكن للجاسوس الماهر أن يكتشف الحقيقة وهذان المثلان نضربهما للبرهنة على أن المبالغة في الابتعاد عن الحقيقة هي كالمبالغة في مخالفة عادات الناس الذين يقيم الانسان معهم كلاهما يضر أكثر مما ينفع .

سابعاً — إذا سار فى الشوارع ليلاً أو نهاراً فلا يكن كالمتردد فى مشيته وإذا دخل فى مكان أو ركب شيئاً فليدخل وليركب بغير تردد وليتكلم مع الناس وليضحك ولا ييالى بما يفعل طالما كانت حركاته مصبوغة بالصبغة المألوفة لا يشوبها تكلف ولا يظهر عليه أنه خائف حائر . وسيرى فى أثناء سيره فى

الطرق أشخاصاً يشتبه في أمرهم ويدب الذعر في قلبه منهم فيجب عليه ألا يبادر بالالتفات السريع أو الجرى وإنما الواجب أن يستمر فيما هو فيه فان سرعة تحوله من حال إلى حال تنبه الغافلين وتثير الريبة وتبرهن لمن يتعقبونه على صواب ظنهم فيقع على الفور في أيدي البوليس . أما إذا تجاهل الموقف وملك زمام نفسه واستمر في طريقه كما هو بغير أدنى تعديل ففي هذه الحالة يحدث أحد أمرين أولهما : إذا كان هؤلاء الذين رآهم هم حقيقة من أفراد البوليس السرى أو من الأهالي الذين يعرفونه حق المعرفة ويطمعون في مكافأة خاصة فانه بمسلكه الصحيح قد ينجو ولا يصيبه أدنى ضرر لاحتمال اشتغال عقول الذين رأوه بأمور أخرى تلهيهم عن التحديق بشدة في جميع السائرین وكثيراً ما يحصل أن ترى فرداً ينظر إلى أشياء كثيرة فاذا سألته عنها بعد مروره وجدته خالي الذهن مما كان أمامه وينفى رؤيته لها رغم أن عينه وقعت عليها بلا شك وذلك لأن الرأى الحقيقي هو المخ لا العين فاذا كان المخ مشغولاً بشيء آخر يفكر فيه أو يلهيه فانه لا يحيط علماً بما أمامه . وثانيهما إذا كان الاشتباه قد صدر عن وهم لا ظل له من الحقيقة فان النجاة تصبح في حيز التأكيد . وسيصادفه في أثناء سيره من ينظر اليه طويلاً ومن يناديه أو ينادى اسماً كاسمه ومن يحتك به بالأكتاف فلا يجب عليه أن يؤول ذلك تأويلاً سيئاً بحيث يعتقد أنه هو المقصود بهذه الحركات وأن هؤلاء الأشخاص قد عرفوه تمام المعرفة وأن هناك مناورة واسعة النطاق تمثل في الشارع لغرض القبض عليه وليعلم أن أعمال الناس هذه وحركاتهم في سيرهم إن هي إلا الحالة العادية والصفة الدائمة للجواهر في أثناء غدوهم ورواحهم وأن ليس منها ما هو موجه إليه بالذات وإنما الأخطاء والاشتباكات وضيق الممرات عند الزحام هي التي تجعل وقوع تلك الحركات أمراً لا مفر منه لكل سائر غير أن هذه الحوادث لا يشعر بها الانسان ولا يلقى إليها بالاقط طالما

كان لا يهيمه شئ من أمر الشارع وهي تافهة في اعتبار كل إنسان ماعدا المختبئ .
فهى عنده الشبح الخفيف .

ولا جدال فى أننا لو ألقينا نظرة ذات بال على شارع من الشوارع فى لحظة من اللحظات لألفيناه ميداناً لا تحصى مشتملاته غاصاً بالحركات المقصودة وغير المقصودة جم الأسماء المتشابهة وغير المتشابهة يعج بالناس ولسكل وجهة هو مولها يدفعهم نحو مقاصدهم ما يدور بخلدهم من الأغراض والقليل منهم من يفكر أو يلاحظ . هذا هو وصف صادق للشارع كما تراه بنظرة هادئة ولكن ألا تدرى أيها القارئ أن هذا الشارع وهو على ما هو عليه من الحقائق لا يلبث أن تتغير صورته أمام من يحمل فى رأسه خوفاً من نوع خاص كالمختبئ فإنه فى أول عهده بالاختباء يكاد يعد خطواته وكلما قطع جملة من الخطوات عد نفسه فائزاً بغنيمة لاحق له فيها وهو وحده دون جميع السائرين يرى بين آونة وأخرى ما يزعجه ويخيل إليه أن الناس جميعاً يرقبونه ويحسون عليه حركاته وكذا ألفاظه وربما أنفاسه وهو بأوهامه هذه يعتبر الناس كافة مفكرين مدققين بلا استثناء . ولا يوجد فى الواقع أثر لكثير مما يتخيله ولكنه فى موقفه هذا يرى الدنيا بمنظار عقله ومثله وقتئذ كمن يضع على عينيه نظارة سوداء فهو يرى الدنيا كلها سوداء وماهى كذلك . أما من كان سائراً فى الشارع وهو خالى الذهن من الخيالات الخاصة فإنه يقطع الطريق ذهاباً ورجعة دون أن يشعر بشئ خاص فعلى المختبئ أن لا يستسلم للأوهام الخاصة بل ينبذها بكل ما يستطيع ويحكم حكماً صحيحاً سداً ولحمته النظر البعيد وإنى أؤكد للقارئ أن قوة الإرادة والحالة المعنوية الحسنة والالمام بشئ من علم النفس كل ذلك يهذب أوهام المختبئ إلى درجة كبيرة ويحول دون تجسمها أمام نظره فى الخارج ولكن لا يحوها محواً بل يضيق دائرة مفعولها فقط وبعد أن يطول المطال بالمختبئ ويرى النجاح حليفه فإن العادة تستدرجه والأوهام الباطلة تكاد تفارقه .

ثامناً — مما يبين سابقاً يمكن القول بأن الاختفاء فن له قواعده وأصوله وهو
يتم بصلة متينة إلى علم النفس ، والمختفي الجاهل بهذه القواعد هو الذى يزعج
نفسه إلى المهالك ويكاد يقول للبوليس « ها أنا ذا ، ومما يزيد فى جلال هذه
القواعد أن القليل من الناس من يستطيعون تنفيذها عملياً فانه لا مرأى فى أن
تنفيذها يحتاج إلى سرعة الخاطر وسعة الإدراك والقدرة على ضبط زمام
النفس أى سلامه الأعصاب ومثابقتها وإتقان تمثيل الحالة العادية لأن رهبة
الموقف تجعل الأصل فى المختفى أنه مضطرب مشتمت الفكر متردد فى حركاته
فاذا أمكنه أن يملك زمام نفسه ويعيدها إلى حالة الانسان المعتادة الهادئة
المألوفة تلك التى نراها حين سير الناس فى الطرق ومعيشتهم فى منازلهم كان
ذلك منه تمثيلاً وهذه الصفات الخلقية والعقلية هى أهم عناصر النجاح
وقت الاختفاء .

ومما هو جدير بالذكر والملاحظة أننا إذا تتبعنا ببصرنا مختفياً ذا خبرة
وحسكة وحرص وقت سيره فى الطريق وجدناه يرفع رأسه إلى أعلى ويرمى
ببصره إلى أبعد مدى حتى ليكاد يخطف ببصره رقعة كبيرة من الأرض فى لحظة
واحدة ليلم بشخصية كل فرد من السائرين واحداً واحداً قبل أن يقتربوا منه
عساه يتجنب كل خطر قبل وقوعه وهذه خطة جزيلة الفائدة وهى شديدة
القسوة والتعب للمخ وإذا تتبعنا مختفياً آخر ليس على جانب من العلم
والحرص وجدناه يبحث الخطى فى سيره ولا ينظر إلا إلى الأرض وفوق
قدمه متوهماً بذلك أنه طالما لا ينظر إلى الناس فان الناس لا ينظرون إليه
وهذه خطة عديمة الجدوى وهى أقل تعباً للمخ من الحالة الأولى .

ثامناً — حالة المختفى الصحية يعتريها السقام على الدوام ، وكيف لا يكون
ذلك وسيل تفكيره لا ينقطع سواء أكان سائراً فى الطريق أو مقبلاً بالمنزل
ومخه فى هذه الفترة من الحياة أشبه شئ بفرقة حربىة جميع جنودها
معسكرون فى الميدان على أتم أهبة للأمل السريع . ونبض القلب يتبع فى هذه

المواقف حالة الجهاز العصبي للشخص وكذا حالة قوته المعنوية ولكن مهما بلغت صفات الشخص من القوة فان النبض لا يستمر طبعياً وبخاصة في السنين الأولى وإنما يتعرض للاضطراب زيادة ونقصاً تبعاً لما عسى أن يقع من الحوادث المفاجئة الحقيقية أو المتخيلة . وبما أن هذه الحالة الفسيولوجية ليست هي الحالة الطبيعية للفرد وقت مسيره المعتاد في الطرق أو معيشته في المنزل فان صحة المحتبى بناء على ذلك لا بد آخذة في التدهور وكلما طال العهد على هذه الحال ازداد ضعفه وشحوب لونه . ورغم ما يكون في النفس عند بعض الأشخاص من هدوء وسرور ناشئين عن الانتصار على البوايس وعن قوة الصبر والاحتمال وعن متانة الجهاز العصبي فان الصحة لا تنال من جراء ذلك نصيباً من القوة يعادل ما تفقده رغماً منها نتيجة لرداء الطعام والمسكن وعدم التنزه وحالة الارهاب التي يرزح الشخص تحت أعبائها .

وليس أمام المحتبى أولاً وآخرأ إلا طريقتان يسلك أحدهما مضطراً وفي كل منهما تكمن الأضرار الصحية ، فهو إما أن يقبع في عقر داره الذي يستأجره فلا يغادره مطلقاً وفي ذلك مدعاة للشبهة فيه من جيرانه ومضرة أكيدة لصحته . وإما أن يخرج أحياناً ويسير في الطرق وعندئذ يكون هدفاً لسهام الحالة السيئة التي شرحناها سابقاً . والآن إذا قارنا حالة المحتبى بحالة المسجون فعلاً ، لا يمكن القول بأن المسجون أهدأ بالاً وأصلح حالاً من المحتبى .

عائراً — هذه الملاحظات أذكرها لا على سبيل أن كل محتبى سيواجه في إبان حوادثه حالات متشابهة لما لاقيقته تشابهها كاملاً غير منقوص وإنما أذكرها كخلاصة أشبه بالخلاصات العلمية كتبته على ضوء التجارب وبعد استقراء الحوادث الممضة ولم أكن على علم ببعضها في فاتحة الاختفاء وإنما ازدادت بها علماً على توالى الزمن ، حتى إذا ما انتهت مدة الاختفاء وهدأت العاصفة جلست إلى قلبي فقيدت ما احتشدت به الذاكرة من ملاحظات

وقواعد عامة خدمة للبحث الخالص . وهذه الملاحظات النظرية لم أعمد إلى تدوين شيء منها قط في غضون أيام الاختفاء خوفا من اطلاع غيرى عليها فيتسرب الشك إلى نفسه عن حقيقة شخصيتى . أما الحوادث والوقائع فكنت أدونها بتواريخها بين آن وآخر ، ولكن هذا التدوين لم يأخذ شكلا واضحا ، فقد كنت أرمز إلى ما أريد بأسماء المأكولات والملبوسات التى يستعملها كل إنسان فى معيشته ولا أكتب إلا ما كان ضروريا ويخشى نسيانه وبذلك استطعت أن أدون أهم عناصر القصة فى أوراق بحيث لو وقعت هذه الأوراق فى يد آخر لما استطاع أن يفهم منها سوى أنها حساب منزلى لا أكثر ولا أقل وبهذه الكيفية لم أجد صعوبة ما بعد العفو عني فى تدوين القصة كلها بتواريخها هى النهاية فى الضبط وبخاصة بعد شراء تقاويم السنوات الخمس من عام ١٩١٩ إلى عام ١٩٢٤ ومراجعة تواريخ الحوادث عنها فى الشهور العربية والأفريقية وعلى ذلك فليستفد من آرائى الخاصة هذه من يستفيد كل بحسب وجهة نظره والله المستعان .



كلمة في قراءة القصص أو سماعها

قليل من الناس من يستطيعون مشاركة صاحب الوقائع المؤلمة في مبلغ شعوره بالآلام النفسية والجسمية وتفهم الحكايات التي وقعت له حين قراءتها أو سماعها فهما شاملا لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وذلك لأن الحوادث لها على الدوام أحوال وظروف مستترة عن الأعين خلف الأحوال الظاهرة للناس ومجموع هذه الأحوال الخفية والظاهرة يوجد جواً خاصاً تسير فيه سفينة الحوادث حتى تصل إلى ساحل النجاة ولكن الظروف الظاهرة المجردة مما وراءها هي التي دائماً دون غيرها من نصيب جمهور الناس حين تفهم الحوادث . وأما النظر الدقيق النفاذ الذي يستوعب الظروف خافيتها وظاهرها فذاك لا ينهض به إلا خاصة القراء وبشروط خاصة . وإني أقدم لحضرات القراء بعض ملاحظات في قراءة القصص أو سماعها راجياً أن تروقه فتوضع موضع التقدير عند قراءة قصتي وقصص غيري فإلى حضراتهم ما يأتي :-

أولاً - إن حكاية وقعت حوادثها في مدى خمس سنوات لا تستغرق قراءتها أو سماعها أكثر من خمس ساعات . فالفرق الزمني الكبير بين المدة الحقيقية لوقوع الحوادث وبين مدة قراءتها أو سماعها هو فرق من شأنه أن يجعل الآلام التي تمشت بطيئة مع طول الزمن عند صاحبها لا تتمشى في نفس القارئ إلا خطفة سريعة لعدم شعوره بوطأة الزمن الطويل وعلى ذلك يكون تصور حقيقة الحال أمراً شاقاً يحتاج إلى اجتهاد فكري طويل ومقارنة دقيقة بين حالات متباينة وليس كل قارئ يكلف نفسه عناء هذا الاجتهاد ولا كل صاحب حكاية أديباً عريقاً في الأدب حتى يستطيع أن يدبج بقلمه صورة فريدة تنساب في أنفس القراء كافة حين تصفح كتابه فإذا هم بها على خفايا الأمور مطلعون .

ثانياً — كثيراً ما يردد القارىء في نفسه بصدد موقف ما في القصة التي يطالعها أنه لو كان في مثل هذا الموقف لتصرف بشكل يختلف عما هو مدون بالقصة ولحل المعضلة بطريقة أوفى وأحكم . ويأخذ العجب كيف أن المخاطب في القصة لم يلاحظ من المتكلم وهو يحادثه تناقضاً بين فكرتين ذكرت إحداهما في أول الحديث والآخرى في نهايته ويؤكد أن ملاحظة ذلك التناقض كانت من السهل الميسور ولو أنها وقعت في حينها لتغيرت النتائج إلى شكل آخر وكذلك يتفق للقارىء مراراً أن يقرأ في أما كن مختلفة من القصة كلمات قليلة تصدر من صاحب القصة إلى آخرين . ثم يقرأ أنه كان لتلك الكلمات القليلة أكبر الشأن وأبلغ النتائج فيتولاه العجب مما يرى ويسمع ولا يستطيع أن يلبس مكان القوة من هذه الكلمات العديدة الأهمية في نظره وهذا الاشكال وصعوبة تصور الواقع يقعان في أنفس كثير من القراء للأسباب الآتية : —

(١) فترة التفكير في أمر من الأمور والانسان هادئ في وحدته هي فترة أطول كثيراً من الفترة التي تمر حين يتخاطب الانسان مع غيره في مثل هذا الأمر نفسه فالانسان قد يناقش فكرة ما وقت الوحدة في خمس دقائق ولو أنه كان سمع هذه الفكرة بالذات وهو يتحدث لآلم بها في دقيقة واحدة ، وذلك لأنه في أثناء الحديث يكون مرتبطاً بالسياق ، فهو سائر في حديثه إلى الأمام ، متكلماً أو منصتاً ، ويليه الحديث عن أن يراجع ذاكرته ولا يفسح له المجال لذلك . لأن المحادثات لا تتخللها فترات سكوت متعمده وليست سرعة البديهة عند الناس متساوية فاذا دانت لأحدهم فرصة ضئيلة فراجع فيها ما قيل قبل نصف ساعة لما عثر في الذاكرة إلا على خلاصة غير وافية . ولكنه في وقت قراءته وحيدا يجد نفسه غير مرتبط بتيار ما فيقف نفسه مفكراً ومطيلاً النظر فيما أمامه من الرأي ويملك أن يعيد ويراجع فلو أراد أن يراجع فكرة سبق أن ذكرت في الأسبوع

الماضى من قراءته فانه بحركة صغيرة من يده يعود الى الوراء مائة صفحة فيجد كل ماسبق قوله مثبتا فى الأوراق كما هو فيعيد ويراجع الأفكار كما يشاء وهذا الذى ذكرناه هو الأمر الواقع لدى معظم الناس ومنه يتضح أن الانسان وهو جالس يقرأ يستطيع أن يلحظ الآراء ودخائلها وعواقبها وما بينها من اتساق أو تناقص بكيفية أدق وأعمق مما لو سمع هذه الآراء بعينها وهو يتحدث مع آخرين . ولكن رغم أن القارئ يلاحظ اتجاهات الأفكار ملاحظة شديدة ويكون على علم تام بما ورد فى النواحي المختلفة من القصة فان العيب الذى يكاد يقع فى هوته معظم القراء هو انسواء عن حقيقة الدنيا العملية وقت القراءة ورغم أن الأشياء العملية تمر عليهم مئات المرات كل يوم فانها لا تبدو لهم واضحة إذا ما خلوا إلى أنفسهم وعرضت عليهم أحوال غيرهم ومتى كان تفكير الانسان خارجا عن نطاق الحقائق العملية التى تقع فعلا كان سابجا وقتئذ فى عالم الخيال دون أن يشعر وعلى ذلك كثيراً ما يرى ويكون رأيه هو الخطأ ويتصور أن السائر يتحدث يرى المتناقضات ظاهرة سافرة فإذ لم يفعل ذلك كان عمله مثار الدهشة والاستنكار .

ولكن هل جمهور الناس فى حياتهم العملية يدقق فى حركات الغير وأقواله ويزنها بميزان المنطق وقواعده وأصوله كلا ! ليست الدنيا كذلك فى أسواقها ومعتركاتها وكل مفكر هو نفسه عظيم فى طرق تفكيره وقت خلوته وقراءته ولكنه إذا خرج من منزله وسار فى طريقه وقابله هذا وذاك لوحظ فى الحال أن قدرته على التفكير العالى قد نقصت ولو نقصا زهيدا ولا يزال كذلك حتى يعود إلى هدوئه وسكونه فيسترد منزلته العقلية فى أوج كمالها وبناء على ذلك يكون من أول واجبات القارئ تصور حالة العالم العملية أى حالة الانسان اليومية التى تتباين أوضاعها وظروفها من ساعة إلى أخرى وبخاصة حالته وهو يفكر وحالته وهو يتحدث وبذلك يستطيع القارئ أن يدرك أن كثيرا من الأشياء التى يرى وقت تفكيره فى عزلته غريبة وقوعها

تقع هي وتمر وثمر بغير أن يقف حائل ما دونها وقت العمل سواء أكان الفاعل لها عالماً بسياسة العقول أم لم يكن لأن ضالة الزمن نفسه حين التخاطب لا يفسح المجال للتفكير فيمر كثير من الأشياء بغير عائق وفوائد العلم بسياسة العقول تنحصر في المساعدة على اطراد النجاح واحكام وضع الخطط البعيدة المرمى وسهو القراء عن الدنيا العملية التي يرونها كل يوم ويغفلون عن جزء منها وقت الهدوء والسكون يدفع بهم كذلك الى المغالاة في محاسبة زعماء كل قصة فيحاسبونهم باعتبار أنهم معصومون من الاخطاء وأنهم في مستواهم قد بلغوا الذروة التي ليس بعدها ذروة وهذا كله من قبيل التمسك بالنظريات بغير أن يشعر القارئ بما يفعل مع أنه لو كلف بالقيام فعلاً بأعباء مرحلة بسيطة من مراحل القصة لعجز عن ذلك عجزاً كبيراً ثم ما هو الخطأ فيما لا يحده العرف العام . إنه لعمري أمر نسبي لأن ما هو خطأ في نظر أحد الناس قد يكون صواباً في نظر الآخر ونقول أخيراً إن التمسك بالنظريات حالة تسود معظم القراء لأنهم إذ يقرءون يكونون في أحسن أحوال تفكيرهم فيخيل إليهم أيضاً أن كل فرد سائر في الطريق هو دائماً في أحسن حال من حيث قوة التفكير .

(ب) القارئ وهو يطالع قصة من قصص الاختفاء مثلاً يعلم مقدماً أن هذه هي قصة فلان وأن اسمه الحقيقي هو كذا وبلده كذا وظروفه كذا فنظرته إلى القصة وهو يمر عليها في أثناء القراءة خطوة خطوة تخالف إلى حد كبير نظرة الناس إلى هذا الشخص صاحب القصة عند ما كان لا يزال بينهم غريباً في لجة الحوادث يكافح المصاعب ويغالب الشدائد لأن الناس وقتئذ وهم ينظرون إليه ويتعاملون معه لا ينظرون إليه على أساس أنه صاحب قصة وأن له حادثاً معروفاً أدى به إلى تغيير شكله واسمه وحياته بل على أساس أنه فرد عادى كمثل الأفراد تسرى عليه القاعدة العامة والعرف العام وقد يمر في الطريق فلا يلتفت إليه أحد وقد يتكلم فلا يعبا به إنسان

كما قد يحدث تماماً لأى فرد فى حياته اليومية وقد يدفع إليه الحدثان أشخاصاً يناصبونه العداوة ويقيمون له الشراك ويتمنون إيصال الأذى إليه ولو دفعوا على ذلك أجراً من جيوبهم وهو هو المطارد الذى تبحث الحكومة عنه بمكافأة عظيمة لمن يقبض عليه .

واختلاف الاعتبارات ووجهة النظر والمواقف كموقف القارىء من صاحب القصة وموقف الناس من شخص ما سائر فى الطريق أو مقيم معهم فى منزل واحد قبل أن يعلموا أنه صاحب قصة ، هذه الاختلافات هى التى تتطلب من القراء دقة وعناية ومراجعة وحسن تصور حين تصفح القصة ، لأن من يغفل عنها قد يرى صعباً ما ليس بالصعب فى جهة من الجهات وقد يرى سهلاً ما ليس بالسهل فى جهة أخرى . ومن أمثلة ذلك أن القارىء إذا نظر إلى ناحية الناس وقرأ جواباً من المختفى على سؤال من أحدهم قال كيف لم يستطع هذا السائل أن يعرف حقيقة هذا المختفى مع أنه لو دقق فى هذه الألفاظ ومرايها وطابقها على مارآه منه سابقاً لأمكنه بهذا التدقيق أن يصل إلى معرفة حقيقة هذا الشخص المقيم بينهم ولا يشعر القارىء أن المقدمات الموجودة فى ذهنه هى التى تسهل له هذا الخيال وأن هذه المقدمات غير موجودة فى ذهن هذا الذى يتعجب منه وأنه فى هذه اللحظة من قراءته يحمل الدنيا العملية أكثر مما تتحمل عادة .

وإذا نظر القارىء إلى ناحية المختفى نفسه فى موقف ما قال إن الظروف كانت عادية وأن الموقف كان بناءً على ذلك سهلاً ولكن ألا يدرك أن عادية الموقف وقمئذ كانت من دقة تمثيل المختفى وأنها نشأت من مقدمات قديمة راعاها فى وقتها المناسب فأنتجت هذه النتائج البعيدة وجعلت الحالة عادية وأن المختفى المضطرب يغير الحالة بسوء تصرفه ويجعلها من حالة عادية إلى حالة تحمل فى طياتها ما يستلقت الأنظار ويشير الرية وأن المختفى غير المضطرب يشغل باله على الدوام بما هى العادة وما هو العادى ويستعيد فى

ذهنه أحواله وأحوال الناس السابقة التي لم يكن يسأل نفسه عنها لحظة واحدة قبل الاختفاء وتبدو له غريبة كأنها لم تكن محيطة به عشرات السنين ، وهنا تنفتح له أحوال نفسية لم تكن تخطر له على بال فتراه يقاوم أوهاما تثيرها المواقف ولا يجعل لها سلطانا عليه ويزن حركات الناس ونظراتهم اليه ويناقش طبيعتها ومرماها ويتجنب وقوع سوء التفاهم بينه وبين الآخرين ويقاوم في نفسه أيضا عند النجاح غرورا خداعا حتى لا يهمل في جعل الحالة دائما عادية وجارية مجرى الاعتبار المعروفة من جميع النواحي فجعل الحالة عادية عبارة عن سلسلة تفكير شديد جدا وبذل مجهود قوى من الأعصاب وذلك كله لا يكون الا مستورا في داخل نفس المختفي وغير مرئى من الغير ولذا لا يحس به أحد

(ح) لا اشارات اليد في أثناء الحديث تأثير له خطرة في توجيه ذهن المخاطب الى جهات معينة وخصوصاً إذا كان من العامة أولئك الذين يتأثرون بالاستهواء والغواية أكثر مما يتأثرون بالترتيب المنطقي للأدلة التي تساق بهدوء في أثناء الحديث وقد يقرأ القارىء في حكاية ما كلمات قليلة صدرت من شخص الى آخر فلا يلقى بالا لهذه الكلمات ، لكنه لا يلبث حتى يتأكد أنه كان لهذه الكلمات القليلة الأهمية في نظره شأن خطير في توجيه سير الأمور فيتولاه العجب ومثل هذا يحدث من عدم تعمق القارىء في تصور دقة الموقف وحسن الظروف الملائمة لهذه الكلمات وعدم ملاحظة أن هناك عادة حين الحديث إشارات وأصوات خاصة تبدى باليد والرأس واللسان فيكون لها الفضل الأعظم في التأثير في نفوس السامعين بغض النظر عما تحمله هذه الألفاظ من المعانى لأول وهلة لأن هذه الاشارات تبت في المعانى قوة واشتعالا يشعر بهما الحاضر في أثناء الحديث ويختفي هذا التأثير الساحر تماماً ولا يظهر منه شيء إذا ما جلس صاحب الكلام

إلى قلبه وقرطاسه يدون كلامه . وكذلك يختمنى هذا التأثير حينما يجلس القارئ بعد ذلك إلى الكتاب يتصفحه ، وما لا ريب فيه أن دقة التمثيل التى تسود هذه الاشارات والأصوات حين صدورها من صاحبها والشخصية القوية لصاحب القول كل ذلك هو الروح الحقيقية للنأثيرات ، وعليه مدار النتائج عند من يدرى كيف يدير الأحاديث بمهارة ، وعلى ذلك تكون الألفاظ التى تدون حين كتابة الحكاية هى كالجسم أما شخصية صاحب الحكاية ونبرات صوته والكيفية التى تلقى بها العبارات وتستخدم فى سبيلها تحريك أجزاء كثيرة من عضلات الانسان إن هى إلا روح ذلك الجسم والروح على الدوام مستورة أما نتائجها فنظورة . . .

(٥) للقارئ نفسه شخصية خاصة لها أثرها حين المطالعة بغير أن يشعر ، وهذه الشخصية هى مجموعة موروثاته ومواهبه ومحصوله العلى الخاص وكذلك لكل أفراد القصة شخصيات خاصة بعضها ضعيف وبعضها قوى وهذه الشخصيات لها أثر غير ظاهر فى توجيه الحوادث إلى جهات معينة ومن مجموع هذه الاحوال نرى أن القراءة لها حاكم مسيطر هو نتيجة اقتران عقلية القارئ نفسه بعقليات أفراد القصة جميعاً ومن هذا يبدو جو الحوادث لمختلف القراء بألوان ومقادير مختلفة

ثالثاً — يلاحظ أن الحياة اليومية مملوءة فى كل لحظة بالظروف الحسنة والظروف السيئة لكل فرد من الأفراد ويقابل الانسان ذلك فى مدرسته وفى منزله وفى طريقه وفى محل أعماله وكثيرون لا يعزون نتائج الأمور إلا إلى نوع الظروف التى تكتنف حدوثها ويهملون شأن الارادة والتفكير مع أنهم لو تبصروا فى حياتهم الخاصة وعلاقاتهم اليومية بغيرهم لوجدوا أن حياتهم سائرة بغير علم منهم على قواعد منظمة ، لها أصول ، ولها شواذ ككل قاعدة ، ووجدوا أن الظروف الحسنة والظروف السيئة ما هى إلا بعض العوامل المؤثرة فى الحياة اليومية بصفة دائمة وليست

هى كل شىء . ولا هى أول شىء . ومن الحوادث ذات الأثر فى نفس الانسان بحيث توظف فيه الشعور والانتباه والتفكير قراءة الأخبار فى الصحف أو القصص فى الكتب فى أثناء ذلك يحدد الانسان نفسه مدفوعا إلى إصدار حكم نهائى عن كل جزء يقرؤه وذلك لأنه يرى فيما يقرأ أشياء جديدة بالنسبة لما مر عليه فى يومه وكل ما هو جديد يبعث الشوق إلى التفكير . وبينما هو يقرأ إذ يجد أمامه ظروفًا حسنة سهلت لصاحب القصة نجاحه فى موقف من المواقف وظروفًا سيئة عكرت عاياه صفو أيامه فيخيل اليه أن الظروف الحسنة ويسمىها الحظ هى أشياء شاذة أرسلتها الأيام لصاحب القصة خاصة من دون الناس فسهلت له النجاح وأن الفضل راجع اليها وحدها ويغفل عن أن الظروف الحسنة والظروف السيئة هى جزء لا يتجزأ من بناء الحياة العملية نفسها وأنها تلازم القارىء نفسه فى كل لحظة وتلازم كل فرد آخر دون أن يشعر . ولذا فهى تلازم صاحب القصة أيضا فى كل خطوة ، ولماذا يحرم منها مع أنها جزء من النظام الاجتماعى العام ؟ ولعمري لم تستلقت هذه الظروف أنظار القارىء بصفة خاصة إلا لأنه حين القراءة يلقي على ما يقرأ ضوءا شديدا من مصباح ذهنه فيلاحظ فى غيره مالا يلاحظه فى نفسه . والآن وقد أوضحنا أن القارىء سيعثر فى أثناء قراءة أية قصة كانت على ظروف سيئة وأخرى حسنة ففى ما يختص بالسيئة يجب أن يراعى عند تقديره لحكمه على صاحب القصة أن الظروف السيئة على نوعين أولهما: الظروف التى تنشأ عن أغلاط الانسان نفسه وقصر نظره وقلة حذره وفى هذه الحالة تكون أعماله الخاصة وطرق تفكيره هى التى تقذف به إلى لجج المهالك وكان من الممكن اتقاء شر ذلك لو أنه كان على شىء من المهارة والحدق . وثانيهما : الظروف السيئة التى يقف الجميع أمامها مقهورين وذلك كمن يحترق منزله ولا يكون ذلك ناشئا عن إهماله وإنما عن إهمال جاره . وفى ما يختص بالظروف الحسنة فهى لا تعتبر نقصا فى قيمة

مجهودات صاحب القصة ، لأنه من المقرر أن ظروفًا حسنة لابد أن تقابله في بعض مراحل حياته كجزء من نظام الكون وطبيعة الأمور ومادام الأمر كذلك فينظر إذن إلى كيفية استغلاله للظروف الحسنة ، فليس كل شخص قادراً على الاستفادة مما تحت يده وأمام نظره وعلى اقتناص الفوائد بالسرعة المطلوبة وقد تكون بعض الظروف الحسنة التي تقابل الإنسان في حياته نتيجة لبعده نظره هو نفسه ولقدرته على تحويل السوء إلى حسن وقد تنهيا الفرصة الحسنة ثم نراها تفلت من يد الفرد أو المجموع دون أن يستفيدوا منها فيلما فيجب على القارئ أن يضع هذه الاعتبارات كلها نصب عينيه عند قراءة أية قصة فيسلم حكمه من الخطأ والزلل .

رابعا — لا يجب أن يشاد بأمر الفكرة السامية لمجرد سموها وإعما لصلاحياتها للتنفيذ أيضاً ويجب أن تتبعها ونلاحظها على طول الخط خطوة خطوة فانه في أثناء سير التنفيذ كثيراً ما تبرز عوامل جديدة لم تكن في الحسبان تتطلب سرعة تغيير طرق التنفيذ وتتجلى مهارة الإنسان في كيفية التخلص من المآزق المفاجئة ومبلغ رعايته لصغائر الأمور بنفس القدر الذي يوجهه لعظائمه . وكثيراً ما سمعنا أن بعض الحوادث الجسام التي يشكل أمرها على النيابة والبوليس ويضل التحقيق في متاهاتها تنتهي أخيراً بأن طفلاً صغيراً تكون اعترافاته وارشاداته الساذجة هي المفتاح الذي يفتح به كل أمر مستغلق وتتضح منها حقيقة الأمور وتذهب متاعب وتداير ذوي الدهاء سدى بسبب استصغارهم لأمر صغير لم يلتفتوا لأهميته في أثناء تنفيذ تدابيرهم فدراسة كيفية تطبيق الأفكار الصائبة هي والحالة هذه أهم وأبلغ من معرفة ظواهر الأفكار نفسها .

خامساً — كثير من قضايا الحياة تستمد وجودها من عوامل شتى تجمعت وتساندت فأنتجت نتيجة معينة وكان الفضل في بلوغ هذه

النتيجة لمجموع العوامل لا لعامل واحد بمفرده وتحليل القارىء للقصة هو عبارة عن محاولة الوصول إلى العوامل الأساسية التي كللت بالنجاح أو انتهت بالفشل في ناحية من نواحي القصة فإذا ما عنى القارىء بهذا التحليل أوصله بحثه في النهاية إلى عوامل تتفاوت أصالة في الرأي وإحكاماً في الوضع وتبدو له عند ذلك مواطن القوة كما تبدو مواطن الضعف وقد يهبط مستوى القصة في نظر بعض القراء عقب عثورهم على عامل يعتبرونه ضعيفاً فتأثر به عواطفهم وينسون ما بجانب ذلك من العوامل القوية التي تعوض ضعف غيرها فيجدر بالقارىء الحكيم ألا يصدر حكماً نهائياً على قيمة قصة من القصص حتى يأتى على آخرها وبذلك يصبح في موقف يستطيع فيه بحق أن يرى العوامل كافة وهي مجتمعة ويرى ما هو منها أحكم شأنًا وما هو أضعف بنياناً فلا توجد قصة خالية من الجمع بين حسنات وسيئات في نظر القارىء فما كان منهما أوفر حظاً كانت له الغلبة عند تقدير القارىء لحكمه.

ولا يجب أن ينسى أنه في مجال النظريات يجد الإنسان أن المسألة الواحدة لها من أوجه الحل العدد الكبير فيذكرها جميعاً في حديثه أو كتاباته ولكن وقت العمل والتطبيق وبخاصة في حوادث الاختفاء تقذف الحوادث بالإنسان إلى انتاج طريق واحد لا ثانى له من هاتيك الطرق التي يعرفها الإنسان نظرياً وفي بعض الأحيان يسلك طرقاً شاذة إذ تكون ظروفه نفسها شاذة...

المذكرات

المذكرة الأولى

سبتمبر ١٩١٩

في صباح يوم الخميس ٤ سبتمبر عام ١٩١٩ أخذت تذكرة في الدرجة الثانية من الاسكندرية إلى القاهرة وأقلنى الاكسبريس الذى غادر الاسكندرية في الساعة الثامنة والنصف بقصد الوصول إلى القاهرة مع ترقب الحوادث الفاجئة في أثناء السفر وفي محطة سيدى جابر تواريث عن الانظار في محل المياه الموجود داخل العربة ريثما يستأنف القطار سيره ثم انطلق القطار في السير وما كاد يصل إلى محطة دمنهور وقبل أن يستقر في مكانه استقراراً تاماً حتى شغلت نوافذه جميعاً برؤوس أطلت إلى الداخل وحملت في الركاب فرداً فرداً ونادى رجل من الخارج رجلاً آخر كان بالداخل قائلاً له : هل فتشتم جميع العربات فأجابه فتشناها لغاية هذه العربة وأشار بيده إلى ما قبل عربتي مباشرة فما كدت أسمع هذه الجلبة حتى نهضت من مكاني وتناولت بيدي لفافة الملابس ونزلت من العربة بكل هدوء وسكون ثم ألقيت نظرة على الجميع فألقيت الرصيف غاصاً برجال البوليس ورجال المحطة وآخرين من ذوى أشكال وملابس مختلفة وليس فيهم من يودع أو يستقبل أو يتأهب للسفر وإنما يتهامسون ويضربون بصرهم إلى كل جهة فاعتقدت في الحال أنهم يبحثون عنى فاخترقت جمعهم الحاشد بلا أدنى مبالاة وحرصت على أن لا أنظر يميناً أو يساراً إلا بالقدر الطبيعي

وسرت خطوة خطوة لا أسرع ولا أبطئ. ثم صعدت على (كوبرى) المحطة بكل اطمئنان ولم ألتفت ورأى مطلقاً، وكان الممر والباب اللذان ينفذ منهما المسافرون دخولا وخروجاً خاليين من الناس، أما جامع التذاكر الواقف على الباب فكان يتحدث مع أحد العساكر ولم يعبأ بهذا الذى مر من أمامه ولذا لم أتكلم معه ولم يرتد كرتى.

تجولت فى دمنهور طويلاً وقرأت الصحف وأخيراً اقتنعت بأن البلدة ليست وسطاً صالحاً لاختفائى بها وذلك لصغرها وليكبرها أقرب المديريات كافة للاسكندرية ولهذا السبب الأخير تتناولها يد البوليس بالبحث والتنقيب عنى أكثر مما تتناول غيرها من الجهات النائية فصممت على أن أصل إلى القاهرة بأية وسيلة كانت عدا وسيلة ركوب القطارات وعلى ذلك قصدت إلى أطراف البلدة ومن ثم لبست الجلباب فوق البنطلون الذى طويت رجليه عدة طيات صاعدة وأصبحت بذلك شخصاً يلبس سترة وجلباباً.

تذكرت أن هناك خطاً حديدياً يصل ما بين إيتاى البارود والقاهرة ماراً بكوم حماده فعقدت النية على الوصول إلى إيتاى البارود وسرت باحثاً عن وسائل الانتقال وأخيراً اهتديت إلى فلاح رضى أن يوصلنى بمحاره إلى إيتاى البارود نظير مبلغ ٣٠ قرشاً. وفى الحال شرعنا فى رحلتنا بين المزارع يميناً وشريط القطار يساراً وكان الفلاح رجلاً عادياً خالى الذهن من كل شيء ولم يكن تأجير الحجير مهنته ولا كان راغباً فى هذه الرحلة عند مفاتحته بها المسألة أخرى تشغل ذهنه كما يلوح عليه ولكن وعدته بدفع ما رغب فيه من الأجر بعد المساومة المعتادة فرضى وأعرض عن مشاغله وقال لى مرة ببساطة فى أثناء المساومة (يا افندى القطار لك أرخص) ولكن سرعة كلامى معه وضعت مسألة أخرى مكان الجواب وفكرت فى الأمر فرأيت أن البوليس إذا سأل جميع الحمارين فانه لا يوجه سؤالاً لمثل هذا الشخص بعد عودته إلى دمنهور لأنه ليس من طائفة الحمارين ولكن الصدف العمياء قد تحدث ولا يدري الانسان من رعى بها ولذا أصبح لزاماً على أن أجعل

لهذه الرحلة سبباً معقولاً في نظر الحمار وفي نظر من عسى أن يقص الحمار عليهم أنباءه بعد عودته إلى بلده ، وليس هذا لأن الحمار نفسه من أهل التفكير أو ممن يشكون في حركات وتصرفات غيرهم وإنما المبالغة في الحرص تدعو إلى ذلك ، ومتى كانت حركات الانسان في نظر الغير طبيعية ومعقولة هداً بال صاحبها وأمن جانبها وتفرغ لغيرها .

سرنا و خلا لنا الجو وبدأ الحمار يتقرب إلى بضربه الحمار كثيراً وأنا لا أدري بماذا أعلل السفر بواسطة ركوب الحمار وإنما أشعر أن هناك أمراً لا أرناح إليه ولا بد من تسويته فوراً قبل المضي في السفر طويلاً وعلى حين غرة مني اهتديت إلى الفكرة القابلة للتنفيذ ووضعت يدي على جيبى فوجدت قلبي ومفكرتي به ونظرت إلى الحقول وما بها من شجيرات القطن فطاب الحديث وقلت للحمار على رسلك اترك الحمار يسير سيراً بطيئاً ولا تضربه كثيراً أنا معاون زراعة بدائرة البرنس عمر وقد وصل إلى علم البرنس أن دود القطن قد تفشى بحالة مروعة في هذه الجهات فأرسلني لأفحص حالة المزروعات فيها وكلفني أن أخلص كل شيء بنفسى وأراه بعيني لا كتب له تقريراً وافياً عن كل ما أراه وهذا هو السبب في اختيار الحمار لأن تنقل عليه دون القطار لأن الأول في مثل هذه المهمة أكثر فائدة من الثاني فانه لا يخفى عليك أن القطار ينهب الأرض في سيره نهبا فلا أستطيع حين السفر به أن أرى كل صغيرة وكبيرة في الحقول . أما الحمار فانه يسير سيراً بطيئاً وملتصقاً بالمزارع فاستطيع وأنا فوق ظهره أن أرى شجيرات القطن وما بها بصورة جلية دون عناء أو حاجة إلى مجهود آخر وكذلك أستطيع أن أقف الحمار أو أسير به كما أشاء وتشاء مصلحة العمل ورجائي اليك كلما مررنا على عربة أن تفيدني باسمها واسم صاحبها إذا كنت تعلم ذلك فهذا يفيدني كثيراً . ثم أخرجت القلم والمفكرة من جيبى استعداداً للكتابة واعتقد صاحبي صحة ما أقول وأصبح الشغل الشاغل له طوال الطريق أن يزودني بمعلوماته عن كل

قرية يمر عليها وتاريخ بعضها بل ويساعدني في أثناء الحديث مع كل من عسى أن يجمعني الطريق وإياهم من الفلاحين وأخلص الرجل في مهمته حقا بل وأسرف في ذلك بأن كان يسأل المارة من تلقاء نفسه عما يريد في الموضوع ذاته ثم يملئ على خلاصة ما وصل إليه من المعلومات عند ما يخلو بنا الطريق وأنا أدونها على مرأى منه باهتمام زائد وأراجعها في بعض التفاصيل .

وحدث في أثناء سيرنا أن مرت ثلاثة قطارات كنت أشعر بكل منها قبل دنوه وفي كل مرة كنت أهبط على الأرض وأولى القطار ظهري وأجلس القرفصاء بهيئة رجل يقبل إلى أن يمر القطار بسلام ويتعذر على الركاب تمييز شخصي وبهذه الصورة اجتزنا الطريق حتى اقتربنا من إيتاي البارود بعد خمس ساعات قضيتها في ركوب متعب شاق وأخيراً نزلت قبل البلدة بقليل كيلا يعرف الحمار أن ذهبت على وجه التحديد ثم نقدته أجرته وزدته خمسة قروش مكافأة له على ما قدمه من الخدمات فانصرف شاكرًا .

سرت الهوينا نحو البلدة وكانت الساعة الرابعة مساءً ثم سألت عن ميعاد القطار المسافر إلى كوم حمادة فعرفت أنه يقوم بعد المغرب وعلى ذلك تجولت في البلدة ولم تكن لي خطة مرسومة أسير على مقتضاها وكيف السبيل إلى ذلك والطواريء تتراعى حولي كموج البحر الزاخر وكل فكرة بطبيعة الظروف هي وليدة لحظتها .

كان الغد يوم وقفة العيد الأكبر وكان الناس في البلدة بين بائع ومشتري وكانت السلع المعروضة للبيع منها القديم ومنها الحديث ومن هذا الذي رأيته أمامي أصبح سهلاً ميسوراً لو أني أستبدل زيني من أفندي إلى شيخ ولما كان من الصواب أن أظهر بمظهر شيخ رث الثياب ذهبت إلى أحد التجار وطلبت إليه أن يحضر لي عمامة وجلباباً وأخبرته أنني أريد شراء ذلك لخدم فقير بطني وأنه ليس من الضروري أن تكون الملابس جديدة وإنما الأفضل

أن تكون قديمة كيلا تكلفني كثيراً وبعد عرض عدة سلع اخترت منها عمامة
وصديرياً وجلباباً واسع الاكام واشتريتها وكان الصديري وحده هو الجديد
ولكنه من نوع رخيص ثم قصدت إلى تاجر آخر اشتريت منه حذاء قديماً
يتناسب مع الحالة وعند ماخيم الظلام وانتشر السكون ذهبت إلى أطراف
البلدة فوجدت الطرق حاشدة بالفلاحين العائدين من حقولهم فانتظرت ريثما
يخلو منهم الجو واستبدلت ملابسي وأصبحت شيخاً بعمامة فقير الحال ثم
مزقت الطربوش مزقاً عدة وألقيت به شذر مذر وطويت ما بقي من الملابس
في لفافة من الورق وعدت إلى المحطة وقرأت الصحف التي وصلت في القطار
الذي مر في طريقه إلى الاسكندرية فوجدت اسمي مذكوراً بأ كمله ومذكوراً
معه أن البوليس قبض على أفراد أسرتي بمدينة المنصورة وأنه يجد في البحث
عني وبعد قليل استقلت القطار المسافر إلى القاهرة عن طريق كوم حمادة

كان عدد الركاب قليلاً ولذا استطعت أن أنتهي مكاناً منفرداً واستطعت
أن ألقى من النافذة بحذائي الافرنكي الذي كان ملفوفاً بيدي على دفعتين
دون أن يشعر بذلك أحد وكنت لا بأساً حذائي البلدي وفي إحدى المحطات
بوغت سمعي بصوت يتردد في جوانب الفضاء قائلاً يا شكري افندي
يا شكري افندي فلزمت مكاني لا أحرك ساكناً ولم يطل الوقت حتى أجابه
آخر بقوله (نعم خلاص خلاص) فتبين لي من ذلك أنهما موظفان من
موظفي المحطة يتناديان خارج القطار وأن أحدهما يسمى شكري . وفي
ما عدا تلك المحطة لم يحدث شيء مطلقاً في أثناء الطريق حتى وصل القطار
إلى محطة امبابه في تمام الساعة الحادية عشرة ولما عرفت أن المحطة التالية
ستكون محطة القاهرة توقعت أن تكون حافلة بالجواسيس فهضت من
مكاني ونزلت من القطار على مهل ثم اختلست نظرة يمنة ويسرة فلم أر شيئاً
غير عادي . والآن أصبحت بالقاهرة ولكنني لم أكن أعرف جيداً من
القاهرة وقتئذ إلا سرتها أما أطرافها فأنا على جهل تام بها فهل أخبط في السير

خبط عشواء أم أختار من الأحياء ما لو ذهبت إليه لأصبحت على بينة من أمره أكثر من غيره وفيما أنا أفكر في ذلك كان حي عابدين أسبق إلى الذهب وروداً وميزته أنى أعرفه أكثر من غيره وأنه بعيد عن محطة القاهرة التي اعتبرها منطقة الخطر في مثل هذه الظروف . رميت إلى هذا الحى ولكن كيف السبيل للوصول إليه وأى الطريق أسلك وأنا لم أر محطة امبابه في حياتى البتة وكذلك كل ما يحيط بها من الأحياء وليست لى رغبة في سؤال الناس على الاطلاق ولا أخشى أمراً كالسؤال عن الطريق في منتصف الليل . لم يكن الوقت وقت تردد أو تلكؤ في محطة امبابه بل كان على أن أغادرها على الفور كما أخذ الناس يغادرونها تبعاً سالكين طرقهم نحو مقاصدهم فسرت معهم كمن له مقصد معين وأحسن وصف لحالى وقتئذ هى الآية الكريمة (وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت) .

سرت مع الناس إلى أن أفردت منهم فرأيت أمامى على امتداد الخطوط الحديدية (كوبرى) فواصلت السير عليه إلى نهايته وبعد ذلك اجتزت الخطوط الحديدية عرضاً إلى الجهة المقابلة فوجدت سوراً وثبت عليه فاذا بى فى طريق عمومى تسير الناس فيه .

كان القمر يتلألأ فى السماء ، والناس منتشرون فى الطرق سيراً على الأقدام لاعتصاب عمال الترام فى هذا الآوان ، وحوانيت التجارة ساهرة ، وبالاجمال كانت الأحوال الطبيعية تجعل سيرى فى الشوارع وسهرى فى أى مكان أمراً عادياً فى نظر الناس كافة ولم أشأ أن أسير على غير هدى وأضحى السؤال عن الطريق ضربة لازب فانتظرت حتى وقع نظرى على ولد فى الطريق فسألته عن عابدين فأشار بيده نحو (كوبرى) عال يصعد إليه بدرج وقال أصعد فوق هذا الكوبرى ثم سر يميناً وسل الناس فى الطريق تصل إلى عابدين بسهولة (وقد عرفت أخيراً أن الكوبرى الأول

هو كوبرى امبابه والكوبرى الثانى هو كوبرى العنابر الذى يسير فوقه الترامواى الذاهب من بولاق إلى روض الفرج وبالعكس .

صعدت على الدرج وفي نفس اللحظة التى وضعت رجلى فيها فوق سطح الكبرى فوجئ سمعى بقول أحدهم شكرى شكرى ثم سكت لحظة فقال آخر نعم ذكرت الالهram اليوم أن اسمه شكرى فالتفت ناحيتهم فرأيت أشخاصا يتسامرون وهم سائرون فى الشق الآخر من الكبرى وأظنهم من الطلبة فلم ألق اليهم بالا واتخذت طريقى مقتصداً فى سؤال الناس ثم بدا لى أن أسأل فسألت ولداً فقال أنت سائر الآن نحو امبابه وعليك أن تعود من حيث أتيت كي تذهب إلى عابدين (كنت أخطأت الطريق ومررت بفرق كبرى أبو العلا واتجهت نحو الزمالك وأنا لا أدري إلى أين أنا سائر) .

رجعت أدراجى عائداً واجتزت الكبرى ثم رأيت أن أسأل كيلا تتكرر الأخطاء فسألت أحد الفقراء الجالسين على الأرض فأجبنى عل الفور رجل كان واقفاً يتكلم معه بقوله إذا كنت تريد الذهاب إلى عابدين فضع ذراعك فى ذراعى فانى ذاهب أيضاً إليها فوضعت ذراعى كما طلب وسرت معه . وكانت دهشتى عظيمة حين عرفت أنه أعمى يقودنى كيف يشاء وأنا أمثل لأوامره ولا أردله طلباً وقد استفاد منى أن أمكنه أن يسير مسرعاً واستفدت منه أن عرفت طريقى وبعد أن سرت معه طويلاً أخبرنى أنه اقترب من منزله وأن المسافة إلى عابدين أصبحت قريبة . ثم استأذن منى وتركنى فشكرته وسرت وحيداً وبعد قليل مرت عربة فركبتها حتى وصلت إلى ميدان عابدين وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

سرت فى عابدين أضرب فى الأرض حيثما اتفق بغير وجهة معينة . ثم وجدت قهوة صغيرة ساهرة فجلست فيها طويلاً ثم مشيت مسرعاً كمن يقصد إلى بيته وأخيراً وجدت مسجداً مفتوحاً أبوابه فأويت إليه ليعصمنى قليلاً ولم ألبث حتى أذن الفجر فصليت مع المصلين ثم انتحيت جانباً وأغفيت

إغفاءة قصيرة وظهري مسند إلى الحائط حتى أيقظني خادم المسجد فخرجت وكانت الشمس قد بزغت فسرت وأنا أجهل أين أنا سائر ولجأة وجدت القلعة أمامي فعرفت مكان وجودي بلا حاجة إلى سؤال وكان ميدان القلعة حاشداً بالخلق قاصدين زرافات ووحدانا صوب المقابر فبعث هذا المنظر في نفسي روح النصر ورأيت أن أضع نهاية لهذا السير غير المنظم وأن أرسم خطة ثابتة بدلا من السير على غير هدى وكان على قيد أمتار من قره قول الخليفة حوض صغير أعد لشرب الحيوان .

وقفت بجوار هذا الحوض أطرح الموقف على بساط البحث وأشهد أنني مهما أوتيت من قوة البيان وأفاض على وحي القلم فاني عاجز وعاجز عن أن أسجل تلك الروح المعنوية التي غمرتني بنفحاتها في سجل من العبارات يقرؤها القارئون .

يا لها من برهة هي إحدى برهات العمر المعدودة سرى فيها العزم في نفسي سريان السكر بقاء فاتصلت بأسباب السماء حتى لا أدري أكننت مع الملائكة الأطهار أم مع البشر في ساحة الانتصار !

هي لحظة من لحظات الأمل ظفرت بها فكانت لي نعم الرائد ولا أستطيع لها وصفاً ولو بقطعة من الأدب الخالد . رأيتني وقتئذ قد أفردت من جميع الناس ، وأصبحت وحيداً بلا ناصر ولا معين ، وأنه أصبح من واجبي أنا الوحيد أن أقابل كل قوات الحكومة بالفوز عليها ، واستعدت في ذهني كل ما قرأته من تاريخ أبطال الوطنية الذين شردوا وطوردوا في الصحارى والقفار ورأيت كيف أنهم نجوا من شر الخونة بالصبر وقوة الإرادة فعقدت العزم على القيام بدور من أدوارهم وقلت لا بد للمصرى أن يفوز كما فاز الأوربي في هذا المضمار ، ثم رفعت ببصرى إلى السماء صوب القلعة فرأيت شمساً تبدو للأشراق في الأفق ، يحجب جرمها عن بصرى سور القلعة العتيد ، قد رمت من وراء سترها بقبضة من خيوطها الذهبية استعارت لها نظماً من نظم القلعة

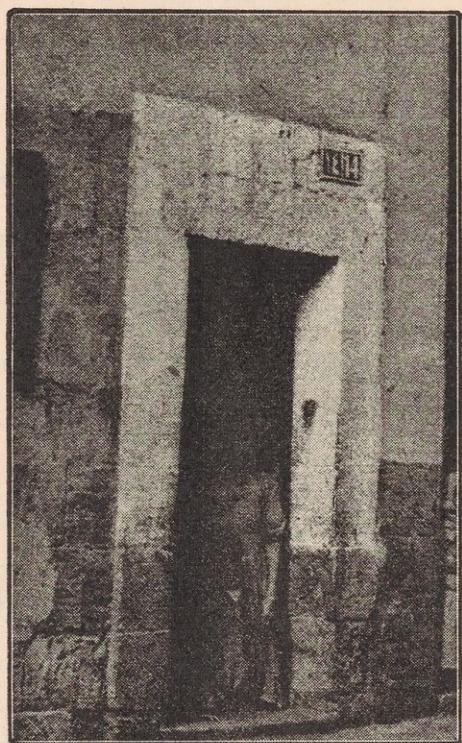
العسكرية فهي تنزل كالسهم فوق رؤوس الأنام ، وليت شعري ! ما بال القلعة ترمى بالأنوار وشأنها أن ترمى فوق الرؤوس بالحديد والنار ؟ لعلها أرادت أن تعبر عما يجيش في فؤادي من الآمال فها هو ذا جرم الشمس كالا استقلال أصبح منا قاب قوسين أو أدنى ولكنه لما يبد إلى الأبصار إذ يحجبه عنا جهاد عنيف كسور القلاع ولكن الشمس آتية لا ريب فيها وستبدد جيوش الظلم كما تبدد جيوش الظلام !!...

هذا هو مجمل ما ملأ شعاب نفسي من الروح والرأى ، حتى إذا ما انتهت مناجاة النفس بعد وقت ليس بالطويل ، تحركت من مكاني على عزم أن أواصل الرحلة إلى بلاد الصعيد ، فقد رأيت في هذه اللحظة أنني أكون شخصاً مجهولاً هناك أكثر مما أكون في القاهرة وكان على بعد قليل مني جماعة من الحمارين واقفين صفّاً واحداً وكانوا كثيرين نظراً لاعتصاب عمال الترام فأقبلت على أحدهم وسأولته في أمر ركوبى إلى محطة امبابه وانهينا على أجرة عشرة قروش وعلى ذلك ركبت الحمار وسرت نحو شارع محمد على ولم يمض أكثر من عشر دقائق حتى تغير رأى فجأة على أثر رؤيتى للحارات الكثيرة الممتدة على جانبي الطريق ورأيت لو أنني استأجرت حجرة أو شقة صغيرة في أحد المنازل وادعيت أنني أزهرى خصوصاً وكان مظهرى يبرر ذلك و كنت حافظاً لكثير من الآيات القرآنية والتفاسير لأصبح في حكم المستطاع أن أحول بذلك دون تعرف شخصيتى وأن أعيش في القاهرة بأمان لأننى بهيئتى الحاضرة من فقراء الأزهرين تماماً وهؤلاء منبشون في عطفات القاهرة يسكنون في صغار المنازل فلو أننى سكنت في أى منزل صغير مثلهم لكان ذلك أمراً مألوفاً لدى الناس وكل ما هو مألوف لا خوف منه . وبالإقامة في القاهرة سألتجنب تعريض نفسى مرة ثانية لخطر ركوب القطارات وسيكون أيضاً فى طاقى الاطلاع على الصحف ساعة صدورها وكان الوقوف على الأخبار الجديدة أولاً فاولاً من أهم احتياجاتى

وقتئذ وبالاختصار حسنت القاهرة في نظري ثانية وعدلت عن مغادرتها وانتهى الرأي بالاقامة بها فالتفت إلى الحمار وقلت له هل لك أن تدلني على حجرة أو شقة صغيرة للايجار لأن لي عفشاً شتمته إلى محطة امبابه ولا يمكن أن يتأخر عن الوصول للآن فبدلاً من أن أذهب لرؤيته ثم أعود لاستئجار شقة فإن الاوفق أن أستأجر مكاناً أولاً ثم أذهب لاحضار العفش في أي وقت آخر فسكت الحمار قليلاً ثم تلعثم في جوابه وقال بصوت خافت : إنه لا يعرف ، وإنه يرى أن أتوجه أولاً إلى إمبابه لأتأكد من وصول العفش فكانت تلك الظاهرة منه برهاناً على أنه أحجم عن مساعدتي خوفاً من ضياع العشرة القروش التي وعدته بها أجراً على المسافة كلها أما هذه المسافة القصيرة التي قطعناها فلا تساوي قرشاً واحداً فقلت له يظهر أنك خائف على أجرتك كن مطمئناً فإنك إذا أرشدتني إلى مسكن ينال موافقتي فاني أعطيك المبلغ كله نظير هذه الخدمة فقط لسابق الوعد به أما التوجه إلى إمبابه فقد أجلته إلى وقت آخر فطفح وجه الرجل بشراً وسروراً وقال: أنا أفتكرت! يوجد رجل اسمه ابراهيم افندي المليجي تاجر أخشاب وهو من ذوى الأملالك الكثيرة وفي غالب الأمر تجدد عنده شققا خالية فعندنا أدراجنا في صمت وسكون. أما الرجل فكان على التحقيق في ريب من البر بوعدي إلى آخر لحظة وكان لذلك لا يهدأ له بال حتى يزجى إلى كلبه تزلف بين حين وآخر استبقاء لرضائي عنه فأسخو عليه ولا أبخل وأخيراً وصلنا إلى محل إبراهيم المليجي بأول شارع درب الحصر فبادر الحمار بكلمات يطربني بها عنده كي يضمن لنفسه مبلغ العشرة القروش فقال يا مليجي افندي إن هذا الشيخ أعرفه من زمن بعيد وهو رجل طيب جداً وكلما سكن في جهة سمعت عنه مدحاً كبيراً ولما عرفت منه اليوم أنه يسأل عن شقة خالية أحضرته إلى حضرتك لأنك طيب مثله فنظر المليجي إلى ملياً ثم صرح بأن عنده شقتين خاليتين وكان عنده في الحقيقة من الشقق الخالية ثلاث ، إئنتان قديمتان وواحدة أخرى

أحسن منهما قليلا ولكنه لما ألقى نظرة على ثيابي الرثة وعمامتي القديمة ذكر الشقتين القديمتين ولم يشر بكلمة إلى الثالثة التي علمت بأمرها فيما بعد ونادى ولداً وأمره بالذهاب معي فسرت مع الولد ثم أعطيت الحمار عشرة القروش كي ينطلق إلى حال سبيله ولا ينتظر عند المليجي لئلا يتكلما معاً بشأنى وهذا ما لا أَرْضاه لأن عبارة الحمار التي تلفظ بها أمام المليجي تقرباً إلى كانت مما أبرقت لها أسارير وجهي وتعجبت من ملائمة ظروفها لأنها على الأقل برهان على أننى شخص معروف بين الناس .

أدخلني الولد في حارة تسمى عطفة حوش الحدادين خلف قره قول الخليفة وبهذه الحارة يوجد باب عليه رقم ١٤ وبداخله عطفة صغيرة عرضها متر وطولها أربعة أمتار وبها منزلان صغيران قديمان ولما كان أولهما خاليا دخات فيه فوجدته يحتوى على غرفة مظلمة في الدور الأول وأمامها فناء صغير وفى الدور الثانى كما فى الأول تماماً ولا توجد بالمنزل نافذة تطل على شارع ما وإنما له نوافذ تطل إما على داخل المنزل وإما على العطفة الصغيرة . ولا يرى الانسان الدنيا منه إلا من فتحة فوق السلاليم لا يصعد النظر منها إلا إلى السماء وكان المنزل فى مجموعته بنى خاصة للاختفاء فيه ، فارتحت كثير إلى سكنتى هذا المنزل ثم أعقبته برؤية شقة أخرى لم تنل موافقتى فعدت إلى المليجي افندى وبعد مساومة بسيطة استأجرت المنزل بمبلغ ٤٠ قرشا شهريا وكتبت نسختين من الايجارة بذلك ، وظهرلى واضحاً أن المليجي افندى سرتاً أجير المنزل لسبب لا أعرفه وكنت فى أثناء التوجه إلى المليجي افندى ومعى الحمار فكثرت فى الاسم الذى سأنتحله لنفسى واخترت أن يكون الاسم مشتقاً من أسماء أشخاص ضحوا بأنفسهم لأسباب سياسية سابقة . فاستعرضت فى ذهنى أسماءهم جميعاً واخترت أن يكون (اسمى الشيخ عبد اللطيف سليمان . وصناعى أزهرى وبلدى القيوم) أما سليمان فمأخوذ نقلاً عن اسم سليمان الحلبي الذى قتل الجنرال كليبر فى القاهرة وقت حملة نابليون على مصر وعبد اللطيف عن اسم



باب العطفة رقم ١٤ الموجود داخلها المنزل الصغير
الذى اختفى فيه صاحب المذكرات بحارة حوش الحدادين
بقسم الخليفة

صديق المرحوم صالح عبد اللطيف الذى ضرب ابراهيم باشا فتحي وزير
الاوقاف فى سبتمبر عام ١٩١٥ بسكين لأسباب سياسية وأعدم وقتل .
وترددت فى نفسى بين أن يكون تركيب الاسم هو سليمان عبد اللطيف أو
عبد اللطيف سليمان . ولما كان التركيب الثانى هو الأكثر ذيوعا بين الناس
انتهيت إلى أن يكون اسمى هو عبد اللطيف سليمان ، وبناء على ذلك كتبت
الايحاريتين بهذا الاسم وأخذت ايصالا بالنقود وعدت إلى المنزل .

أحضرت ولداً نظف لى المنزل ثم عدت إلى السوق واشترت حصيرتين
وكرسيين من القش وشمعا وكبريتا وطعاما وزجاجات ملأتهما ماء وعدت إلى
المنزل وفى الليل نزلت واشترت الجرائد وملأت الزجاجات بماء جديد ، ثم
عدت ونمت على الحصير المسطوح على البلاط ، بلا فراش تحتى ولا غطاء
فوقى . وكان بالحجرة نافذتان إحداهما تطل على العطفة الصغيرة وهى مخربة
بلازجاج والأخرى تفتح على سلايم المنزل ، وهى سليمة . وعلى هذا النمط من
المعيشة قضيت أربعة أيام أنزل ليلاً أشتري حاجاتى وأملأ الزجاجات بالمياه
وأمضى النهار بعضه فى النوم والبعض الآخر فى القراءة فى الصحف من أول
كلمة إلى آخر كلمة ، والأكل بما أكون قد جلبته ليسلا والشرب من ماء
الزجاجات الذى يكون قد سخن . وفى خامس يوم العيد نزلت إلى العطفة
فوجدت بنتاً صغيرة رجوتها فى استدعاء سقاء ، وبعد قليل حضرت ومعها
سقاء عجوز فأخبرتة أنى أريد منه أن يملأ لى صفيحة من الماء كل يوم وأن
يشترى لى ما أحتاج اليه من السوق على أن أعطيه أجراً شهرياً فقال الرجل
انتظر حتى أعود اليك ، وذهب ثم عاد ومعه امرأة عجوز فقيرة ، اسمها
أم خليل * وقال هذه هى التى تملأ بالصفيحة أما أنا فلا أملأ إلا بالقربة ،

* استمرت هذه المرأة تخدمنى أكثر من عام ولم أر منها إلا الأمانة الثامة وعطفا كعطف
الوالدة على ولدها ورغم فقرها المدقع كانت تقنع بانقرش الصغير كل يوم ولا تحاول أن تأخذ
أكثر منه خلسة لنفسها مع قدرتها الثامة على ذلك لو أرادت وإنما كانت على العكس من ذلك
تقف عند الحد المتفق عليه وتفكر فى التوفير لى لا لنفسها .

وإذا أعطيتها كل يوم قرشا فيكون لك ثواب عند الله .

اعتادت أم خليل منذ هذا الوقت أن تجلب المياه إلى منزلى كل يوم وتسألنى عما أريده فتشتري لى بعض الماء كولات وبعد أيام قليلة سألتها عن منجد فأحضرت واحدا يسكن فى الحارة نفسها ، فاشتريت منه مرتبة ولحافا ووسادة وكنت عند مشترى أى شىء أتردد فى الأمر ولا أريد أن أكثّر من المشتريات لأننى لا أضمن المفاجآت ولا أعرف ما يأتى به الغد وهل سأقيم فى هذا المنزل لا أبغى عنه حولا أم تضطرنى ظروف القاهرة إلى مغادرته وشيكا . وبعد قليل من الايام لاحظت أن المرتبة محشوة قطناً محروقا وقشا فصبرت ولم أتكلم .

كنت أرقب فرصة مناسبة لأخبر أم خليل باسمى وصناعتى وبلدى وكانت نظرات المرأة تنم عن أنها تريد أن تستعلم منى عن هذه الأشياء ولكن خجلا كان يعروها فيمنعها عن الإفصاح بما يدور فى خلدّها حتى مضت أيام تجرأت فى أثنائها على إطالة الحديث معى فخل أوان السؤال وسألتنى عن اسمى وكان جواب السؤال حاضراً على البديهة لأننى منذ أقمت بهذا المنزل أعددت لنفسى حكاية موهومة كى أقصها على مسامع الناس بغير تحوير فى شىء منها مدى إقامتى معهم لتكون محوراً لما يدور حولى من الآراء والاشاعات عندما يستقصون أنباءى وهم لا بد فاعلون فأجبتها عقب سؤالها بأن اسمى هو عبد اللطيف سليمان وبلدى الفيوم وزدت بأن والدتى توفيت وورثت عنها أربعة أفدنة وقد تزوج والدى بعد وفاة والدتى ثم حدث شقاق كبير بينى وبين زوجة أبى أدى بى إلى هجران الاسرة والبلد هجراناً تاماً وقد أجرت ميراثى لابن عمى فى الفيوم وهو الذى يرسل إلى شهرياً ما أحتاج إليه من النقود ويزورنى فى القاهرة أما أنا فلا أذهب إلى البلد بتاتاً وأذهب أحياناً إلى الأزهر لأجاور فيه ولكن حضورى وغيابى لا يسيران على وتيرة واحدة فكثيراً ما أنقطع عن الذهاب استغناء عنه بما

عندى من الموارد المالية وقد ضمنت هذا الحديث مقدماً الأجوبة المختلفة لكل ما عسى أن يجول فى خواطر الجيران من الأسئلة فإن عرفوا أنى أزهرى فلماذا لا أبرح منزلى نهاراً وما دمت كذلك فمن أين يأتى إلى المال الذى أنفقه ولماذا لا أسافر إلى بلدى وقد لحظت أن مسألة شقاقى مع زوجة أبى هو تعليل يطابق عقلية العامة تمام المطابقة لشيوعه بينهم *

فى اليوم التالى لهذا الحديث طلبت إليها أن تشتري لى ضمن حاجات أخرى طوابع بريد وورق خطابات وأخبرتها أنى سأرسل خطاباً إلى ابن عمى المقيم بالقيوم وبعد يومين من ذلك التاريخ كتبت خطاباً بيدى دونت به عبارات تناسب الحالة ثم كتبت على الظرف ما يأتى (إلى الشيخ عبد اللطيف سليمان بحارة حوش الحدادين رقم ١٤ بميدان القلعة بمصر) وقد ألقيته ليلاً فى صندوق البريد المعلق على حائط القره قول وفى الصباح التالى حضر الساعى إلى عطفة المنزل ونادى بأعلى صوته قائلاً : الشيخ عبد اللطيف سليمان فنزلت وأخذت منه الخطاب ، وقد ألقى خطاباً آخر بهذه الكيفية مرة ثانية فى هذا الشهر ، وكان الجيران فى كل مرة يتسمعون إلى الاسم كما يفعل الجيران عادة إزاء كل ساكن جديد إذ يتشوقون إلى معرفة اسمه وكل ما يتعلق به ومن إذاعة اسمى فى الحارة بهذه الصورة يرسخ الاسم المذاع فى الأذهان كحقيقة لا يعتورها الشك من إحدى جهاتها حتى لتنتفى من الأذهان كل ريب إذا كان هناك شئ من هذا القليل وهذا ما قصدت إليه من كتابة الخطابات وإرسالها إلى نفسى . وفى اليوم الثانى للخطاب الأول أخبرت أم خليل فى خلال الحديث أن قد وصلنى من ابن عمى خطاب يذكر فيه أنه مريض فإذا لم يأت لى خطاب آخر يطمئنى على صحته فى القريب العاجل فأنى

* هذه حكاية مخترعة عن والدى ووالدى وسيكون لها أثر فعال فى كثير من المواقف طوال مدة الاختفاء فى القاهرة أما أخبار والدى الحقيقية فى أنه توفى وأنا لأزال طفلاً رضيعاً وعاشت والدتى بعده حتى توفيت فى عام ١٩٣٠ أسكنهما الله فسيح جناته

سأسافر لعيادته فدعت له بكل خير و بعد الخطاب الثانى أخبرتها أن الحالة تحسنت والحمد لله وأننى عدلت عن السفر .

كان لأم خليل ولد سافر مع العمال الذين أخذتهم السلطة العسكرية للاشتغال بفلسطين وكان يرسل لأمه خطابات من آن لآخر فتذهب بخطاب ابنها إلى أحد الكتبة العموميين لقراءته وكتابة الرد عليه فى نظير دفع قرش فلما أدركت أن الخطابات ترسل منى وترد إلى أتت إلى بخطاباتها وكان سرورها عظيما حينما عرفت أننى أهتم لأمورها دون مقابل وأننى مستعد لأداء أية خدمة خاصة بها كما أخبرتها بذلك .

عقب تعرفى بأم خليل انقطع خروجى من المنزل ليلا لشراء حاجاتى بنفسى ولم أعد أخطو ليلا أو نهارا خارج المنزل إلا خطوات يسيرة ريثما ألحق بيئائع الصحف الذى كان يدخل إلى الحارة من تلقاء نفسه ويبيع لاثنين من السكان الأقدمين وينادى بأعلى صوته أمام كل منزل ولما لاحظت أن شراء الرجال للصحف بأنفسهم من البائع أمر مألوف لسكان الحارة خصوصا وأن البائع يجرى وهو ينادى ولا يفكر فى شىء مطلقا إلا أن يتسلم القرش ويواصل جريه بسرعة رأيت أن أخرج إليه إلى أن اعتاد أن يقرع الباب فاذا أجبتة ناولنى الصحف وإذا لم أجبه عرف أننى خارج المنزل كما أفهمته بذلك فيلقى فى هذه الحالة بالصحف إلى الداخل من فتحة فوق الباب .

خرجت فى هذا الشهر بضع مرات إلى مسافات قصيرة جداً وخرجت مرتين إلى مسافات طويلة نوعا ما فى غلس الليل ولم يزد الوقت فى كل منهما عن ربع ساعة كنت أقطع فيها المسافة ما بين المنشية إلى ما قيل ميدان السيدة زينب غدواً ورواحا وفى كل مرة منهما أيضا كنت أعصب عيني اليمنى بمنديل أبيض كما يفعل الأرمد بعينه وأمسك بيدي اليسرى مندila آخر حتى إذا ما قابلنى شخص أرتاب فى حركاته أو مررت أمام جمهور من الناس

مسحت إذ ذاك الجزء الباقي من وجهى بالمنديل فتكاد معالم الوجه بأسرها أن تغيب عن أنظار السائرين .

وكنت أحرص في أثناء سيرى على التزام الحالة الطبيعية المعروفة لدى الناس فلا أسرع ولا أبطئ ولا تصدر منى حركات فجائية كالتفات سريع أو تحديق شديد فى وجوه السائرين ولا أتوخى الابتعاد عمن عسى أن أرتاب فيهم إلا تدريجياً وإذا مسحت وجهى بالمنديل فلا أطيل وضعه على الوجه إلا إلى الفترة القصيرة المعقولة ولا أرفعه إلى الوجه إلا متكاسلاً وكنت أشعر بعد عودتى إلى المنزل فى كل مرة كأن نعى قد فكر ساعات طويلة فهو ينجح إلى الراحة مع أن فترة الاجهاد لم تكن تستغرق أكثر من ربع ساعة ولكنها دقائق قليلة أملاً من ساعات طويلة من حيث شدة استحضار العقل للمكاته كافة كأنه قائد يعبى أسلحته عامة .

لم أكن فى حياقى الجديدة هذه أخاطب بشراً لا ليلاً ولا نهاراً اللهم إلا دقائق معدودة ولم يكن بالمنزل من نواحيه الأربع نوافذ تطل على شارع كبير حتى أستطيع أن أختلس منها النظرات فأتسلى ببعض مناظر الطريق وأصبحت الصحف هى الصلة الوحيدة بينى وبين العالم الخارجى ولم يكن يخرق حجب هذا السكون الشامل لأرجاء تلك البقعة من الأرض التى لا يعلم بأمرها إلا علام الغيوب سوى صرخات فاجئة تسدها إحدى الجارات إلى أطفالها الصغار بين حين وآخر فيعلو الصياح والعويل ثم تهدأ العاصفة فيركد ريجها .

ورغم تلك الوحدة المنقطعة النظير كان كل ما أرى أمامى حسناً ولا أطلب من الدنيا مزيداً لأن الجسم كان حقاً معذباً أما النفس فيشغلها عن التفكير فى ذلك قسط وافر من السرور ومن أسباب ذلك أن الانتصار على البوليس كان هو أشهى الآمال وكانت الصحف تنبئنى بين آن وآخر أن محمد بدر الدين بك مدير الأمن العام قد أسقط فى يده وعرته الحيرة فهو يبعث

بالدوريات تطوف حول حدود البلاد شرقاً وغرباً وبالبرقيات إلى حدود فرنسا وسويسرا فكلما أقرأ عن هذا الفشل الفاضح وأراني أقطن خلف قره قول الخليفة على التحقيق يغمرني السرور وينسيني ما أنا فيه من الناحية الجسمية وحقاً لا يعرف الملل والسآمة إلا من يفكر فيهما .

ولم يشأ هذا الشهر أن يختتم أيامه إلا بمحادثة فجائية كانت كالحجر إذا ألقي به فوق ماء آسن أثار الأمواج فتلاطم هنيهة ثم لا تلبث المياه حتى تعود إلى ركودها ففي صباح ٢٢ سبتمبر بينما كنت جالساً على الكرسي متكئاً به على الحائط أقرأ في جريدة إذ لمحت بطرف عيني اليسرى شيئاً دقيقاً يسير على الحائط فالتفت مسرعاً وإذا به عقرب كبير كرقعة السكف كان بينه وبين رقبتي سنتيمتر واحد فأسرعت بضربه بقبقاب فقطع ذيله وجرى جسمه فاخفى في جحر في زاوية الغرفة ولم يخرج بعد ذلك . ياله من منظر مخيف ! إذ لم يسبق لي أن رأيت عقرباً بهذا الحجم في المدن التي عشت بها والآن وقد رأيت ذلك فماذا يمنع أن يكون بالمنزل عقارب بل وثعابين أخرى . وكيف يكون الأمر لو مت وحيداً وأنا بهذا المنزل لا يعرف أحد عن حقيقة شخصيتي شيئاً .

أجل كان المنزل متهدماً وكانت الحوائط مشققة والأرض مملوءة بالبراغيث والقمل والبق والفيران والصراصير والنمل الصغير والكبير والجو مكتظاً بالبعوض والذباب والزناير وإنما كان في وسعي احتمال ذلك كله لأنه لم يكن هناك خطر مباشر على الحياة نفسها أما هذه الحشرات الخبيثة فلم يكن يمامر على الذهن إلى الآن أن أصطدم بها أيضاً وليس في قدرتي بعد ذلك كله أن أبحث عن منزل آخر لأن البحث عن المنازل لا يكون إلا نهائياً وأنا لا أستطيع الخروج نهائياً .

الحق أن النتيجة كانت قاسية على فبعد أن كنت أصرف شطراً كبيراً

من النهار في النوم وأنام في الليل مبكراً هادئ البال أصبحت لا أنام بالنهار مطلقاً وأمضى سهرتي وحيداً إلى أن يختطفني النوم خطفاً من أحضان اليقظة فلا أشعر بما جرى ولا يخفى أن فراش نومي كان مسطوحاً على الأرض مباشرة فليس ثمت من حائل يحول دون مرور أية حشرة كانت على جسمي وقت إغراقي في النوم.

[المذكرة الثانية]

أكتوبر عام ١٩١٩

عقب حادث العقرب رأيت أن أفضل علاج يتخذ لا لقاء خطر أمثال تلك الحشرات هو أن اشتري (ناموسية) وأدخل حاقها السفلى تحت (المرتبة) عند النوم ، وبهذه الكيفية أبيت الليل وحولي وقاية من جميع الجهات تمنع مرور أى شيء على جسمي . وعلى ذلك كلفت أم خليل باستدعاء جاري المنجد وأوصيته بعمل (ناموسية) فقام بعملها كما هو مطلوب إلا أنه أبطأ كثيراً في الانتهاء منها ولم يحضرها إلا في أوائل أكتوبر وبوصولها سكن روعي وعاد النوم الهادئ يملأ الجفون كما كنت قبل رؤيتي العقرب .

قبل حادث الاختفاء بأشهر قليلة كنت بعث منزلاً لي بشارع السكة الجديدة بالمنصورة بمبلغ ٧٠٠ جنيه لحامد عمر المغربي افندي الصائغ ووهبت ثمنه للانفاق منه على ما أضمره من الأعمال . فلما أزمعت السفر من

المنصورة إلى الاسكندرية في اغسطس ١٩١٩ قبل وقوع حادث ٢ سبتمبر ، كانت النقود متوافرة عندي وعلى ذلك أخذت معي ٢٠٠ جنيه لأتخذ هذا المبلغ في حالة القبض على مبرراً لوجودي بالاسكندرية بدعوى شراء بضائع ويكون وجود النقود معي هو الدليل المادي على ذلك وكان أغلب ما يتداول في المعاملات في ذاك الوقت ورق النقد حتى القطعة ذات الخمسة القروش كانت أيضاً من هذا الورق فاذا وضع الانسان في جيبه الداخلي مبلغاً كبيراً من ورق النقد أصبح معه مبلغ كبير من المال دون أن تظهر لذلك علامات خارجية تدل على ما معه ، ولما تحول مجرى الحوادث إلى الكيفية التي عرفها القراء أصبح مامع من النقود أكبر عون في تسيير دفة الأمور وكان للصديري البسلى الذى ألبسه من الداخل جيان وضعت فيهما ما معي من النقود التي كانت ورقاً من ذوات الفئات المختلفة ووضعت حول كل جيب دبابيس إفرنكية وبعد مرور أسبوع على سكني بالمنزل كان ما معي من النقود الفضية الصغيرة أوشك على النفاد واحتاج الأمر إلى (الفك) ولم أكن قد حصلت من المنجد في أثناء معاملته إلا على قليل من الفضة ولم أكن أخرج من المنزل نهائياً وإذا خرجت ليلاً فلا أقف على دكان ما ولا أكلّم أحداً مطلقاً ولذلك لم يعد هناك من وسيلة لفك النقود سوى إعطائها لأم خليل لتقوم هي بهذه المهمة ، وأصبح استخدامها تبعاً في هذا الشأن أمراً لا مفر منه ، وإنما أكره أن يذاع سره ، والعامه من الناس وما أدراك ما العامة وخصوصاً نساءهم ، قوم سرهم شبيه بأحوالهم ، فكما أن أحوالهم جميعاً تطالع الناس بمكنوناتها ، وليس بينها مهما فتشت حقيقة تحالف الخفاء ، وكما أن جسامهم عارية فهي أقرب شيء إلى البصر ويوتهم صغيرة ومنخفضة فهي تحت مستوى النظر ووجوه نساءهم سافرة فلا تحتاج إلى البحث والاستقصاء وجيوبهم ليس بها شيء مدخر ، وعقولهم يعلمها كل البشر ، فكذلك إذا فعلوا

أرأى وكان من المصلحة أن يستر فلا تطيق قلوبهم صبراً عليه ، ولا تلبت أن تراه ملء السمع والبصر .

وطبقاً لتلك الخصائص لم تكن أم خليل تطيق أن تكتم لى سرّاً بل كانت تقص على نساء الحارة كل أخبارى أولاً فأولاً ولا تشعر لبساطتها أنها خالفت واجبا أو أتت أمراً غير مألوف فكلما أعطيتها جنيتها لتشتري ببعضه ما أحتاج إليه أفضت إلى جيرانها بالخبر بحذافيره كما تحققتة منهم فيما بعد فلما تعددت الجنميات فى وقت كان غلاء الاسعار شديد الوطأة وفى حارة جل سكانها من العمال الفقراء أثار هذا الخبر دهشة السكان وياسرعان ما أشيع بينهم أن الساكن الجديد من السعداء (وهم لا يطلقون على ذى اليسار إلا لفظ سعيد ولا يستعملون كلمة غنى ومرجع ذلك أن الفقراء يتوهمون أن السعادة لا تأتى إلا عن طريق واحد فقط هو المال فكل فرد غنى هو طبق منطقهم فرد سعيد كل السعادة) .

وقولى عن نفسى فى بادىء الأمر إتنى ورثت عن والدتى أربعة أفدنة لم يكن له أثر فى نفوس الفقراء مثل ما كان من جراء الحوادث العملية وهى أنهم أصبحوا يرون فى يد أم خليل جنياً صحيحاً بين آونة وأخرى ويعلمون منها أنه ملك الشيخ سليمان .

أجل كنت أتوقع أن تدور مثل هذه الاشاعة فى الحارة ولكن لم يكن ثمت من وسيلة لفك النقود خلاف ذلك وكانت الاشاعة فى الواقع تملأ الجو بيد أن علمي كان يقصر عن إدراك مبلغ ذبوعها لعدم وصول شىء إلى عنها فى حينه ولم أكن ألقى سؤالا عن شىء كهذا تاركاً الامر إلى أن يذكر أُمى عرضاً دون أن يلاحظ أحد أننى أهتم لشيء ما .

أما نساء الحارة فكن يلحفن فى الاُسئلة على أم خليل ليعلمن منها خبراً جديداً بعد أن عرفوا منها أنها تشتري لى أشياء كثيرة وهن يرمين

هذه الأسئلة إلى نقطة هامة في نظرهن وهي أن يعرفن مبلغ ما يصلها من الخيرات عن طريق ليكثرن من التكلم بشأنها وتسعى كل واحدة منهن إلى أن تصل هذه الخيرات إليها وحدها بدلا من أن تنفرد بها أم خليل وهكذا لا يحسد الفقير إلا الفقير كما لا يحتقر أحد فقيراً مثل ما يحتقره فقير مثله.

سأمت حالتى كثيراً في أوائل هذا الشهر فقد مضى على أربعين يوماً وأنا محروم من الاستحمام وليس لدى ملابس غير ما أنا لابس وطالت أظفارى جداً وطال كذلك شعر رأسى ولحتى بلا نظام ووقفت مكتوف اليدين لا أرى أن أكلف المرأة بشراء ملابس أو استحضار مقص خوفاً من توجيه ذهنها نحو أسئلة بعيدة المرمى وأخيراً أصبحت أمام أمر واقع وهو أنتى لا أجد لى مفراً من خلع الملابس القذرة التى طال عليها العهد وشراء ملابس جديدة واستحضار معدات الحمام فسألت المرأة عن خياطة فأجابت بوجود كثيرات فى الحارة فقلت لها إننى حينما تخاصمت مع والدى وزوجته الجديدة سافرت من البلد غاضباً ولم أستحضر معى ملابس مطلقاً لعدم عودتى إلى منزلها، والآن أريد منك أن تشتري لى بنفسك أقشة لأجل تفصيلها، فقالت حسناً أنا أذهب معك لتشتري ماتريد، فربما ما يعجبني من الألوان لا يعجبك، فقلت لها كلا أنا أعرف أنك أمينة جداً، ولا تهمنى الألوان ولا أريد أن أخرج إلا فى جلباب نظيف، أما هذا الجلباب الذى ألبسه فقد تقذر فارتاحت المرأة لثقتى بها وأخذت النقود واشترت ما طلبته وأحضرت معها الخياطة ففصلت الملابس وأحضرتها فى اليوم التالى تامة فلبستها وأعطيتها الملابس القذرة لغسلها ثم استحمت فى الغرفة الواقعة بالدور الأول وظهرت نظيفاً لأول مرة بعد مضى أربعين يوماً.

فى يوم الأحد الموافق ١٢ من هذا الشهر ظهر فى عموم الصحف بلاغ رسمى باعطاء مكافأة قدرها ٥٠٠ جنيه لمن يرشد عن محل إقامتى، أو يقبض على نفسه وهذا نصه: — (محمد شكرى الكرداوى من أهالى المنصورة

متوسط القامة والجسم أبيض اللون أسود العينين مرتفع الأنف قليلا
ذو شارب أسود غزير ويبلغ من العمر سبعا وعشرين سنة * متهم في قضية
الاعتداء على حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء في يوم ٢ سبتمبر عام
١٩١٩ . وقد هرب عقب الحادثة . وبناء على أمر القبض الصادر ضده من
سعادة النائب العمومي تعطى وزارة الداخلية مكافأة قدرها ٥٠٠ جنيه لمن
يضبطه أو يرشد عن محل وجوده إذا حصل ضبطه بناء على هذا الارشاد .
وكان من نتيجة هذا البلاغ أنني لم أغادر منزلي في هذا الشهر إلا مرة واحدة
ليلا لم تزد مدتها على ربع ساعة .

في هذا الشهر هوى حجيران كبيران في مرتين من أعلى السطح إلى درج
السلم وذلك لمناسبة هطول الامطار وتصادف أن سقط أحدهما بعد مروري
على السلم بما لا يزيد على نصف متر فأيقنت بذلك أن الخطر محقق بي وأنتي
أعيش بمنزل مفكك الاوصال من جميع جهاته وعرفت من أم خليل أن هذا
المنزل كان خاليا ولم يسكن به أحد منذ عام فأدركت وقتئذ سر ارتياح المليجي
صاحب المنزل لتأجيره حينما استأجرته منه . وبعد أن سقط أول حجر
أرسلت أم خليل لتتكلم مع صاحب المنزل في شأن إصلاحه فلم تجده في محل
تجارته وأخبرتني أن هذا الرجل من البخلاء الذين يتهربون من إصلاح
منازلهم فازداد موقفي بذلك حرجا لانه لم يكن باستطاعتي أن أخرج لمقابلة
صاحب المنزل ولا أن أستحضر بناءً بنفسى ولأن أرسل إليه أم خليل مرات
عديدة ، ولم يكن الرجل يحضر بنفسه في أوائل الشهور ، وإنما كان يرسل
الاوصالاتى وللجيران مع امرأة من طرفه ويظهر أيضاً أنه كان يتجنب مقابلاتي
بقدر الامكان لئلا أطلب اليه إصلاح شئ بمنزله الذى هو أدري به .

* صحتها خمس وعشرون سنة ولكن البلاغ الرسمى أخطأ في هذه العملية
لحساية البسيط

حضرت أم خليل مرتين في هذا الشهر وبصحبتهما نساء أخريات من سكان الحارة من اللواتي كان لهن أولاد أيضا بالسلطنة العسكرية فقرأت لهن خطابات أولادهن وكتبت الردود وكانت أم خليل تفخر عليهن بتقديم هذه الخدمة اليهن ، وكنت في أثناء جلوس النساء على باب المنزل أكلمن وأنا مطرق برأسي إلى الارض لا أنظر اليهن إلا قليلا ، وذلك ليزداد الاعتقاد عندهن بأنني رجل طيب . وكنت في أوقات الصلاة أصلي كثيراً وأرفع صوتي عند أدائها كي يسمع الجيران .

[المذكرة الثالثة]

نوفمبر عام ١٩١٩

خرجت في هذا الشهر ثلاث مرات في الليالي المظلمة لمدة وجيزة وكنت عقب العودة إلى المنزل في كل مرة أشعر بخدر شديد في الأرجل لا ينتهي حتى يمر وقت طويل وذلك ناشئ عن قلة الحركة .

لما كنت مدعياً أنني من أهالي الفيوم وكانت الفيوم مشهورة بين الناس بمحصولات خاصة كالقواكه والدجاج والحبوب رأيت أنني لو اشتري ليلاً ما أستطيع من هذه المحصولات وأبعث نهراً بشيء منها إلى بعض الجارات باعتبار أنها وصلتني هدية من الفيوم لكان من شأن هذا العمل أن يزيد في

اعتقاد الناس أننى من الفيوم حقاً ، ويجذب قلوبهم نحوى ، ولا يجعلهم يفكرون كثيراً فى أمر عدم خروجي من المنزل وفعلاً فى إحدى مرات خروجي ليلاً خاطرت ووقفت أمام أحد البقالين البعيدين عن المنزل واشتريت منه عدساً ثم اشتريت فريكة من غيره . وفى اليوم الثانى أخبرت أم خليل أن ابن عمى زارنى فى الليلة الماضية وأحضر لى هدية ، ثم ناولتها شيئاً من الصنفين لها ولغيرها وكنت أحياناً أذكر لها أن أحد أقاربى كان عندى أو أنه سيزورنى عما قريب ولا أذكر ذلك إلا فى الليالى التى يخيم فيها الظلام فى أرجاء الحارة ولم يكن بداخلها كهرباء ولا كانت النساء يطلن جلوسهن أمام الأبواب فى ليالى فصل الشتاء وكثيراً ما كنت أعمد إلى باب المنزل فأفتحه برهة ثم أقفله إيهاماً بدخول الناس عندى . وقليل ما كنت أخرج من المنزل وقت الغروب فأسير حتى إذا ما انتهيت إلى أول الحارة قفلت أدراجى عائداً إلى المنزل ، ولا أبغى من ذلك إلا أن ترانى أعين الناس .

كانت أم خليل تقوم بغسل ملابسى وكانت تأخذها إلى منزلها وبطبيعة الحال تخلطها بملابسها وربما بملابس غيرها أيضاً مما لا علم لى به ولا تأتى بها إلا فى اليوم التالى وكنت إذا فحصت هذه الملابس التى يقال عنها إنها نظيفة ومغسولة وجدت بها قملاً كثيراً وكان ذلك مما يزيد فى آلام معيشتى وكانت هذه المرأة بعينها هى التى تطهو لى طعامى إذا احتجت إلى ذلك وكانت تقوم بطهو الطعام لى فى حللها الصدئة وهذا ما كنت أجزع منه وتقل شهيتى بسببه وقت تناول الطعام ولم يكن موقفى يسمح لى بأن أشير أمامها عن قرب أو بعد إلى شىء يمس عاداتها أو أحوالها الخاصة بالاصلاح والتعديل لأن سوء النية يسارع إلى خيالات هذه الطبقة إذا خاطبهم أى شخص يعتقدون أنه أغنى منهم ولو قليلاً عند ما لا يكون موقفه أمامهم موقف ذى السلطة عليهم وعلى ذلك إذا أنا ففت بنصيحة ما أمامها خشيت أن تنقطع بتأتاً عن الحضور وكلما كان الانسان جاهلاً كان إدخال الاصلاح إلى شؤونه

من أعسر المهام واستلزم ذلك سياسة في القول ترمى إلى مخاطبة الشعور بعيداً عن العقل .

لم أكن أرغب في مقابلة أحد من سكان الحارة لم يرني من زمن بعيد لأن شعر رأسي ولحيتي أصبح كثأ بلا نظام ولا ألبس فوق الرأس إلا عمامة قديمة ولكن على حين غرة طرق سمعي صوت المليجي صاحب المنزل وهو يتكلم في الحارة فجريت إلى لقائه وعدت بوعده أنه يرسل لي بناءً لتقوية حافة الجدران المتخلخلة من أثر الرياح ، وقد أنجز وعده وأصلحت الجدران وسدت بعض ثقبها وكان المليجي هذا بينما يماطل سكان منازل الأخرى في عمل الإصلاحات ولا يرعى لهم خطراً إذا به يسعى في كل مناسبة لكسب رضائي ويمدحني في غيابي أمام أهل الحارة وكل ذلك كي أستقر في منزله ولا أتقل منه لأنه منزل إذا تركه الساكن فيه فميهات أن يرضى به مخلوق وبما لا ريب فيه أن كلمات الحمار التي فاه بها أمام المليجي في أول مرة التقيت به (كما هو موضح بالمذكرة الأولى) لم تذهب سدى بل تركت أثراً طيباً بخصوصي في ذهن الرجل وكان لمدحه في شخصي أمام سكان الحارة وهو الرجل الذي يمتلك فيها عقارا كثيراً أثر عملي يعود على الفائدة ومع أن المليجي لا يذكر هذا المدح على كل حال إلا ليرجو من ورائه غرضاً شخصياً وهو كسب رضائي فالسامعون لا يلتفتون إلى هذه المآرب وياخذون الكلام حسب ظاهره .

[المذكرة الرابعة]

ديسمبر عام ١٩١٩

لم يكن عندى كتب أتسلى بقراءتها كما لم يكن هناك إنسان أستطيع أن أتحدث معه إلا دقائق معدودة لا تغنى فتيلة فى بحر الأربع والعشرين ساعة ورغم أن النفس كانت مشبعة بالآمال ومسرورة من خيمة البوليس الخيمة الكبرى إلا أن الوحدة التامة والمنزل غير الصحى وعدم الحركة والمعيشة غير المألوفة كان أثر ذلك كله على حساب جسمى الضعيف البنية وكانت النتيجة أن قل مقدار طعمى

كنت أتمنى أن يحضر إلى منزلى كثيرات من نساء الحارة لقراءة الخطابات وكتابة الردود لأن ذلك العمل كان يخرق نطاق العزلة التى ضربت أطناها حولى ولكن الأمر لم يكن على ما أشتى إذ أن عددن كان قليلا وما يصلهن من الرسائل كان أيضاً كذلك وكان يجيئن إلى إما فرادى وإما جماعات وكن يجلسن على باب منزلى ريثما أقرأ الخطابات وأكتب الردود ولا يطلن الحديث لشغفن بالقاء الخطابات فى صندوق البريد بأسرع ما يمكن ما دام أنها قد كتبت ولذا لم يكن لأحاديثهن تأثير يذكر فى تخفيف وطأة العزلة وقد تعلمت من تعدد تحرير الرسائل لهن كيف أجعل أسلوبى جذاباً فى نظرهن وكيف أجعلن يعتقدن أنى أهتم لأمورهن الاهتمام كله وذلك بسيرى على سنن ميولهن عند قراءة الخطابات كأن أكرر القراءة مراراً وأعيد القول كلما طلبن ذلك ولا أرد لهن طلباً وتلك هى ميولهن عند الاستماع لشيء يقرأ ومن الغريب أن هناك أسلوباً خاصاً قد ألف العامة

جميعهم استعماله في محرراتهم ولا تطمئن قلوبهم إذا حاد الكاتب عنه . ومن أمثلة ذلك أنهم يبدون الخطاب بالعبارة الآتية (بعد السؤال عن صحتكم وصحة سلامتكم التي هي غاية القصد وبلوغ المراد من رب العباد آمين) ثم يعقب ذلك على الفور أسماء أشخاص ويلحق بكل اسم منها جملة (وسلخوا لنا على) وتكرر هذه الجملة بعدد مرات الأسماء ثم تذكر المطالب والأخبار وتكرر الفكرة مرات عدة وبمثل هذا الأسلوب يكون الكاتب كاتباً عبقرياً في نظرهم وينال المسكينة السامية في قلوبهم

وكان مما يحدث أحياناً أن ترسل إحداهن لولدها داخل الخطابات تماًم صغيرة واهمة بناء على تأكيدات دجالين مشهورين بالقاهرة يطلقون عليهم اسم المشايخ أن هذه التمام تشفى من جميع الأمراض وتحمي ابنها من فتك المدافع والسيوف وقد لقيت هذه العقائد مني اهتماماً خاصاً للبحث في كتبها منذ ذلك الوقت اهتمام من يجد للعشور على أى موضوع يقدمه مادة لدولاب الفكر الذى إن لم يجد ما يشغله سحق نفسه بنفسه وقد رأيت الفرصة سانحة لدراسة عقلية العامة عن كذب وأغنى بهم أولئك الذين جمعوا بين الجهل والفاقة وقد استغرق البحث إلى سائر أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية

أتت إلى أم خليل يوماً وقد علت وجهها أمارات الحيرة وقالت لى إنها ستكشف عن المجيء إلى منزلى وإن هذا اليوم هو آخر يوم تأتى إلى فيه فاستوضحخت الخبر منها باهتمام زائد فذكرت لى أن نساء الحارة يعيرنها بالدخول فى منزل رجل أعزب وأنها بناء على ذلك قد وطدت العزم على عدم المجيء بتاتا فهدأت روعها وقلت لها إننى كاذبة ولا يهمها كلام يصدر من أحد غيرى وأن العيش والملح يخونانها إذا اهتمت بكلام غيرى وتركتنى لأتتى أفضلها عن أية واحدة أخرى وأنتى من الآن فصاعدا سأزيد فى أجرتها اليومية وبعد خروجها أدركت أن إشاعة غناى جعلت نساء الحارة يعتقدن أنها

أصبحت في بحبوحة من العيش من جراء خدمتها لي وأنها تختلس ما تشاء من النقود يوميا عند شراء لوازمي ولا مرأ في أن من علق بنفسه عيب خاص سولت له نفسه بغير عمد أن يصم الناس كافة بهذا العيب المعين ولا يستطيع أن يرى الحياة إلا في مرآة تعكس عليه دخائل نفسه وعلى ذلك لما كان كل نساء الحارة لا يتأخرن عن سلب غيرهن إذا استطعن إلى ذلك سبيلا كانت وجهة نظرهن نحو أم خليل هي أنها لا بد محتلسة شطراً من النقود التي تتناولها من يدى لشراء الحاجيات ولما كان سلوكها على هذا النحو مقررأ في أخيلتهن سألت كل واحدة نفسها لماذا لا تسعى في طرد أم خليل من هذه النعمة السابعة لتستولى وحدها على تلك الخيرات العميمة . فلما اتحدت وجهات النظر أفضت كل واحدة إلى أختها بما يكمنه صدرها فآتمر الجميع بتلك المرأة ونصبن لها الشراك وكانت الخطة المدبرة هي أن يرشقنها بنبال السكلمات القارصات تلك التي تمس الوتر الحساس في أفئدة أمثال تلك المرأة فيوغرن بذلك صدرها ويخرجن مركزها فتمتنع عن الحضور ويخلو بذلك لهن الجو

أقول لما أدركت ذلك اهتممت للأمر كثيرا لأننى إذا لم أقم على الفور بتهيئة الجو بشكل يرضى أم خليل فأنها لا محالة متخلقة عن المجيء إذا دام الأمر على هذا النحو لما أعده فيها من التصرفات ولو تم ذلك للحقنى ضرر بالغ لأنها امرأة قد بلغت بحق المقام الأعلى في أماتها وحنانها وإذا حل غيرها محلها فعنى ذلك أن يد الخيانة استطاعت أن تنشب أظفارها في نقودى وهى كل ما أملك من العضد والسند فى محنتى هذه .

والآن كيف أقضى على هذه الرواية التى تمثل فى الحارة . إن الأمر يقتضى العجلة ويدعو إلى عدم نقض السياسة التى أترسم خطاها مذ وجدت فى هذه الحارة وهى أن أرضى الجميع وأوجد لى جوا من المدح والثناء وأبعد عنى العداء .

وأخيرا انتهى الرأى الى خطة أضمرتها فى نفسى لأنفذها كلما سنحت

الفرصة بذلك واستمرت أم خليل تأتى يوميا ولكنها لا تدخل المنزل بل تترك المياه على بابه وأنا الذى أحملها الى الدور الثانى وبعد أيام قليلة حضرت امرأة لقراءة خطبها وهنا سنحت الفرصة لتنفيذ مابيت الرأى عليه فلما نادى المرأة وكررت النداء قلت لها أنا مشغول الآن ولم أنزل اليها فذهبت وعادت بعد قليل ونادت ثانية فرددت عليها من فوق بأنى مشغول ولا أستطيع النزول فذهبت على الفور الى أم خليل ورجتها فى الحضور معها وما أن حضرت معها أم خليل ونادت حتى نزلت مسرعا ورحبت بها وأدبت المطالب بكل عناية وبعد أيام أخرى حضرت امرأة غيرها لقراءة خطبها أيضا ونادت فعرفت صوتها ولم أرد عليها فتوجهت من فورها الى أم خليل وبحضورها معها تم المطلوب على خير مايرام فعرف أولئك النسوة بطريقة عملية أن لأم خليل حظوة عندى لا يعادلها شئ آخر وأنها السكرتير الخاص لي وأنهن بناء على ذلك محتاجات لاسترضائها كي تؤدى لهن هذه الخدمات المجانية التى يدفعن لاجلها نقودا إذا ذهبن لآى واحد من الكتبة العموميين كما كن يفعلن سابقا وكان لأم خليل الفضل وحدها فى إحضارهن إلى من بادى الأمر فعقلن السننهن فى حناجرهن وبدلا من ترمى الألفاظ عليها حين سيرها تبدلت الحال وأصبحن يتقربن اليها ويقلن لها سلمى لنا على سيدنا الشيخ ولما شعرت أم خليل بأننى أرفع من شأنها وأنهن يحتجن اليها أصبحت تتدلل وتفخر عليهن وتباهى بمجيئها إلى وشيئا فشيئا تغيرت نفسيته وصارت تدخل المنزل وتحمل المياه الى أعلاه وعادت الأمور الى سابق عهدها.

== (المذكرة الخامسة) ==

يناير عام ١٩٢٠

ضعفت صحتي كثيراً من جراء الوحدة والصمت التام حتى كنت أرجو من الله أن يمن عليّ بواحد يتكلم معي على أن يأخذ لنفسه طعامي وشرابي ولكن لا حيلة في ذلك مطلقاً إذ بينما أريد أن أتكلم مع الناس إذا بي أريد في الوقت عينه عدم الكلام مع أحد لئلا يفرط مني في أثناء الحديث ما تضرني عاقبته وبالأجمال كان الوقت معقداً وحالي مهتدة بضرر صحي خطير واستمرت صحتي تتقهقر وشهيتي إلى الطعام تتضاءل حتى أصبح يكفيني من الطعام في الوجبة الواحدة عدد قليل جداً من الزيتون أو بيضة واحدة فاذا زدت على ذلك في أي وقت صباحاً أو ظهراً شعرت كأني أصبت بتخمة .

خرجت في هذا الشهر أربع مرات ليلاً وكنت أبحث في الأزقة في أثناء سيرى عن أي شحاذ لأعطيه مليماً كي يقف للكلام معي قليلاً وكانت مشاغلي في المنزل لا تتعدى قراءة الصحف والتأمل في نقوش ورق النقد وخص حالة المنزل حتى أنني عدت به من أشكال وأنواع الحشرات والهوام ما يربني على سبع عشرة وكان شغفي بشراء الصحف كبيراً لأنني أجعلها سلوتي طوال النهار وحين اقتراب ميعاد مرورها أمام منزلي مساء كنت أنصت لنداء الباعة إنصاتاً شديداً وكثيراً ما كان سمعي يخدع ويخيل إليه تماماً أن الأولاد ينادون . الأخبار . الأخبار . وهي جريدة الوفد الكبرى وقدنفأ تاهب للنزول ثم أنتظر طويلاً وطويلاً أنتظر وأخيراً ينتهي الانتظار

إلى غير جدوى ويكون الأمر كالسراب يحسبه الظمآن ماءً فلا أولاد هناك ولا جرائد وكان انخداع أوتار السمع هذا أحد مضايقاتى. اشتدت برودة الجو واشترت لى أم خليل أقشة أخرى وفصلتها عند الخياطة.

== (المذكرة السادسة) ==

فبراير عام ١٩٢٠

شهر المحاكمة غيابياً

عقدت محكمة جنائيات الاسكندرية جلساتها فى غضون هذا الشهر للنظر فى قضية الاعتداء على محمد سعيد باشا رئيس الوزراء الذى استقال فى نوفمبر عام ١٩١٩ جاء فى جريدة الوقائع المصرية (وهى الجريدة الرسمية) الصادرة فى يوم الخميس ١٥ جمادى الأولى عام ١٣٣٨ الموافق ٥ فبراير عام ١٩٢٠ عدد ١١ ما يأتى:

طلب حضور متهم

نحن رئيس النيابة العمومية عن الحضرة السلطانية بمحكمة الاسكندرية الأهلية الكائنة بشارع رشيد نكلف المحضر بأن يدعو محمد شكرى الكرداوى عمره ٢٦ سنة طالب طب بالأسنانة سابقاً مولود ومقيم بالمنصورة وغير معلوم له محل إقامة الآن بالقطر المصرى إلى الحضور فى جلسة الجنائيات التى ستعقد فى المحكمة المذكورة فى يوم الأربعاء ٢١ جمادى الأولى عام ١٣٣٨ (١١ فبراير عام ١٩٢٠) الساعة ٩ أفرنكى صباحاً لمحاكمته بمقتضى المواد ٤٠ ٤١ ٤٢ ١٩٦ ١٩٧ ٤٥٦ ٤٦٦ عقوبات فى قضية لأنه اشترك فى الجريمة الموجهة إلى سيد على محمد فانه مع علمه بالجريمة وإتفاقه مع الفاعل

الأصلى على ارتكابها رافقه من كفر الزيات إلى الاسكندرية يوم الجمعة ٢٩ أغسطس عام ١٩١٩ الموافق ٣ ذى الحجة عام ١٣٣٧ وأرشده عن منزل المجنى عليه (صاحب الدولة محمد سعيد باشا) ووصفه له وأرشده عن الطريق الذى يمر منه ووصف له السيارة التى يركبها وأعطاه آلة الجريمة وهى القنبلة * فساعده بذلك على ارتكاب الجريمة فوَقعت بناء على ذلك فى يوم ٢ سبتمبر عام ١٩١٩ بجهة شارع جناكليس بقسم الرمل باسكندرية .
هذا الاعلان نشر فى الجريدة الرسمية فى عام ١٩٢٠ ، ولم أطلع عليه إلا فى عام ١٩٣٣ . وقد بدأت المحكمة جلساتها فى يوم ١١ فبراير ١٩٢٠ ثم تأجلت إلى يوم ٢٣ فبراير عام ١٩٢٠ وبلغ عدد شهود الاثبات فى القضية ٢٥ شخصاً .

جلسة المحاكمة

انعقدت المحكمة فى يوم الاثنين ٢٣ فبراير عام ١٩٢٠ (الموافق ٤ جمادى الثانى عام ١٣٣٨) وكذلك فى يومى ٢٤ و ٢٥ منه بمحكمة الاسكندرية برئاسة عبد الحميد باشا رضا وعضوية حافظ بك لطفى والمستر كرشو وجلس فى كرسى النيابة محمد زكى الابراشى بك

المحامون

عن المتهم الأول الشيخ سيد على محمد الأستاذ احمد مرسى بدر
عن المتهم الثانى الغائب محمد شكرى السكرداوى الأستاذ محمد حسيب
ولسكنه لم يترافع لغياب المتهم الثانى المنتدب عنه

* قرر المعمل الكيماوى بأن الذى كان فى السلة تحت العنب قنبلتان القيتا على رئيس الوزراء وذكرت النيابة أمام قاضي الاحالة وأمام محكمة الجنايات أنهما كانا قنبلتين والشيخ سيد الذىلقى السلة على رئيس الوزراء خيل اليه أنهما قنبلتان كذلك ولكنى أنا الذى ملأت السلة بعد حشوى القنبلة أقرر الحقيقة الان بأن الذى كان داخل السلة قبله واحدة فقط فرقت مرتين وسمع لها صوتان متواليان وكان ذلك مصادفة ولم يكن مقصودا

عن المتهم الثالث الشيخ محمد محمد خليفه الأستاذة احمد وجدى بك
ومحمد العراجى افندى ومحمد أبو شادى بك

كانت جريدة وادى النيل أكثر الجرائد اهتماما بنشر ما دار فى أثناء
المحاكمة من المرافعات بالتفصيل وذلك لوجودها بمدينة الاسكندرية على
مقربة من المحكمة وسنقل هنا ما جاء باعدادها الصادرة فى أيام ٢٤ و ٢٥
و ٢٦ فبراير عام ١٩٢٠ وكذلك بأعداد المقطم والأهرام وهذه الأعداد
محفوظة الآن بدار الكتب الملكية بباب الخلق تحت طلب القراء .

ترافعت النيابة فى الساعة ٨ من صباح يوم ٢٤ فبراير عام ١٩٢٠ وجاء
ضمن أقوالها ما يأتى :

عن المتهم الثانى الغائب : أنه سافر إلى الأستاذة ثم عاد إلى مصر
واعقل عام ١٩١٥ ثم أفرج عنه واتهم بتدبير مؤامرة سياسية ثم أفرج عنه
وأخيرا أعيد اعتقاله وبقي معتقلا إلى يوم ٢٥ أكتوبر عام ١٩١٧ ، وقال
عن أخلاقه أنه كان شديد الحرص قليل الكلام ، لا يتعرف بأحد ولا يطلع
الغير على حقيقة أعماله .

هو الرأس الذى اقترح الجريمة ودبرها ، فأحضر القنابل بدليل اعتراف
المتهم الاول ولكن اعترافه يدلنا على أنه لم تكن هناك صداقة قديمة بينه
وبين المتهم الغائب ، بل كل ما هناك هو مقابلة صدقة قبل وقوع الجريمة
بزمان يسير على أن ارشاد المتهم الاول إلى اشتراك الثانى لم يكن واضحا
بجلاء لولا ما بذله رئيس نيابة المنصورة من الهممة فقد قال المتهم إن أحد
شركائى هو محمد شكرى فقط ولم يذكر باقى اسمه وذلك ناتج من شدة حرص
الكرداوى على اخفاء اسمه ويدلنا على وجود شكرى الكرداوى بالاسكندرية
فى يوم ٢٩ اغسطس عام ١٩١٩ شهادة اسماعيل ومحمود البرعى واعتراف
المتهم الاول .

ولخصت جريدة المقطم أقوال النيابة في عددها الصادر في يوم ٢٥ فبراير عام ١٩٢٠ كما يأتي (هذا المتهم الغائب قبض عليه في عام ١٩١٥ في ابريل بتهمة الاعتداء على المرحوم السلطان حسين كامل ثم أفرج عنه واعتقل ثانية سياسياً وظل في الاعتقال الى ٢٥ اكتوبر عام ١٩١٧ فأخذ يتاجر ثم جاء الى الاسكندرية للمعالجة . وأخذ يصفه أخلاقياً بأنه شديد الحرص وأنه لم يحدث أحداً أو يبيع بشئ يثبت وجوده وكان يقول للمتهم في القطار أثناء السفر الى الاسكندرية أكتب وصيتك ونحن ننشرها على الشعب المصرى مع رسمك ولذلك ذهب المتهم الاول إلى المصور) هو محمد على خالد افندى المصور بالاسكندرية

قالت الاهرام في يوم ٢٥ فبراير عام ١٩٢٠ : من أخص صفات المتهم الثانى الغائب الكتمان والحرص فانه كان يكتم كل ما يفعله حتى عن شهود الاثبات وكان قليل الكلام ، أراد عند تدبير الحادثة أن ينزل إلى الاسكندرية ولكن لم يشأ أن يدع أحدا يعرف شيئاً عن أعماله ، وقد كان في حادثة الاعتداء هو المدبر للجريمة وهو صاحب القنابل ومدير الحركة ويرشد الجانى إلى آخر ما يستدعيه الارشاد حتى ارتكاب الجريمة .

دفاع حضرات المحامين

ملخص مرافعة الاستاذ احمد مرسى بدر (نقلا عن جرائد وادى النيل)

إن واجبى هو الدفاع عن المتهم الاول وهو واجب شاق لانه اعترف بكل شئ، ولكنه واجب مقدس بحكم المهنة وبحكم أن العامل الذى دفعه على ارتكاب هذه الجريمة إنما هو عامل شريف متأثر بعاطفة حب الوطن فلو أن هذه الجريمة كانت من الجرائم العادية لكنت أكتفى بطلب الرأفة ولكنها جريمة سياسية وقعت في ظروف مخصوصة وفي أوقات عصيبة انقلبت الامة فيها رأساً على عقب وتطورت أفكارها وإذا قيل إن المتهم أخطأ في

ظنه أن خدمة مصر لا تكون إلا باغتيال الوزير فقد كان الرأي العام يرى أنه لا يحق لمصرى قبول هذه الوزارة لافرق في ذلك بين القاضى ووكيل النيابة وغيرهما .

ملخص مرافعة الاستاذ احمد وجدى بك المحامى

(تقلا عن جرائد وادى النيل)

زادت صفحات التحقيق عن ٩٠٠ وسألت النيابة ٦٠٠ شخص ثم قال يجب أن ينظر إلى الظروف والأفكار التى كان منساقاً بها المتهم الأول فما هو حظ هؤلاء الشبان الذين يرتكبون الجرائم اليوم ؟ هل يريدون جاهاً ؟ هل يريدون مالا ؟ كلا فانهم يخدمون مبدأ يعدونه حقاً ، ويضحون لأجله بارواحهم بصرف النظر عما إذا كانوا مخطئين أم لا . لقد كنا ننتظر أن ننظر النيابة إلى هذه القضية بغير العين التى نظرت بها ، ولكن للأسف لم نجد لذلك أصلاً ومع ذلك فان العقاب الشديد ليس هو الدواء فاذا أردتم انقطاع الجرائم فارجعوا إلى أسباب الجرائم وانتزعوها وهناك يرجع الأمن إلى البلاد . ثم قال ذكرت النيابة أن الخلاف فى الآراء السياسية لا يكون مؤدياً إلى القتل وأن الصحافة كفيلة بان تقوم بالدفاع فليكن ذلك أعطونا صحيفة واحدة حرة ونحن نكتفى بذلك ففي هذا اليوم نفسه أقفلت جريدتان يوميتان . ثم قال . تقول النيابة إن المتهم كان يشتغل بالسياسة فى الحركة الأخيرة وكان يخطب فى الجوامع ومن من الناس لا يشتغل بذلك ؟ وهل بعيد أن يكون شخص مثل الشيخ خليفة زعيماً لأهل بلده فى المطالبة بحقوقهم المهضومة .

أنظروا إلى قادة حركتنا اليوم . أنظروا إلى هذا الوكيل الجالس فانه كان يقود الحركة السابقة وكان من ضمن المضربين فهل يعد مسئولاً عن كل حركة فى البلد . إنه لو صح الأمر لحشينا على أنفسنا لانه ليس بيننا نحن المحامين من لم يشتغل بمثل هذه الحالة .

ملخص دفاع الاستاذ محمد العراجي المحامي

(نقلا عن جرائد وادي النيل)

بدأ كلامه بلفت نظر المحكمة إلى نقطتين وهما (أولا) بحجى شكرى إلى منزل خليفة فان النيابة قالت إنها بحثت عنه في كافة فنادق كفر الزيات فلم تقف له على أثر وكان الواجب عليها أن تبحث عن شخص غريب بات في كفر الزيات لأن شكرى الرجل الحريص كما تقول النيابة لا ينام في فندق ويقول عن اسمه الحقيقي (ثانياً) أن الشيخ خليفة قال في مذكراته إنه في يوم ٢٩ مايو عام ١٩١٩ ابتداء حياته السياسية الحقيقية فانه كان يقصد بذلك اشتغاله بمسألة جمعية العمال كما شهد بذلك الشهود

ملخص دفاع الاستاذ محمد ابوشادى بك المحامي

(نقلا عن جرائد وادي النيل)

ان للرأى العام تأثيرا فوق كل تأثير فالرجل اندفع إلى ما عمل بقوة الرأى العام وقد قال لي أحد الوزراء الذين رفضوا مركز الوزارة إنه قال حين سؤاله عن سبب رفضها إنه لم يجد مساعدة من الرأى العام . صدقونى إن الحركة القائمة في البلد أحيت الاموات فان المترافع أمامكم اليوم - يعنى نفسه - قضى عليه الطبيب ألا يترافع ومع ذلك فانى كنت أذهب إلى الازهر وأخطب وقد ذهبت إلى رفح وطالما أكلت من عيشه ولكن ذلك لا يمنعنى أن أخدم بلادى.

النطق بالحكم

صدر الحكم في الساعة الحادية عشرة صباحا في يوم ٢٥ فبراير عام ١٩٢٠ قال الرئيس : يجب على الجمهور أن يقابل الحكم بالسكوت لا بالاستحسان ولا بالغضب . ثم قال

حكمت المحكمة غيايبا بالنسبة لمحمد شكري الكرداوى وحضوريا بالنسبة لباقي المتهمين .

أورو — بالأشغال الشاقة عشر سنوات على الشيخ سيد على محمد

ثانياً — بخمس عشرة سنة على محمد شكري الكرداوى « الغائب »

ثالثاً — ببراءة محمد محمد خليفه

بعد النطق بالحكم هتف الجمهور لمصر بالحرية والاستقلال وحدثت في غرفة الجلسة مظاهرة سلمية صغيرة

حيثيات الحكم

جاء في جريدة وادى النيل الصادرة يوم الجمعة ٢٧ فبراير عام ١٩٢٠ ما يأتى

جاء فى حيثيات الحكم ما يأتى

حيث أن المحكمة ترى من ظروف الدعوى معاقبة هذين المتهمين (سيد على محمد ومحمد شكري الكرداوى) بالمادة ١٧ من قانون العقوبات مع التفرقة بينهما لانه ظهر للمحكمة أن المتهم الثانى محمد شكري الكرداوى هو الذى جراً المتهم الاول لارتكاب الجريمة وأحضر له آلة الهلاك وأرشده الى كل ما أوصله لتنفيذها وأن سيد على محمد لحداثه سنة انقاد لكل ارشاداته وحيث أن الادلة المقدمة على إثبات التهمة على المتهم الثالث محمد محمد خليفه لم تكن كافية لادانته ترى المحكمة برامته عملاً بالمادة ٥٠ من قانون تشكيل محاكم الجنايات .

[المذكرة السابعة]

مارس عام ١٩٢٠

خرجت في هذا الشهر أربع مرات ليلاً وكانت العادة تستدر جنى لافسح دائرة التجوال زماناً ومكاناً فذهبت أسرح الطرف في حى السيدة سكيته باحثاً عن دكان حلاق يكون صغيراً ، فعثرت على دكان قبالة مسجد السيدة سكيته قد أخنى عليه الدهر وكان هذا هو الذى أستطيع أن أجلس فيه ساعة من الزمن بقليل من الحذر ، فدخلت فيه ولأول مرة منذ سبعة أشهر أنظر في مرآة لأرى نفسى وأخلع عمامتى لأقص شعر رأسى ولحيتى وناهيكم بمنظر الشعر الذى نبت في خلال شهور سبعة بغير نظام أو تنسيق . ولعمر الحق إن منظرى في المرأة لم يعجب صاحبه وبدأ (الأسطى) ابراهيم الحلاق يتولى عمله في نور ضئيل ويجود بالكلام الكثير ثم يصمت حيناً بعد حين ليعرف هل مللت من الحديث أم أرغب في المزيد فيزيد . ومادرى أن صوت مقصه ونبرات صوته يقعان في نفسى موقع الماء القراح في جوف ذى الغلة الصادى وأين لى مذ سبعة أشهر أن أرى أنيساً يتجاذب معى أطراف الحديث فأنصت له وينصت لى مدة نصف ساعة !! ولهذا السبب قد أصبحت ألفاظ هذا الحلاق التى تثقل على السمع ولا تساوى نقير أهى فى أذنى أنا وحدى أمتع النغم وأجمله .

حقاً إنه حلاق بلدى بكل معانى الكلمة ما ان يفتاحه الذى يحلق بكلمة واحدة حتى ينطلق لسانه من عقاله كما تنطلق اسطوانة الحاكي فى مجراها الذى رسم لها ولكن إلى غير وقوف . ولا شك أن مثل هذا الحلاق غير مرغوب

فيه ، ولكن أعجب العجب أنه هو بعينه الذى يناسب حالتى ، والذى أبحث عنه فلا أعثر عليه ، ولو كان من الميسور أن أذهب إليه كل ليلة للنكلم معه لفعلت ولكننى صرت أذهب إليه مرة واحدة فى الشهر على الاكثر حذر المفاجآت التى أخشاها كثيراً . وقد أخبرته فى أول الامر عند بدء العمل أننى كنت مريضاً لا أخرج من المنزل وأن هذا هو أول يوم شفيت فيه ولذا يرانى لم أخلق رأسى منذ أمد طويل وأريد منه أن يقص لحتى مع ترك قليل منها .

كان بجوار منزلى شرقاً وغرباً منزلان صغيران أحدهما كائن بنفس العطفة والآخر يفتح بابه على الحارة وبينى وبينه نافذة صغيرة فى أعلى الجدار وكنت دائم الانصات لما يدور من الأحاديث بين سكان هذين المنزلين كى أكون على بيئة من اعتقاد الناس فى أمرى وهؤلاء الناس يرددون فى أحاديثهم كل ما يحول فى خواطرهم أو يتصل بأسماعهم بأصوات على الدوام مرتفعة دون أن يلحظوا مداها ، وأحاديثهم لا تخلو أحياناً من ذكر اسمى مقروناً بشئ ما وإذا خلا هذان المنزلان من السكان كما كان يحصل أحياناً أصبح الجو موحشاً وحشة تامة وإذا عمرا كان لى من جراء ذلك بعض التسلية وبعض الفائدة أو الضرر .

كان من المقرر عندى أن الناس يلاحظون أننى لا أخرج من منزلى رغم كل ما أذيعه عن نفسى ولكننى لا أعلم على وجه التحديد إلى أى مدى يكون ذلك مادة لأحاديثهم وموضوعاً لاهتمامهم . إنى لا أرى أن أهم فى بيده الحسد والتخمين وأريد برهاناً مادياً يكون أمامى كالمثقال يضعه الانسان فى الميزان فيزول الشك أمام اليقين وذلك لأن العامة كثيراً ماتمر أمام أبصارهم حوادث ناطقة ولكنهم يملكون عليها وهم عنها معرضون ، وقليل هم أصحاب البصر والفكر ، وكان يوجد فى مسألتى بصفة خاصة شئ من شأنه أن يثير العجب عند كل من يسمع به ولولاه لما فكر إنسان فى موقفى بتاتا ولما

خشيت شيئاً أصلاً ، وهذا الشيء هو أنى رجل وحيد ملازم لبيتي ولا أخرج منه وقد جرت العادة أن المرأة هى التى لا تخرج من منزلها . أما الرجل فدأبه الخروج ، وكنت على يقين من أن هذه النقطة المخالفة عادات الناس هى منحدر الخطر إذا لحقنى يوماً من الأيام ولكن ماذا أعمل لقد كنت مكتوف اليدين بلا ناصر ولا معين وما عملته هو جهد المقل ولو كان هناك فرد واحد يعرف أسرارى ويرضى أن يساعدنى لأمكن تأجير منزل آخر فى جهة أخرى بعيدة وبتركى هذا المنزل وانتقالى إلى جهة بعيدة يزول شبح هذا الخطر بتاتاً وتتغير الظروف والأحوال ثم إلى أن يبدأ الناس يلاحظون علىّ شيئاً يخالف العادة أكون قد انتقلت إلى جهة أخرى وهكذا دواليك ، ولكن مع الأسف لم يكن لى أحد بهذا الوصف ، ولا أستطيع أنا وحدى أن أستأجر منزلاً فى جهة أخرى لأن البحث عن المنازل لا يكون إلا نهائياً وأنا لا أجرؤ على الخروج نهائياً . وحدث فى يوم من أيام هذا الشهر بينما كنت أسترق السمع لحديث الجيران أن عرفت يقيناً أن الناس يتحدثون فى علة عدم خروجى من منزلى وعدم رؤيتهم لأحد من الخارج يزورنى . نعم إنهم كانوا يتكلمون لمجرد الكلام ولا يرمون من وراء ذلك إلى إيصال الأذى أياً كان مقداره ولكن هذه بذور تزرع وإذا لم تحتث من أصولها استفحل ضررها . فلما سمعت ذلك اهتممت للخبر أيما اهتمام وتجسم شبح الخطر أمامى وعرفت أن الاشاعات التى أذعتها عن طريق أم خليل من أنى أخرج كثيراً ويزورنى كثيرون قد أفادت ولكن إلى حين فإن مرور الزمن الطويل جعل الواقع يصطدم بهذه الاشاعات فيقضى على سلطانها ، وكذلك جلوس نساء كثيرات على أبواب منازلهن فى الحارة طوال اليوم مع معرفتهن التامة بكل من يدب على أرضها وتدخلهن فى ما يعنى وما لا يعنى كان مصدراً لاشاعات عدم خروجى من المنزل .

والآن ليس من الصواب ، وقد بدأت العقول تتحرك أن

يحتال الانسان على العقول بنفس الطريقة التي بليت ، وإنما الصواب أن يبادر الانسان إلى سد الطريق على العقول قبل أن يتسع الخرق على الراقع وذلك بأن يلجأ إلى طرق الاقناع ويحشد براهين جديدة من النوع الذي اصبح جديراً بالموقف الجديد .

ليس للموقف علاج سوى أن أدعى حرفة من شأن صاحبها ألا يكون عليه حرج لو اشتغل بمنزله من غير أن يبرحه ولو وقفت إلى شيء من ذلك واشتهرت به لأصبح عدم خروجي من المنزل أمراً طبعياً في نظر الناس وكان أمامي مثل لذلك في نفس الحارة وهو أن بجواري منجداً يشتغل بمنزله مع عدة أفراد ولا يفكر فيهم أحد مطلقاً فلو كنت على علم بالنجارة أو النساجة أو التطريز أو التنجيد لاقتفيت أثره بلا أدنى خطر ولكني لا أعرف شيئاً من ذلك وهيئتي العامة ليس فيها سيما الصناعة ، وإنما غلب عليها مذآقت بهذه الحارة طابع الفقهاء والأزهريين ، وبهذا عرفت بين الناس وخطت ملابسي طبقاً لهذا الزي . وقد عضد هذا المظهر كثرة سماع الناس لي وأنا أؤدي فروض الصلاة في أوقاتها ، وعلى ذلك قد فكرت طويلاً علني أجد حلاً يتلاءم مع مظهرى وملبسى ، وأخيراً انتهى التفكير بأن أدعى أنني شيخ أكتب التلائم الشافية للأمراض والجالبة للأرزاق وأستحضر الأرواح وما إلى هذه الأعمال . ومن المعلوم أن جل من يشتغلون بهذه الأمور لا يفارقون منازلهم وإنما تشد اليهم الرحال . ولقد جرأني على المغامرة في هذا الضرب من الادعاء أنني كنت طوال هذه المدة أدرس عقلية العامة ومنشأ أوهامهم وكيف يؤثر فيهم هؤلاء الدجالون ، حتى استوفيت كثيراً من النظريات في هذا المنحى ، وهذه النظريات هي رأس مالى الوحيد لهذا النوع الجديد من العمل ولا أستطيع بطبيعة الحال أن أسبق الحوادث بالتفاؤل بحسن النتيجة أو التشاؤم منها ، وإنما أرى أن هذا العمل الذى

عقدت النية عليه هو الطريق الوحيد الذى لا ثانى له لسلوكه مضطراً
أو مختاراً على السواء . وبناءً على هذا العزم خرجت ليلاً واشتريت مصحفاً
وسبحاً طويلة من جهة السيدة زينب واستحضرت فخاً وبخوراً من أحد
العطارين . ولما بلج الصبح أطلقت البخور زمناً طويلاً حتى تأرجح في كل
مكان . وقد تكرر إطلاق البخور في منزلى عدة مرات حتى انتهى هذا الشهر
قد أصبت بأرق طويل في أثناء النوم وفقدان للشهية وامساك لا أعرف
كيف أتخلص منه ، وذلك من جراء التزام الصمت الطويل وسوء المسكن
غير الصحي وعدم الخروج كما هو معروف .

[المذكرة الثامنة]

ابريل عام ١٩٢٠

بينما أنا جالس وإذا بالباب يقرع على غير ميعاد ففتحته فدخلت امرأة تسمى
زينب أم عطية من سكان الحارة لم يسبق لها أن خاطبتنى في أمر جل أو هان ،
ولكن صوتها كان يدوى أحياناً في أنحاء الحارة وكنت أعرفها عن طريق
صوتها . قالت هذه المرأة بصوت خافت يا سيدنا الشيخ ! قد سمعت أنك
تسحر وتكتب ولى عندك أمر هام لو أعطيته من عنايتك لأعطيتك كل
ما تطلب من نقود فقلت وما هو . قالت : كنت متزوجة من رجل حداد
اسمه محمود يشتغل بشارع سوق السلاح وقد طلقنى منذ عام والآن قد وصل
إلى على أنه يسعى للاقتران بامرأة أخرى اسمها نفيسة فأرجو أن تقرأ عليه

عديّة يس وتحيل الخدام عليه كي يوغروا صدره من جهة تلك المرأة فيتركها وينقلب إلى فيعيدني إلى عصمته ثانية ، فأظهرت لها أنني على أتم استعداد لخدمتها وأنّي أخدم الناس بغير مقابل لأنّي أهب هذه الاعمال لله سبحانه وتعالى ولا أبغى من ورائها جزاءً ثم وطأت كتفى لها كي تتجرأ على الحديث وهو ما يتمناه الطرفان . أما من جهتي فقد رأيت الفرصة سانحة لأرفه عن نفسي قليلاً بالمحادثة معها وأشق حجاب العزلة الذي يكتنفني ولذا رغبت في الكلام معها طويلاً وقد أنار لي هذا الحديث بعض خطوط السير التي سأسلكها في المستقبل مشغلاً بما وطدت العزم عليه فاني وإن كنت قدأ كشرت من إطلاق البخور في المنزل إلا أن المسائل الروحانية التي كان مزعماً الاشتغال بها والتي كان من الضروري أن يعلم الناس عنّي أنني إخصائي فيها كانت غير معروفة عندي أنا نفسي ولما يقع الاختيار عليها نصاً فلما طلبت المرأة إلى أن أقرأ لها عديّة يس أخذت عنها في الحال هذا اللفظ كمن يقيد جملة هامة في مفكرته كي لا ينساها مدى الزمن وأصبحت عديّة يس هذه رأس موضوع مناسب لاتخاذها ضمن قائمة الموضوعات التي سأدعي أنني ماهر فيها وتردد ذكر العديّة كثيراً في الحديث مع هذه المرأة بغير أن يكون لي سابق علم بما هيّة عديّة يس أو شروط قراءتها لدى العامة وكان الموقف يدعوني إلى أن أظهر لها بسرعة أنني على علم تام بهذه الامور تاركاً التفكير فيها بامعان إلى وقت الخلوات الطويلة

أما المرأة فلشدة ثقها في قدرتي تلك الثقة التي حلت في نفسها على أثر ماسمعته من الاشاعات - وهكذا جميع العامة في سرعة التصديق كالأطفال يصدقون ما يشاع بلا دليل - لم تخف عنّي شيئاً من معلوماتها بل أتت عليها إلى نهايتها وقد كفتني بنفسها مؤونة البحث في بعض النقط الهامة وذلك بقولها في آخر الحديث هل أحضر البخور إلى منزلك أم إلى منزلي فقلت لها وهل بمنزلك أحد

فقلت ليس عندى إلا أختى شقيقه وابنها الصغير وهو ينام عقب المغرب فقلت حسناً سأحضر أنا إلى منزلك بعد صلاة العشاء فقلت وهل ستحضر فى العشر الليالى كلها أم فى هذه الليلة فقط فأدركت فى الحال أنها تعرف أن عديّة يس يلزم لها عشر ليال فقلت نعم سأحضر فى العشر الليالى كلها ثم انصرفت عقب ذلك وكلها آمال واسعة تنطق بها أسارى وجهها .

ولعمرى لقد خيل إليها أن زوجها أصبح فى قبضة يدها ووقفت أنا وحدى أتأمل كيف أنها أسندت إلى هذه الكفاية العظيمة التى بدت لى من ثانياً ألفاظها ويلوح لى أن سكان الحارة لما استنشقوا رائحة البخور خيل إليهم أنهم اكتشفوا ذلك السر العظيم الذى هم فيه مختلفون وهو سر عدم خروجى من المنزل وما دمت أنى لم أعرض بضاعتى عليهم فى غضون الشهور الطويلة الماضية فقد أصبح من الثابت لديهم أن السر والبركة اللتين أحملهما لا بد وأن أمرهما أعظم من أن يناقش فيه لأن الشئ فى نظر العامة كلها غمض وأبهم وأبعد عن الأنظار حل فى قلوبهم محل الأكار وربما وصل إلى محل التقديس وقالوا فيه ما شاءت أوهامهم من المبالغة . ألا تراهم يؤكدون ويبالغون فى قدرة الموتى أكثر مما يبالغون فى قدرة الأحياء ، ويخترعون للحوادث أسباباً تمت إلى العفاريث وهى الكائنات غير المنظورة أكثر مما يجعلونها تمت إلى الكائنات المنظورة ويعظم البعيد فى نفوسهم أكثر من القريب ، والشاذ أكثر من السائر على قواعد . وجرياً على هذا الاتجاه الفكرى لما اتصلت الاشاعات بأمر عطيه هرولت إلى مسرعة وكلها ثقة بقوة ما عندى من أسرار الخدام والجن والعفاريث والسحر إلى آخر ما هو معروف ومتداول فى أوساطهم على الخصوص .

وفى الميعاد المضروب توجهت إليها ويدي المصحف وكل ما أرمى إليه من المغامم هو الخروج من عزلتى برهة من الزمن وإطالة الكلام معها بقدر الاستطاعة وأن تتداول عنى الأسن أن مهنتى هى الاشتغال بالمسائل الروحانية

وعند وصولي إليها وجدتها قد استحضرت لى الفحم والبخور وكانت أختها موجودة معها ولها ابن صغير نائم ففتحت المصحف حيثما اتفق وقرأت فيه وهي لا تعرف بالطبع ماذا أقرأ ، ياله من فرصة سعيدة !! إني بين مناظر عائلية ! إننى أتكلم الآن !! صرت أتكلم مرة وأصلى أخرى على سجادة أحضرتها خصيصاً لى وآونة أطلق البخور وأنشد أناشيد تركية كنت حافظاً لها منذ كنت بالاستانة عام ١٩١٣ وهكذا إلى أن مضى من الزمن نحو ساعتين قمت على أثرهما وخرجت ثم أعدت الكرة فى نفس الميعاد إلى أن انتهت العشر الليالى وكنت أود لو استمرت الحال على هذا المنوال ولكن المواعيد المقررة فى ذهنها اضطررتنى إلى الانقطاع عقب الليالى المذكورة .

[المذكرة التاسعة]

مايو سنة ١٩٢٠

أبدأ هذه المذكرة بتجليل خيالات العامة نحو قدرة الأعمال السحرية على تغيير السنن الطبيعية للكون والكلام على منشأ تصديقهم لهؤلاء السحرة أو المشايخ المباركين كما يعبر الناس عنهم ، ليرى القارىء صفحة من الحياة داخل الحارات الضيقة المنبثة فى عموم البلاد ويلبس بيديه معمل الأكاذيب الذى يبنى صرحه أولئك الدجالون الذين ينفشون سموم خرافاتهم بين طبقات العامة فتتوارث الاجيال تلك الخرافات ، ومرور الزمن يثبتها فى أذهان العامة لعدم مناقشتهم ما نشئوا فيه ولبعد تلك الأقوال عن مصادرها الأولى ونسيان أسبابها حتى ليخيل لبعض الأذهان أن بعضها آت عن طريق الدين والدين منها براء .

والآن إذا ذهبنا ننظر من الناحية العلمية إلى ما يسمونه في بلادنا في وقتنا هذا بالأعمال السحرية وجدنا أنها حركات وأقوال تبدى للناس بمهارة من مصادر علية بمبلغ عقلية العامة ، فتملك هذه الآراء على الناس مشاعرهم وتستهوئ ألبابهم ، وليس ما يسمونه بالقوة السحرية منبعثاً من الأقوال وحدها وإنما من اقتران الأقوال ببعض العقول . فالعقول وأوهامها واستعدادها الوراثي وضآلة مداركها هي التي تكسب الأقوال التي تسمعها قوة وسلطاناً يسميان سحراً وعند ما تقف العقول المفكرة بسبيل تحليل تلك الأقوال تجدها أضحت هباءً منثوراً .

إن العامة يرتبطون بالحياة بأربطة عدة نسجتها أوهامهم الخاصة وأوهام أجدادهم من قبل ولا تطيب لهم الحياة إذا كانت كلها عقلاً وكلها منطقاً ، وإن دراسة هذه الأوهام التي تؤلف عنصراً هاماً في تكوين العقل غير الراجح ، هي دراسة من ألد الدراسات التي يتلقاها الانسان لا عن الكتب ولكن عن الحياة العملية نفسها . ومن الظروف العجيبة في حياتي أنني بعد أن كنت طالب طب أصبحت أرى نفسي رجلاً من المشايخ المباركين وفقهاء الأزقة ذوى اللحي الطويلة والسبح الكبيرة ، يلتمس الناس مني الدعوات ويتلقون عنى التنبؤات ، وكان من عمل تلك الظروف أن حبت إلى نفسي دراسة أوهام العامة عن كسب ، حتى استطعت أن أضع يدي على النظرية التي سرت على ضوئها فنلت شهرة طبقت أرجاء الحى على سعته ، وأصبحت يداى تقبلان يميناً ويساراً وأنا سائر في وضوح النهار أو في غسق الليل وعرفت عند الناس بطول الباع في الأعمال الروحانية والقدرة على مخاطبة الجن ومزاولة السحر بغير أن يكون لذلك وجود في عالم الحقائق .

وإنى أجهل لحضرات القراء تلك النظرية التي هي سر خضوع العامة في أمورهم الخاصة لمن يقبض على زمامها وهي كما يأتى :

(كل فكرة واضحة بينة تشبه ما ألفه الناس في أعمالهم اليومية ويسهل

الحصول على مطالبها فهي في نظر العامى أو العامة من عمل الانسان وبناء على ذلك تفقد رهبتها وتهبط قيمة القائل بها ، وكل فكرة مهمة كثيرة التعقيد ممعنة في الغرابة شاذة لا يرى الناس أثرها في حياتهم العادية ، ومن الصعب الحصول على مطالبها فهي في نظر العامة من وحى الجن حقيقة ، ولها منهم بناء على ذلك كل تجلّة وكل احترام ولقائلها الطاعة والخضوع وهو العلامة المحقق والفهامة المدقق صاحب السر والاتصال بسكان ما تحت الأرض أجمعين) .

ولتوضيح معنى ما تقدم نضرب من الأمثال ما فيه الكفاية فنقول :

أورد — إذا أردت أن تجعل العامى يعتقد فيك أنك من كبار المتصلين بالجن وأردت تكليفه باحضار قبضة من التراب مثلاً للتظاهر باستخدامها في الأعمال الروحانية لنجاح مسألة سرية هامة أفضى إليك بها فلا تقل له عد منزليّن ابتداء من منزل معين وأحضر لى التراب من أمام المنزل الثالث فإن تلك المسافة هي في نظره قصيرة والقيام بقطعها ذهاباً ورجوعاً مسألة في غاية البساطة وما يغشى الفكرة من البساطة والسهولة لا يجعلها تحل في قلب العامى محل الإعجاب والتقدير . ولكنك إذا قلت له عد أربعين منزلاً بلا زيادة ولا نقص ثم أحضر قبضة من التراب بيدك اليسرى من أمام المنزل الواحد والأربعين على شريطة ألا يراك أحد عند التقاطها وإلا فسد مفعولها وجدت هذه الفكرة بما حوت من تهويل وشروط ومبالغات وما اشتملت عليه من إظهار أوامر وإخفاء أسبابها قد أودعت في ذهن العامى أن في ذلك كله سرّاً يعلو على الأفهام ، وأن عليه أن يعمل بما أمر ، وليس له أن يمس أى جانب من جوانب الفكرة بالبحث والمناقشة ، وإلا أصابه ما لا يوصف من الأرزاء والبلايا . وناهيك بعمق التأثير النفساني الذي يحل به عند البدء بتنفيذ الفكرة فإنه سيضطّر أن يقطع في المسير مسافة طويلة وسيشعر بالتعب في ضبط عدد المنازل ومراجعة العدد ثانياً خشيّة الوقوع في الخطأ ، وسينتظر طويلاً بعد

ذلك حتى تسمح له الفرصة التي يشعر فيها أن عيون الرقباء كلها غافلة عنه ولا يوجد أحد يراه وذلك طبقاً للشروط التي قبلت له وكم يساوره في تلك اللحظة من الوسواس والظنون ما يفقده الاطمئنان على توفر هذا الشرط ثم تراه على حين غرة يخطف قبضة من التراب خطفاً ويلتفت يمنة ويسرة كأنه قد سرقها. ومع أن الفكرة بمحتوياتها كلها هراء فإنها بما تجلبه له من التعب الشديد توحى إليه أخيراً وحياً غامضاً مبهماً أنها حقاً من أفكار الجن والشياطين وأن النصر أصبح منه قاب قوسين أو أدنى وأن الشيخ الذي يدبر له الأمور هو شيخ لا مثيل له في الاولين والآخرين .

وهكذا لا تتفق مع خيالات العامة إلا كل فكرة بعيدة عن القانون الطبيعي للحياة . أما النظام والقواعد والأسباب والمسببات والعقل والمعقول فكل ذلك لا يهضمه العامة هضمًا كافيًا .

ثانياً — إذا قلت له أحضر صنفاً من أصناف الفواكه فلا بد من مراعاة فصول السنة ، فإذا كنت في فصل الشتاء فاطلب اليه أن يحضر لك فاكهة الصيف كالخيار والبطيخ ، وإذا كنت في فصل الصيف فاطب اليه أن يحضر لك فاكهة الشتاء ، كالقصب والبرتقال ، فإنه في سبيل الحصول على تلك الأصناف سيلقى مشقة عظيمة وتلك المشقة هي أكبر الأسباب التي تزيد من اعتقاده في صواب ما أمر باحضاره وتجعله إذا ما حصل عليها يشعر براحةقلبية تخيل اليه أن أمانيه أصبحت دانية القطوف .

ثالثاً — إذا أردت أن تطلب منه دجاجة لاستخدام رأسها في الأعمال السحرية فلا تقل له أحضر لي دجاجة أيا كانت فإن شراء أية دجاجة أمر من أسهل الأمور ، ولكن اخترع له من الألوان والاصناف ما يجعل الحصول على تلك الدجاجة شيئاً من أصعب الاشياء كأن تقول له أحضر لي دجاجة جسمها كله أسود ورأسها منمق بالابيض وهكذا إلى آخر ما هنالك من الاصناف النادرة الوجود .

رابعاً — إذا أردت أن تقول لامرأة أحضري بضعة لقم من الخبز الجاف لغرض من الاغراض السحرية فقل لها أحضري لى مثلاً سبع لقم من سبع فاطمات فانها بناء على ذلك الشرط ستعمد إلى البحث عن سبع بنات كل بنت منهن اسمها فاطمة ثم تتناول من يد كل بنت كسرة من الخبز ، ولا يكون ذلك الخبز إلا جافاً وعلى الأرجح لن يتفق لها هذا العدد من البنات المسميات بهذا الاسم في منزل واحد أو حارة واحدة ومتبحت طويلاً قبل أن يتم لها الغرض ، وبخاصة إذا اخترت لها من الاسماء ما ينذر التسمي بها . وهذا البحث الطويل الشاق هو الذى يجعل النفس تتردد بين معارج الامل ومهابط اليأس فاذا ما ظفرت بالشروط المزعومة ذهب بها الخيال إلى أن الحصول على المراد أصبح أمراً لا مفر منه . ويلاحظ أن هذه الفكرة لا تطلب إلا من امرأة لانها هى التى تستطيع أن تمر على النساء في بيوتهن بخلاف الحال عند الرجال .

خامساً — إذا أردت أن تطلب عظمة فلا تطلب عظمة خروف أو عجل فان ذلك موجود عند كل جزار ، وإنما اطلب عظمة خنزير أو جمل فوجود الآخرين أقل من وجود الأولين وإذا طلبت أظفاراً فلا تطلب أظفار حمام أو عصفور وإنما اطلب أظفار نسر أو صقر واطلب جلد نمر أو فيل وقلب ذئب أو ثعلب ولا تطلب قلب خروف أو جلد شاة .

سادساً — إذا أردت أن تؤلف بين خصمين أو تقرب بين قلبين أحدهما نافر من الآخر فاطلب إحضار شيئين متناقضين كراس قط ورأس فأر ، أو رأس كلب ورأس ذئب ، أو رأس حداة ورأس كتكوت ، أو قطعتي قماش من أثر كل من الحبيب ومن يحبه وبلف النقيضين في خرقه واحدة من القماش أو وضعهما في حق صغير من الحديد وإطلاق البخور على هذه اللقافة مع قراءة كثير من العبارات المحفوظة ثم الامر بدفنها في مكان خاص أمام

المنزل أو داخله يصبح من المعقول جداً في أذهان العامة أن هذا البخور الذى أطلق وهذه الألفاظ التى قيلت ستنشئ بقوة ماتضمن من الأسرار فى جو الحوادث حدثاً يطابق هذا الرمز المادى المحفوظ داخل اللفافة

وبنفس هذا الاتجاه وهذه الروح نشأت وتغلغلت الخرافات التى وطدت الأيام سلطانها فى أدمغة العامة وإنى أذكر للقراء طرفاً من الخرافات الشائعة بين الناس على سبيل المثال لا على سبيل الحصر فإنها لا تعد ولا تحصى.

(١) وضع القرط فى الأذن اليسرى للطفل كى يطول عمره

(ب) كتابة التائم المختلفة لتعلق على صدور الأطفال والحيوان

(ج) لبس المرأة التى يموت أطفالها خلخالاً من حديد فى الساق اليسرى كى تطرد الشياطين الذين يخفون أطفالها

(د) شحادة ملابس أو نقود من الطرق أو من الجيران ليكتسى المولود بهذه الملابس المشحودة أو يشتري له ملابس بالنقود المجموعة وبهذه الطريقة يزعم أهل الطفل أنه سيعيش بخلاف إخوته الذين سبق موتهم

(هـ) رسم الصليبان على درج المنازل لفك طلاسـم السحر

(و) دخول العروس ليلة زفافها إلى منزل زوجها حاملة بيدها قلة ماء عليها خميرة ولا تخطو أول خطوة فى منزلها إلا برجلها اليمنى وتمر من تحت يد حماها الممدودة . وكـم من مرة طلقت عروس سبق لها أن أجرت تلك المراسم ليلة زفافها إلى منزل زوجها ، ورغم ذلك لا تنزعزع عقيدة العامة من فوائد هذه الأعمال وأشباهها .

وهكذا إلى ما هنالك من مئات الآراء وألوفها التى يسهل اختراع أمثالها كل يوم متى كسب الانسان ثقة الناس به ، وعرف النظرية التى يطبقها فى مثل هذه الأحوال . فانه لا يكفى أن يكون الانسان ماهراً فى اختراعاته ، بل لا بد له بجانب هذه المهارة أن يكون موضع ثقة لدى الناس كى تتعطل

العقول عن وظيفتها عند ما يبدر منه قول أو فعل . ويكفى الفرد أن يفنى برأى من الآراء وأن يصيب هذا الرأى نجاحاً ولو مرة واحدة حتى ينال الثقة والشهرة في دوائر العامة وتنظم له قلائد المديح ما لم يكن ينتظرها قبل البدء في هذه السبيل ، فلو أخفق بعد ذلك مرات فإن العامة يؤولون كل إخفاق بتأويل شتى تقلل من قيمة الإخفاق محتجين بسابقة النجاح التي أظهرها في أول الأمر ورسخت في قلوبهم حتى صارت كالصخر يدفع ما يهاجمه من أمواج الشكوك .

والآن فكر معي جيداً أيها القارىء الكريم في هذه الآراء بأسرها ، ألا تجدوها مصبوغة بصبغة واحدة ، وهي الامعان في الغرابة وعدم ظهور السبب المعقول في القدرة التي ينسبون لها إليها وبعدها عن الحياة المألوفة ، والتعب في الحصول على ما تأمر به . إذا اتضح لك ذلك فاعلم أن هذا الإبهام الذي يحوطها جميعاً هو المظهر الضروري الذي يمهدها في أذهان العامة طريفاً تنحدر منه إلى مكان اليقين . وذلك لأن الجاهل يعتقد الآراء جملة ومبهمة ، ولو أنها في نظره ليست مبهمة ، بل هي المعقولة إلى أبعد حدود المعقولات ولا يطبق صبراً على تحليل الأفكار أو سماعها مرتبة مرحلة بعد مرحلة أو المناقشة فيها بهذا النظام . ولو أنه سمع هذا التحليل لاعتبره خرقاً وسخفاً . ولا عجب في ذلك فهو لم يدخل المدارس في طفولته ولم يعتد حل المسائل الحسابية بطريق السير فيها خطوة خطوة وحفظ باقى دروسه بطريق المناقشة والسؤال والجواب . ومن هذا تتضح ميزة التليذ على غيره ، فالتليذ في كبره يكاد ينسى معظم دروسه ، ولكن يبقى له شئ واحد هو الأثر الخالد معه ، وهو عادة مقابلة شئون حياته بالتحليل والمناقشة الهادئة حتى يصل إلى نتائج مرتبة ترتيباً محكماً .

والعامة يعززون كل مصائبهم إلى الفقر وحده ، أما العلم فلا يرد لفظه على ألسنتهم ولا يتعلق مدلوله بأدمغتهم ، وذلك لأن حواسهم عرفت الفرق جلياً

بين وجود المال وعدمه ، ولكنها لم تتذوق العلم حتى تفرق بينه وبين الجهل وهم لهذا مشغولون دائماً بخيال الغنى والثروة متلهفون على ذلك ، ويقولون لو أنهم أغنياء لدانت لهم السعادة والقوة والمناصب العالية . وكثيرون منهم واسعو الخيال ، غير أنهم جاهلون بالعقبات التي تعترض الأمور في طريق النجاح وبسبب هذا الخيال كان كل ما يمت إلى الغنى بمعنى من المعاني له في نفوسهم المحل الأعظم . وكان للغموض والصعوبة الأثر الكبير لأنهما من مظاهر القوة والغنى . أما الوضوح والسهولة فليس لهما هذا الشأن ، إذ هما من مظاهر الضعف والفقر . وبناء على ذلك فالقصة إذا كانت مملوءة بالحوادث الجسام والقتل الكثير والمال الوفير وبرزت لهم فيها صور أشخاص ذوي شوارب ممتدة ورقاب مرتفعة ، وكبرياء وعظمة كقصص عنتر بن شداد والوزير سالم وأبي زيد . والفكرة إذا كانت تستبد بهم فتسبب لهم تعباً وإنفاقاً كبيرين أو تسمعهم ألفاظاً صينية أو هندية أو فارسية أو تركية أو أسماء توابل غريبة في ألفاظها ولا توجد إلا عند القليل من التجار ، كانت هذه القصة وكان هذا الرأي هو الذي يحترم ويقام له وزن .

وأين عند العامي ألفاظ على وفهم وزكي وإبراهيم من ألفاظ شهورش وأرغاموش ومريوش وكبورش . الأولى اعتاد سماعها فهي بسيطة وواضحة وقريبة وغير مؤثرة ولو أنك أسرعت في ذكرها مئات المرات لما حرك لها ساكناً . أما الثانية فلم يألها فهي إذن غريبة وبعيدة وغير مفهومة ومؤثرة ، وهو لذلك يرتجف عند تكرار ذكرها ويخاف من بطشها الموهوم وسلطانها المزعوم ، وهي عنده صاحبة السر الخفي والمطلعة على ما شرد وما ورد .

ولنعد إلى آراء ومطالب المشايخ المباركين أو السحرة فنقول إنه بالرغم من المشاق التي يتجشمها العامة في سبيل الحصول على ما تطلبه منهم هذه المطالب الغريبة المعقدة فإن الأمرين بها محبوبون لدى طائفة كبيرة من الناس ومطاعون منهم إطاعة عمياء وهم أقرب إلى قلوبهم من العلماء والأغنياء . وإذا

سئلنا هل في طبيعة النفس الانسانية ما يؤدى إلى حب هؤلاء السحرة غير أنه حب وضع في غير موضعه وأسند إلى غير أهله : لأجبنا بأن لسكل موضوع في الحياة مرحلة طويلة يسير فيها تحت إشراف عقل صاحبه ثم ينتقل هذا الموضوع إلى مرحلة أخرى تشرف عليها عقول آخرين وتظل النتيجة خيرها وشرها لاتهم إلا صاحبها الذى بدأ بها ويظل صاحبها يهيم بمعرفة أخبارها التى هى بالنسبة اليه الغيب الذى لا يعلمه ولكن يعلق عليه الآمال . ولما كان من غرائز الانسان حب الخير لنفسه واستعجال وقوع هذا الخير أصبح يتمنى لو يسيطر على مرحلة الغيب فاذا لم يأت اليه الخير سراحاً فلا أقل من أن تأتى اليه أنبأؤه سراحاً فيحس بوقوع الخير مجسماً فى مخيلته ويسير بعد ذلك على نور الآمل ، وهنا يخرج اليه أناس يقولون له إن بامكاننا أن نجعلك تسيطر على هذا الجزء من غيبك ونجعلك تدير دفته كما تشاء بوسائل نعرفها نحن ولا نعرفها أنت ، ومن ثم كان يحب هؤلاء الذين يفسحون أمامه طريق الآمال ويستعجلون له أنباء الخير إن لم يكن الخير نفسه . ويصدق الانسان كلامهم ويظل يعمل بنصائحهم ويسمىها أوامر فلما لا يجد من وراءها طائلاً لا يقطع صلته بها بل يغير الشيخ بشيخ آخر لأنه لا يحب أن يقف مكتوف اليدين لا يسيطر على مرحلة الغيب التى تدبر له فيها شئون ذات بال وبجانبه أقران يحسنون له ذلك ويشجعونه على إتيانه ولو إلى حين . وصغار العامة يشعرون فوق غريزتى حب الخير واستعجال الخير بضعفهم وأنهم محتاجون فى هذه الدنيا إلى القوة ، والقوة لا تأتى إلا بالواسطة ، والدجالون هم وسطاؤهم الذين يقولون إنهم ينرون طريق العمل الحازم والنصر المؤكد والغنى السريع . ولت هذه الطرق كانت هى الوسائل الطبيعية لحل مشا كل الحياة ولكنها من مبتدعات الخيال والأوهام التى يأنس بها العامة . وحب العامة للشواذ والاستثناءات غريب معن فى الغرابة ، والشواذ فى نظر المتعلم هى القواعد فى نظر العامة ، والعكس بالعكس . والعلم وحده هو الذى يسند

المسببات إلى أسبابها الحقيقية . والجهل يبتدع لها أوهاماً وخيالات .
ولكل امرئ ناحية من نواحي اعتقاداته لم يمسسها قط بالتحليل
والمناقشة ولا يخطر له على بال أن يشرع في ذلك أو أنه إذا شرع فيه فسيكون
نصيها التحوير في قليل أو كثير منها وتضييق دائرة تلك النواحي في الشخص
كلما زادت معارفه وخبرته في الحياة ، وأقول تضيق ولا أقول تمحي ، وبما
يتصل بذلك أن ترى الجاهل إذا اشتد اعتقاده في دجال ما حسب أنه ملك
أعنة الحقائق وأن كل ما سوى ذلك باطل ، فإذا أسمعته وقتئذ أن من يسميه
بالشيخ المبارك ما هو إلا دجال نصاب ضحك منك وأنكر عليك ذلك
ورماك بالبلاهة والغباء أو الكفر . ومن ألطف ما يكون تلك الدهشة التي
تعروه بعد فوات الأوان حينما يفيق من أحلامه اللذيذة ويتأكد أنه كان
مخدوعاً في هذا الشيخ وأنه هو الغبي الأبله . . . !!

ويقابل الانسان الكثيرين في المدن والقرى من محترفي العرافة ومدعى
معرفة الغيب بواسطة النظر إلى فنجال القهوة وأوراق الكهتشفية والسبحة
والكف والرمل والودع الخ وهؤلاء جميعاً يستدلون بالآثار . والخطوط .
والعلامات . ومواقع الأوراق . والفراصة . وهي كلها مسائل ظنية وليست
يقينية وهم يطبقونها على كل طائفة من الناس اشتروا في الاسم وإسم الأم
أو كانت لهم ظروف متشابهة وكل ما يصدر عنهم إن نجح أو فشل لا علاقة
له بالخاتمة سوى رابطة الصدف العمياء .

ولنبحث قليلاً في هذه الشؤون فنقول :—

أورد — أما أن هذا العمل له صلة بالصلاح والتقوى والعبادة فلا . لأن
العبادة الحقيقية يشترط فيها العلم التام بحقائق الدين وهؤلاء في الواقع
لا يعلمون حقائق الدين ولا يتعبدون وليسوا المثل الأعلى للانسان الكامل
كما وصفته كتب الأديان وكل ما يوجد في أذهان العامة عنهم ما هو إلا أثر
من آثار الدعاية التي يذيعونها فتجد في الأذهان مكاناً سهلاً وكل ما يأتون به

يأتى به وبأكثر منه كثيرون من عبدة النار والحيوان من الهنود والفرس قديماً وحديثاً فليس لهذا إذن علاقة بالدين والصلاح

ثانياً — لنفرض أنهم على صلة حقيقية بالجن والشياطين كما يزعمون ولنبحث عن غرضهم الحقيقي من كشف الغيب فإذا فعلنا هذا وجدنا أن السبب الوحيد لذلك هو بلا شك جمع المال والتكسب من هذه الصناعة بدليل أن من لا يدفع لهم نقوداً لا يذكرون له شيئاً فإذا كان الأمر كذلك أى أنهم يعملون لجمع المال والجن يشدون أزهرهم وينيرون لهم طريق المجهولات ويأتون إليهم بالأخبار من أقاصى المعمورة لهذه الغاية وهى جعلهم من الأغنياء كان بالامكان أن يختصر الجن الطريق ويأتوا بكنوز الذهب من مخابئها إلى بيوت هؤلاء فيصبحوا من أكبر الأغنياء في العالم . أو أنه ما دام فى قدرة هؤلاء الجن المتصلين بهم أن يعلموا الغيب كما يعتقد الناس فمن السهل أن يوعز الجن إليهم برقم الورقة الاولى الراجعة فى يانصيب إحدى الجمعيات الكبرى وبشراؤها يصبحون من الظافرين ويصل الربح إليهم من أقصر طريق وأسرع وما كانت هناك ضرورة لهذا التعب والعناء وإعلان هؤلاء العرافين عن أنفسهم وانتظار ورود الزبائن إلى منازلهم .

ثالثاً — هؤلاء العرافون حصروا الغيب المتعلق بالفرد والجماعة داخل نطاق قواعد وأصول مبنية على الأسباب والنتائج حتى جعلوه فى ظاهره علماً كباقي العلوم ، ولكنهم كانوا بعملهم هذا كمن يحصر الطير السابح فى الفضاء فى قفص ضيق الرحاب . وليتنا نستطيع أن نجعل للغيب علماً قائماً بذاته محكم الأصول جامعاً للشئآت لا تضطرب نظرياته مهما أعدنا تطبيقها ! فهذا لا يكون إلا أخطر حادث فى تاريخ الانسانية ، إذ أن نظمها ستتغير تغيراً كاملاً ولن تكون هناك حاجة إلى التعليم أو النشاط أو الحذر مادام مستقبل الأمور سى يكون معروفاً موثقاً به قبل وقوعه . والوصول إلى قواعد ونظريات لهذا العلم محال استحالة مطلقة لأن المفروض أن علم الغيب هو علم

الغرض منه معرفة ما هو فوق مجهودات العقول البشرية ، ومعرفة ما تعجز العقول جميعاً عن الوصول إليه بطرقها المعبودة . وعند ما تنتهى مراحل التفكير فثم مبدأ علم الغيب ، وحيث أن العلوم هى نتاج المجهودات البشرية وثمرات القرائح لا غير . فعلم الغيب إذن لن يصل إلينا عن طريق المدارك الانسانية وإنما عن طرق هى أعلى من ذلك منزلة وأكثر منها إحاطة بأسرار الكون وتغلغلا فى مساتير الطبيعة وما وراء الطبيعة .

وليت شعرى أى الأشياء تتعلق بالغيب ! إنها علوم النفس والاجتماع والقانون والاحاطة بأسرار البوليس وأسرار القضاء وما يتكلم به الأفراد كل فى مخدعه أو بعيداً عنه ، وما تكنه الصدور ، والامام بأسرار السياسة والحرب وأسعار البورصات وقرارات اللجان السرية والحالة الجوية . وتفاعل ذلك كله وأكثر منه بعضه فى بعض هو من مشتملات علم الغيب . وهلا رأيت ما هو أبعث على الضحك من أن ذلك كله يعرف بطرق هى نهاية فى البساطة والضعف ! هى النظر فى فنجان ، أو رص أوراق ، أو قعقة أحجار . زعموا أن ذلك له صلة بالوحي أو الأرواح أو الجن . والوحي ينفى أن ذلك سيكون فى تناول البشر ، كما سيأتى فى الآيات الكريمة التى سندكرها ، وقد برهنا فيما سبق ذكره أن هؤلاء المنتشرين فى المدن يشتغلون بهذه الأمور ليسوا متصلين بجن ولا شياطين ولا بأشياء يمتازون بها عن سائر الناس ، وعقولهم خلو من العلوم والمعارف ، فأصولهم وقواعدهم هى إذن أمور ظنية ونجاحها هو الاستثناء وفشلها هو القاعدة . فلا عجب أن نراهم ينزلقون إلى هاوية النصب والاحتيال وارتكاب الجرائم كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، لأن الكذب والطمع وسداجة الناس يستدرجهم إلى هذا المنزلق .

رابعا — هناك أشخاص يصدرن تقاويم سنوية ويكتبون فى أواخرها حوادث يتنبأون بوقوعها وهؤلاء الناس يدعون أن بإمكانهم معرفة الغيب مما يسمونه علم اليازجة وعلم الأحكام ، وعلى ذلك يهرع إليهم كثير من

الناس ليستخرجوا لهم طالعاً لمناسبة من مناسبات حياتهم في مقابل دفع مبلغ من المال . ولسنا نطيل القول في هؤلاء الناس فقد اختبرت شخصياً كثيرين من مشهورهم فوجدتهم على ما لا نحب ولا نرضى . وليس الغيب ضابط حتى أنه يعرف بالحساب والجبر والكلام الموزون ، فإن ادعى هؤلاء أيضاً أن لذلك علاقة بالدين والأرواح والجن كما يعتقد فيهم بعض الناس فأمامهم الآيات الكريمة الواضحة في معناها وضوحاً تاماً وهي (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) سورة الانعام (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) سورة الاعراف . وجاء في سورة سبأ في سياق الحكاية عن سيدنا سليمان ما يقطع بأن الجن لا يعلمون الغيب فقد قال تعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) . وفي الحديث الشريف (كذب المنجمون ولو صدقوا) .

فليطرحوا تلك الفكاهات ظهرياً رحمة بعقول الناس وقطعاً لدابر الأوهام والخرافات التي ما أن تعلق الشرق بها حتى هوى إلى حضيض الجهل والضعف . وختاماً لهذا البحث النظري وجب علينا من الوجهة الاجتماعية مناهضة تلك العقائد الضارة واقتلاع بذورها من خيالات الناس بتاتا ، لأن تعلق الناس بالأهام وتعطيل عقولهم عند دراسة مسائل الحياة ، كل ذلك من آثار ذبوع هذه الخزعبلات وتمجيدها في الماضي وانصراف الناس عن تدبر آيات القرآن تدبراً عميقاً ، ولو تدبروا لعرفوا أن القرآن مجد العقل الإنساني وجعله أشرف شيء في الوجود ، وأبان للناس أن الحياة سائرة على سنن لا تبديل لها ولا تحويل ، وهي العقل والإيمان والعمل . ولكن هذه الحقائق في بلادنا قد طمس الجهل آثارها في ميدان العمل وخاصة عند العامة فاتخذ الفريق الأكبر من السكان تهريجات الدجالين والمنجمين كأنها رأس القواعد

ودستور الحياة ومناط التصرف في الأمور المعيشية والصحية فوجب والحالة هذه تكذيب ذلك تكذيباً باتاً واستئصال شأفته من العقول وتزويد الناس بحقائق الحياة كما هي لينفسح المجال للعلم والتفكير والارادة .

وإني أرى من المناسب أن أنقل هنا لحضرات القراء ما دججه يراع الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده في كتابه القيم تفسير جزء عم شرحاً لعقيدة السحر في نظر الدين الاسلامي فقد جاء في عرض كلامه في تفسير قوله تعالى (والنفاثات في العقد) ما يأتي :

« على أن نافي السحر بالمرء لا يجوز أن يعد مبتدعاً لأن الله تعالى ذكر ما يعتقد به المؤمنون في قوله (آمن الرسول) الآية وفي غيرها من الآيات ووردت الاوامر بما يجب على المسلم أن يؤمن به حتى يكون مسلماً ولم يأت في شيء من ذلك ذكر السحر على أنه مما يجب الايمان بثبوته أو وقوعه على الوجه الذي يعتقد به الوثنيون في كل ملة بل الذي ورد في الصحيح هو أن تعلم السحر كفر فقد طلب منا أن لا ننظر بالمرء فيما يعرف عند الناس بالسحر ويسمى باسمه وجاء ذكر السحر في القرآن في مواضع مختلفة وليس من الواجب أن نفهم منه ما يفهم هؤلاء العميان فان السحر في اللغة معناه صرف الشيء عن حقيقته قال الفراء في قوله تعالى (فأنى تسحرون) أى أنى تؤفكون وتصرفون. سحره وإفكه بمعنى واحد. وماذا علمنا لو فهمنا من السحر الذي يفرق بين المرء وزوجه تلك الطرق الخبيثة الدقيقة التي تصرف الزوج عن زوجته والزوجة عن زوجها وهل يبعد أن يكون مثل هذه الطرق مما يتعلم وتطلب له الأساتذة ونحن نرى أن كتباً ألفت ودروساً تلقى لتعليم أساليب التفريق بين الناس لمن يريد أن يكون من عمال السياسة في بعض الحكومات وقد يكون ذكر المرء وزوجه من قبيل التمثيل وإظهار الأمر في أقبح صورة أى بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الافساد أن يتمكنوا به من التفريق بين المرء وزوجه وسياق الآية لا يأباه وذكر الشياطين لا يمنعنا

من ذلك بعد أن سمى الله خبثاء الانس المنافقين بالشیاطین قال (وإذا خلوا
إلى شیطانهم) وقال (وإن الشیاطین لیوحی بعضهم إلى بعض سحرة
فرعون كان ضرباً من الحيلة ولذلك قال (یخیل إليه من سحرهم أنها تسعى)
وما قال إنها تسعى بسحرهم قال یونس تقول العرب ما سحرک عن وجهه
كذا أى ما صرفک عنه ، ...

وإنی أرى الاکتفاء بهذه المقالة فی هذه المذکرة ولنعد بحضرات القراء
من القسم النظرى إلى القسم العملى وهو صلب حکایة الاختفاء نفسها التى
أرصد هذا الکتاب لها فأقول : إن أم عطية التى عرفها القراء أتت إلى فی
أوائل هذا الشهر وشکت إلى حالها قائلة إنها قلقة جداً على النتيجة وإنها
قليلة النوم ولم تر شيئاً فی الجو یبعث على الطمأنينة ولكن لم یبد منها خلال
کلامها ما يدل على أنها ترتاب أقل ارتياب فی قدرتی التامة على إرغام مطلقها
على ردها إليه وإنما هى تعزو بطء النتيجة إلى عدم اهتمامی بأمرها لعدم
تقديمها نقوداً إلى فأكدت لها أنها مخطئة فی ظنها وأنى لا أعمل هذه الأشياء
إلا خالصة لوجه الله الکریم وسواء عندى أنالنی من ورائها فائدة أم لم یلنى
ثم سألتها کم من الزمن مضى منذ طلاقها فقالت مضى عام فقلت احمدي ربنا
مادمت مطلقة منذ عام فهل تريدین أن تظهر النتيجة الحسنة فی أيام قلائل
فطلبت إلى بالحاج أن أقرأ لها العديّة مرة ثانية وقالت إنها لا تريد أن تتعبنى
ويمکنها أن تحضر الفحم والبخور إلى منزلى فوافقت على ذلك وأحضرت
ماتعدت به وبعد عشرة أيام حضرت ثانية وقالت إنها لم تشعر بأية نتيجة
فقلت لها هل عندک شىء من أثره فقالت نعم عندى منديل من مناديله ثم
ذهبت وأحضرتة فأخذته ودخلت إلى غرفتى وأفقلت الباب على وأطلقت
البخور وتلوت أناشید ترکیّة بصوت عال ثم مزقت طرف المنديل سبع مزق
وجعلت عقدة فی طرف کل مزقة وأعدت إليها المنديل قائلاً لها أن تضعه فی
قدح مملوء بالزيت إلى النصف وتضع القدح طوال الليل عند رجل السرير

في الجهة التي كان ينام عليها وأن تحضر القدح إلى في الصباح ثانية وعلى ذلك
أحضرت إلى قدحاً بهذا الوصف في اليوم التالي فأخذته منها وأمرتها بالعودة
بعد ساعة لأخذه وفي أثناء غيابها لم أعمل شيئاً سوى إلقاء المنديل في المرحاض
وعند حضورها أعطيتها القدح وكان به بعض الزيت قائلاً لها أن تظلي
بالزيت الجزء الأسفل من عمود السرير في الجهة التي كان ينام عليها وبعد
ذلك كانت المرأة تتردد على منزلي كثيراً لما ألم بها من القلق الشديد فعقدت
العزم على أن أخترع لها أشياء كثيرة من هذا القبيل وأحضرت خيطاً وقاشاً
استعداداً لأن أمرها بمئات الأوامر حتى يضطرها تراخي الزمن الطويل إلى
الامتناع عن المجيء من تلقاء نفسها ولم يكن يدور بخلدني ما أعدته لي الأيام
من نجاح قريب وأخيراً بعد مقابلات عدة أمرتها باحضار عظمة جمل فتغيبت
يومين ثم أحضرت العظمة فأخذتها وصعدت إلى غرفتي العليا وأغلقت الباب
وأطلقت البخور ثم كتبت عليها أبجد هوز حطى ككن الخ . . وخطت عليها
قطعة من القماش ثم نزلت وأعطيتها لها وقلت لها لا تأخذها إلا بيدك اليسرى
دائماً واخرجي من منزلك في الصباح قبل شروق الشمس وتوجهي إلى البحر
واقذفي بها فيه دون أن تتلفظي بآية كلمة ثم عودي إلى منزلك ولكن من
طريق غير الطريق الذي ذهبت منه إلى البحر وعلى ذلك حضرت إلى في نحو
الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي وأفادتني بما عملت فقلت لها إن شاء
الله يتم كل شيء على مايرام . وكان من أغرب الحوادث أن أتى مطلقها إليها
من تلقاء نفسه بعد أيام قليلة وفاتحها في أمر ردها إليه وأخبرها أنه عدل عن
كل زواج إلا بها !! ولا أدري ماذا طرأ عليه من الظروف حتى تم بالفعل
ما كانت المرأة تحلم به حلماً ولا تعدده إلا من الأمانى الكاذبة . وناهيك أيها
القارئ بما كان لهذه الحادثة وقتئذ من الأثر الذي خلق في آفاق الجهة بأجمعها
والشهرة التي بلغت عنان السماء وذهبت النساء تبالغ في مدحى شأنهن في أكثر
الأشياء وكان مما ساعد على المبالغة أن سكان الحارة لم يلحظوا على أدنى نظرة

سوء إلى بنت أو امرأة أو علموا غنى كلمة فخش أو شيئا من هذا القبيل وهم الذين لا تخفى عليهم خافية مما يجرى في أرجاء الحارة ولم أكن أنظر إلى النساء إلا مطرقا برأسى إلى الأرض وكانت هذه الأخبار في مجموعها داعية إلى اعتقاد الناس الجازم بأننى من المشايخ الصالحين وانتشرت بينهم حكاية أهلى وأطيانى وصارت عندهم عقيدة ثابتة ولم أكن أغير منها كلمة واحدة طوال مدة إقامتى بالقاهرة

المذكرة العاشرة

يونيو عام ١٩٢٠

قدمت إلى أم عطية هدية من الملابس وهى عبارة عن عباءة وكوفية وطاقيّة وصديرى فقبلتها كأحسن تذكّار وعلى أثر نجاح حكايتها أقبل كثيرون من سكان الحارة على منزلى لأخذ ما يسمونه (بالأحجبة) لشفاء الرأس أو البدن أو المحبة بين الزوجين . وما دامت الأيام قد دفعت بى إلى هذه السبيل فقد قررت أن ألبس لكل حالة لبوسها ولو قليلا ، فأكثر بناء على ذلك من لبس السبع فى رقبتي ومن تريد ألفاظ التقوى وذكر أسماء الأولياء المشهورين عند الناس فى طيات الأحاديث بدرجة كبيرة .

ولما كنت أتمنى أن تقف الحال عند حد الشهرة الحسنة دون أن يحضر زبائن كثيرون خشية أن يكون بينهم من له بى معرفة قديمة فيلحقنى عن

طريقه ضرر ، لم أكن أشجع الناس على الحضور إلى منزلى وكنت أعتذر لكثيرين بالمرض ، وكان هذا الاعتذار يسبب كره بعض الناس لى . وللقارىء الكريم أن يتصور دقة الموقف ، إذ بينما أنا فى ميسس الحاجة إلى أنيس يزيل عنى ألم الوحدة التى اشتدت وأصرها وأحسست بأخطارها تمتد إلى الجسم والعقل إذا بى لا أرحب بهذا الدواء الناجع وأبقى على هذا الداء الدفين الذى أرهبه كالشر المستطير خشية أن يكون الدواء ذا مفعولين يقتلع عللا ويبذر أخرى ، وحسبى من ذلك شهرة تذر الرماد فى أعين رجال البوليس إذا ما سكن أحدهم فى الحارة فتلبه هذه الشهرة عن التفكير فى أحوالى ، ويقول الناس فى أمثالهم « صنعة فى اليد أمان من الفقر ، وأقول أنا فى أمثالى « صنعة فى اليد أمان من القبض ، ..

كان الاعتقاد فى صلاحى وتقواى شاملا أرجاء الحارة ، ولكن هذا لم يمنع وجود بعض المفكرين من سكان الحارة رأوا أن اشتغالى بعمل التمام والتبخير ليس خالصاً لوجه الله كما كنت أقول ذلك فى أحاديثى ، بل طبقوا على القاعدة الموجودة فى أذهان النابهين من الناس بحق . وهى أن هؤلاء المدعين للبركة والولاية ومعرفة الغيب هم أشخاص نصابون لهم أغراض خفية وللقراء الحكاية الآتية :

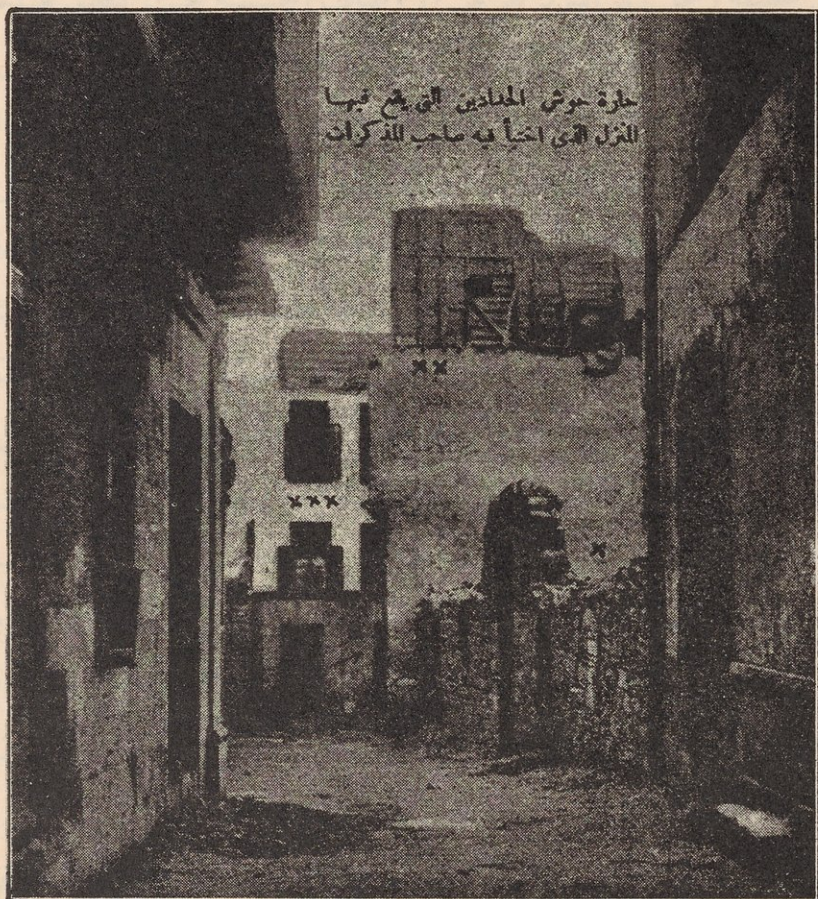
كان يسكن بالمنزل رقم ١٢ بالحارة وهو المنزل الملاصق للجدار الشرقى لمنزلى رجل اسمه محمد افندى على كان براداً بورشة التراموايات بشبرا واستغنت عنه الشركة على أثر إضراب العمال فى عام ١٩١٩ فافتتح له ورشة خلف مسجد السلطان حسن الواقع أمام القلعة ولهذا الرجل ابن اسمه أحمد اسمعه يقول إنه طالب بمدرسة الهياثم الصناعية .

سلم على هذا الرجل مرة فى أول شهر سكنت فيه بجواره ولم يقابلنى بعدها حتى حضر إلى منزلى فى هذا الشهر من تلقاء نفسه وأدار بوجهه فى

غرقى ، ولما لم يجد بها إلا أثاثاً تافهاً قال هذه حال المجاورين ثم جلس على الحصير وقص على حكاية طويلة ملخصها كما يأتي :—

يسكن معه بمنزل واحد بالدور الواقع تحته مباشرة شخص ضرير يدعى الشيخ محمد عبد الفتاح وهو فقيه مشهور بجهة القلعة ولهذا الفقيه أخت كان يراها محمد افندى على كثيراً ويهيم بحبها وأخيراً طلب يدها من ذويها فرفضوا أجابة طلبه ، ويظهر أنهم فعلوا ذلك لما يعلمونه من أن هذا الرجل متزوج وله أولاد كثيرون من زوجته هذه ، ولا بد أنه عا ند يوماً ما إلى قديمه بعد أن يطفىء نار الشوق والهيام .

أما الرجل فان تباريح الهوى قد أضنت فؤاده وأنسته الزاد والمأوى ، فهو يهجر مصنعه ويلزم عقر داره طويلاً ولا شغل له سحابة نهاره سوى الصعود والنزول على درج المنزل ماراً بمحدران الحبيب على غير جدوى ، وقد لحظت زوجته ذلك جيداً وأصبحت في شك من أمره مريب ، وساءت حالة الزوجية وأصبح الطلاق أمراً لا يحصى عنه ، ولكنه رغم ذلك ما برح يفكر فيما يكون وراء الطلاق وهل هذه الخطوة تؤدي به إلى نيل المرغوب أم إلى إفلات العصفورين من يده ، وأخيراً اهتدى به التفكير إلى حيلة شيطانية يضمن بها حسن العواقب في حالة إتمام الطلاق بينه وبين زوجته الحاضرة . وقد لجأ إلى منزلى لنسج شباك تلك الحيلة فصارحنى القول بأنه يهيم بحب تلك البنت وأنه يريد أن يضمن الحصول عليها قبل طلاق زوجته منه وأن كل حيلة قد نفذت ولم يبق فى جعبته سوى حيلة واحدة لا يمكن تنفيذها إلا على يديّ وأنه فى سبيل ذلك يعدنى بدفع جنهين أحدهما مقدم وذلك فى حالة قيامى بدورى بمهارة فائقة ، ثم سرد تلك الحيلة قائلاً إنه على يقين من أن أهل تلك البنت يعتقدون أننى شيخ مبارك كبير المقام وأنهم يرسلون إلى بآثارهم لمعرفة مستقبلهم ، فيمكننى بأية وسيلة أدبرها أن أستحضرهم للاستعلام منى عن مستقبل البنت وعندئذ أخبرهم بأنها مكتوبة



حارة حوش الحدادين التي يقع فيها
المنزل الذي اختبأ به صاحب المذكرات

(مدخل حارة حوش الحدادين بقسم الخليفة)

- المنزل الذي تسكن أم خليل في غرفة منه . ×
- الغرفة الواقعة فوق السطح ، تسكن فيها زينب أم عطيه . ××
- المنزل الذي يسكن فيه محمد افندي علي والشيخ محمد عبد الغني . ×××
- إلى الداخل توجد العطفة الساكن بها الشيخ سليمان صاحب
المذكرات . +

على عصمة رجل ، ثم أسرد لهم من الأوصاف الجسمية بحيث تنطبق هذه الأوصاف عليه تمام الانطباق وأؤكد لهم في غضون الكلام أنه لا مفر من زواجها بالرجل صاحب هذه الأوصاف وأنها ستكون سعيدة حقاً بهذا الزواج . فلما انتهى كلامه وعرفت أغراضه أطرقت برأسي وقبضت يدي على لحيتي قليلاً ثم قلت له أنت لك زوجة وأولاد منها فاعلم أن مشروعاً كهذا سيجر عليك ذبول المصائب لأنك ستصبح صاحب أسرتين وأنا أدري منك بأحوال النساء وحكاياتهن ، فاعدل عن رأيك واستعذ بالله من الشيطان الرجيم إراحة لفكرك واقتصاداً لمالك . ثم ما زلت أضرب على الوتر الحساس عنده وهو مستقبل أولاده حتى عاد الرجل إلى رشده ، ويظهر أن الرجل كان في قرارة نفسه على شيء من التردد ، فلما قويت عنده جانب العقل إلى حد التغلب على جانب العاطفة صرح لي بأنه أطلع عن رأيه ، ومن ثم كبرت أنا في نظره واعتقد أنني لست من المشايخ النصايين ، وقد ظفرت منه بعد ذلك بمساعدة أدبية هي أئمن من المال وهي أنه أصبح يكيل لي المدح الكثير على مسمع من سكان الحارة ويبعد غنى أعدائي ويزورني أحياناً .

أما زوجة هذا الرجل فانها عندما رآته يتردد على منزلي أساءت بي الظنون في بادئ الأمر وصارت تكرهني وتتجسس على أعمالي اعتقاداً منها أنني سأكون عليها لا لها ، وظلت تكرهني مدة طويلة ويصلني نبأ كرهها إلى أن تبددت أوهامها وتبدلت ظنونها بعد حين ، والحقيقة التي وقفت عليها فيما بعد هي أن هذه البنت كانت تتودد إلى هذا الرجل في فاتحة الأمر فظن أنها تريده بعلاً لها وهام بحبها ولكنها لم تكن تقصده هو بالذات وإنما كانت تظن أنه يرضى عنها فيأخذها لابنه أحمد ، ولكن الأمر انتهى بالجفاء التام بين الأسرتين وانتقلا إلى جهتين بعيدتين .

== (المذكرة الحادية عشرة) ==

يوليو عام ١٩٢٠

زادت نسبة الخروج ليلاً في هذا الشهر إلى مرتين في الأسبوع وكانت كل مرة لا تزيد على نصف ساعة وكنت إذا أبصرت أحداً من سكان الحارة سائراً في أية جهة من الطريق الذي أكون سائراً فيه استوقفته وسرت معه قليلاً وذلك كي يعلم الجميع أنني لا أبقى في المنزل باستمرار وقد غيرت طريق سيرى فبدل أن كان غالباً في شارع الصليبية من ميدان المنشية إلى ميدان السيدة زينب أصبحت أتجه مراراً نحو مسجد السيدة عائشة وكنت أتهز الفرص في بعض الأحاديث فأروى للناس أنني أخرج ليلاً لأقابل زبائني الذين يعطونني آثارهم ويخبرونني باحتياجاتهم وأمضى نهاري نائماً لأرى الخدام في أثناء النوم فيخبرونني بمستقبل الناس ومطالبهم ولم أعود أحداً ممن يحضرون للاستعلام عن شيء أن يسأل فيجيب على الفور بل كان عليه أن يترك الأثر يومين ثم يحضر وذلك بحجة أنني أبحر في مدى اليومين وأرى في المنام جواب ما يسأل عنه والحقيقة أنني كنت أخشى الخطأ من الإجابة السريعة وأمضى اليومين في التفكير في الأمر إلى أن أنهى إلى رأى قاطع أقوله فاما خطأ وإما صواباً ولم تكن فترة الأحاديث بيني وبين الناس طويلة بل لم تتعد بضع دقائق لأن أغلبهم كانوا يحضرون لأخذ تيممة صغيرة لتعليقها على صدور الأطفال أو على رموس الكبار لتمنع عنهم الأمراض وكان موقفي أمام العامة وخرافاتهم زمن اختفائي لا يسمح بمناقشة أحد كائناً من كان في أضرار هذه الأوهام العالقة بالآذهان أو التليخ بقدر كبير أو

صغير ضد أية عقيدة من عقائدهم بل على العكس كنت مضطراً لمجاراتهم في وجهة نظرهم للظروف التي يعرفها القراء .

في هذا الشهر كانت الأعراض التي تنتابني من جراء عزلي في منزلي لا تزال وطاتها تشتد ولم يؤثر في حالتي الصحية تبادل الأحاديث بيني وبين بعض الناس أى تأثير لأن الفترات القصيرة التي كنت أمضيها في الكلام مع الناس كانت كالقطرة في بحر الساعات الطويلة التي تتوالى بعضها في إثر بعض دون أنيس أو على الأقل دون نافذة أطل منها على شارع ما فأشهد مناظر متجددة وكان الحبس الانفرادي الذي يكاد يكون تاماً في الستة الأشهر الأولى على الخصوص كأنه مقدمة كافية لأن تجعل نسبة الأضرار الصحية التي تلحقني فيما تلا ذلك من الشهور أكبر وأسرع خطى منها في أثناء الشهور المذكورة بل كان لها من الآثار السيئة ما يصعب التخلص منها بعد أعوام طويلة ورغم الراحة القلبية والسرور من ازدياد الشعور الوطني في البلاد ومن فشل البوليس في خطته التي رسمها للقبض عليّ فإن الجسم كان كأنه شيء مستقل عن النفس أراه يتأثر بفعل المؤثرات المادية التي تكتنفه وليس بينها إلا كل قاس عتيد ، ولذلك كان الأرق ليلًا والامساك نهاراً يستبدان بمعيشتي وكان الداء الأكبر الذي يهددني كالسيف المصلت فوق الرأس هو عدم وجود من أتكلم معه في أكثر من تسعة أعشار وقتي فاذا وفقت إلى حل للنقطة الأخيرة بأى وجه من الوجوه البعيدة عن رقابة البوليس كان ذلك إيذاناً بالنجاة من الخطر الأكبر على الجسم والعقل ولهذا لم يعد التواني في حل هذه العقدة من المصلحة في شيء وأمسى البحث عن دواء سريع حاسم هو الشغل الشاغل في أغلب الأوقات .

== (المذكرة الثانية عشرة) ==

أغسطس عام ١٩٢٠

كان أحد سكان الحارة يحترف أيضا بكتابة التائم ويلبس عمامة خضراء وهو متزوج من أخت صاحب المنزل وقد تردد هذا الرجل على عطفة منزلي كثيرا في هذا الشهر بحجة أنه يريد أن يتسكلم مع جاري والحقيقة أنه يبحث عن فرصة ينتهزها للتعرف بي وظل كذلك إلى أن تقابل معي وفي نهاية الحديث عرض عليّ أن يشترك معي في أشغالي لما سمعته من حسن السمعة فتظاهرت بالموافقة ثم أغفلت شأنه ولم أفتح له الباب حين حضوره فامتنع بعد ذلك عن الحضور من تلقاء نفسه .

لم أهمل كتابة الخطابات لنفسى وإلقائها في صندوق البريد ليلا بين حين وآخر وكذلك شراء الجبن والبيض والفريك وإعطاء بعض الجيران هدية منها على أنها واردة إلى من بلدى الفيوم وهكذا استمرت أيضا تلك النعمة القديمة بجانب النعمة الجديدة التى تضامل كل شئ بظهورها .

كانت العطفة التى بها منزلى لا تضم أيضا إلا منزلا صغيراً آخر وكان هذا المنزل الثانى يحوى دورين وبكل دور تسكن أسرة صغيرة وحدث فى هذا الشهر أن خلا الدور الأعلى من السكان فأوجست خيفة من هذا الخلو خشية أن يسكن به خفير أو بوليس سرى .

وفى اليوم الثانى سكن به آخر وعلمت أن اسمه الشيخ سيد ابراهيم احمد وصناعته رئيس عمال بمصلحة التنظيم فهدأ روعى ثانية وكان ابراهيم المليجى الخشاب

صاحب هذه المنازل لا يفتأ يذكر اسمي لكل من يسكن حديثاً بجواري مقروناً بالمدح والاعجاب وذلك كي ينقل إلى سمعي هذا المديح فلا أهجر منزله الذي لا يسكن إلا نادراً وقد مال هذا الساكن الجديد بناء على ما سمعته إلى التعرف بي عقب سكنائه مباشرة ولكنني تجنببت الاختلاط به قدر الطاقة مدة طويلة .

أعدت النظر في هذا الشهر كرة أخرى في أمر الانتقال إلى منزل آخر لوضع حد لحياة العزلة ولكن الرأي انتهى إلى غير قرار حيث كان التفكير مشوباً بالتردد وكنت لا أنفك أخشى عاقبة الخروج من المنزل نهراً للبحث عن مسكن آخر ولم يكن هناك من يساعدني في ذلك على أنه لو كانت هناك شقة قريبة معدة للايجار لسهل الأمر ولكن أزمة المساكن كانت مستحكمة الحلقات .

— [المذكرة الثالثة عشر] —

سبتمبر عام ١٩٢٠

تردد جاري الجديد الشيخ سيد ابراهيم على منزلي ، وصار يطيل جلسته معي ويكثر من الخوض في المباحث الدينية ، وكنت أجيبه إجابة الواثق وذلك نتيجة انهماكي في سكون هذه الوحدة في قراءة الكتب الدينية المشتراة من جهة السيدة زينب وإذا حان وقت الصلاة وهو موجود بالمنزل أقام الصلاة ليأتم بي في صلاته ، وكما كان يلين القول ويسعى دائماً لكسب

ثقتى به والنزول على إرادتى إذا ما طلبت اليه أن يقضى لى حاجة . كل ذلك وأنا على حذر من أمره ولكنه حذر غير ظاهر ، وقد استغلقت على أغراضه الدفينة وأمهلت الأيام عساها تفسر لى ما خفى واستتر ، وظل الرجل يعالج الظروف والمناسبات فى إبان كل حديث حتى تهيأت له الفرصة بعد مقابلات عدة متوالية فاقتنصها فى التو والحين ، وما أسرع ما رأيت الرجل يكشف لى عن خبيثه فذكرنى بالمتاعب التى يقاسيها الأعزب فى معيشته بلا أنيس ولا رفيق فى حالتى الصحة والمرض فأنصت إليه طويلا فى صمت ، ولما آنس منى الاصغاء إلى كلامه رمى عن قوس رغباته فى لطف ودهاء ، فقال أظن يا شيخ سليمان أن الحديث الشريف يقول إن الزواج نصف الدين فياحبذا لو غيرت نظام معيشتك لتدخل السرور على نفسك وإنى لأرى أن اختيارك لزوجـة تؤنس وحشتك هو أمثل طريقة ترفه بها عن نفسك وتجمع بها بين زهدك الكبير فى متاع الدنيا وبين راحتك الضرورية فى منزلك فأجبتـه بالموافقة على وجهة نظره وأخبرته أنى عما قريب سأشرع فى تنفيذ هذا الرأى وذلك إما بالخطوبة من بلدتى الفيوم أو من القاهرة فقال حسنا تفعل ويقول الناس اخطب لبنتك ولا تخطب لابنك ، وإنى أخبرك على سبيل الأحاطة بالشئ ليس غير ، أن لى بنتا ليست بكرا ولكنها صالحة جدا ، ثم تأوه طويلا وقال ولولا أقارب زوجها الأول لما فرط فيها البتة وهذه يا شيخ سليمان يكون سعيدا حقا من يتزوجها فاذا رأيت أن تخطب من القاهرة وخاطبتنى فى أمرها فستجدنا جميعا على أتم استعداد لخدمتك ، ثم واصل الحديث ذاكرا أن ثقته التامة بى مردها إلى ما سمعه من اجماع الناس على إطرأى وإلى ما رآه بنفسه مما لا يخفى على إنسان ، وأخيرا انتهى الحديث إلى أنى سأعمل استخارة فى أمر الزواج واختيار الزوجة وما سيأمرنى به الخدام فى الرؤيا سأعمل به وأفيده عنه .

ويظهر أن الشيخ سيداً قد ضاق ذرعاً عن كتمان سره فافشاه لأهل منزله
ففي اليوم الثاني شعرت يمد تحبظ على حديد نافذة الغرفة وسمعت صوتاً
يناديني فلبيت النداء ، وإذا بزوجة الشيخ سيد تكلمني من وراء حجاب وعلى
مقربة من نافذتها التي تقع عمودية على جدار نافذتي . .

رأت هذه المرأة أن زوجها قد خرج إلى عمله في الصباح الباكر
فانتظرت إلى الساعة العاشرة وأنشأت تتحدث إلى بحديث حداها إليه نفس
ملؤها الحزن والأسى وصدر يخفي وراءه الاشفاق من خطر داهم يوشك أن
يقع فلا يصيبن إلا عقدة صلاتها زوجها .

بدأت المرأة تتكلم في رفق وحنان ولبست لي ثياب الصديق الأعز . ثم
ما زالت توغل في الحديث بدهاء وحنكة حتى تبسطت في سرد تاريخ حياة
زوجها مع إخفاء مراميها البعيدة في حلل من الألفاظ الخادعة ، ومن قصتها
هذه عرفت أن الشيخ سيد من بلدة اسمها الرملة بجوار بنها وأنه سبق له
التزوج بامرأة من بطره غربية وأقام معها مدة طويلة في منزل صغير يمتلكه
بأطراف شبرا بعزبة بلال ورزق منها بنتين إحداهما تزوجت ثم طلقت ،
وهذه هي التي يريد أن يزوجني بها ، والآخرى صغيرة السن وأنه أخيراً
طلق زوجته المذكورة وباع منزله ثم بحث عن الزواج للمرة الثانية وانتهى
به المطاف إلى الاقتران منذ مدة قصيرة بهذه التي تكلمني وكانت قبل إتمام
العقد تقيم بمنزل أحد أقاربها بجوار القلعة منذ أن توفي زوجها الأول ولم
تعقب منه ، وأخيراً بعد زواج الشيخ سيد بها بحث عن شقة خالية بالقرب
من القلعة إلى أن انتهى البحث بالسكنى بجواري ، وعند ما وصلت إلى هذه
المرحلة من الأخبار سكنت برهة وأنا أستزيدها من الرواية ، فاستأنفت
الحديث قائلة يقيناً أنت تعرف كل هذا فقلت كلا ! فقالت : ألم يخبرك بشيء
من هذا فأجبت بالنفي . فقالت وهي تسكف الضحك : لقد عرفت كل ما دار
بينكما وأتيت لأشرح لك حقيقة الأمر شفقة عليك وإسداء للنصيحة لأنك

غريب مثلى . ثم قالت إن الشيخ سيداً يريد أن يزوجك من ابنته لا حباً فى شخصك وإنما بغية أن تكون ابنته بجواره فلا يضطر أن يذهب إلى شبرا لرؤيتها ، وأيضاً كي يعولها رجل آخر فلا تطالبه بالصرف عليها لأنها على وشك أن ترفع دعوى هى ووالدتها عليه ، فإذا زوجها يكون قد أبعداها عن والدتها وجعلها فى صفه ، وهذا ربح كبير له ، وهو يتمنى لو تدوم العشرة بينكما ليستفيد من غناك إذا ما كشر له الدهر عن نابه يوماً ما كما يقول . أما ابنته هذه فى الحقيقة يا شيخ سليمان فلا تليق أن تكون زوجة أحد لأنها شريرة بمعنى الكلمة ، وقد طلقها زوجها الأول بعد أن شجر بينهما من الخلاف ما أقام الدنيا وأقعداها ، وبعد أن جردته من كل ما يمتلك فى سبيل إشباع نهم والدتها ، وهذا علاوة على أنها قبيحة المنظر ، ويمكنك أن تطلب منه رؤيتها أو تستدعى إحدى قريباتك من الفيوم لرؤيتها قبل الاقدام على الزواج بها . ثم قالت فى النهاية إنها تنصحنى نصيحة خالصة لوجه الله ألا أقع فى حبال هذا الرجل وابنته وإنه إن كانت هناك ضرورة ملحة للزواج فى الكفيلة بالبحث عن كل ما أطلب ، ثم ختمت الحديث بقولى لها إتنى لم أبت الرأى فى أمر الزواج وإننى الآن أبخر لعمل استشارات فى هذا الموضوع وسيكون قرارى مبنياً على ما تأمرنى به الاستشارات .

وقد استمر الشيخ سيد يتردد بعد ذلك على منزلى بين حين وآخر وهو لا يدرى شيئاً عن مؤامرات زوجته ضد ابنته من طليقته ، أما زوجته فكانت كل يوم تتجاذب مع أطراف الحديث فى الموضوع وتعيد ما ذكرته لى من قبل وتقيم صرحاً عالياً من العقبات فى سبيل رغبات زوجها وتوصينى عند كل مرة ألا أذكر شيئاً عن أحاديثها معى لزوجها ولم أستطع فى أول الأمر أن أعرف بالضبط علام تشير هذه الضجة ولا كيف أميط اللثام عن كنه تلك الدعاوى التى تساق أمامى بسخاء ولكن مهما كان الأمر فانها تركت فى نفسى أثراً زاد فى حيرتى وكنت كلما خلوت إلى نفسى للتبصر فى العواقب رأيت فى الجو

برق المتاعب يومض ورأيت قد مى تنزلق إلى هاوية لا يعلم لها قرار ولكن حياة الوحدة من جهة أخرى وضرورة التخلص من بأسها بأى شكل من الأشكال كانت هى المحور الذى تدور عليه رضى الذهن على الدوام . وأخيراً أخذت أقارن بين أوجه النفع وأوجه الضرر المنتظرة من جراء هذه المغامرة المزمع الدخول فى حومتها فأفهما أراه أقوى حجة أسلك سبيله بلا تردد وعلى ذلك كانت أوجه النفع كالآتى :

أولاً — حالتى الصحية فى أشد الحاجة إلى رفيق يقيم معى على الدوام .
ثانياً — هذا الرفيق لا يمكن أن يكون إلا زوجة .

ثالثاً — تقضى ظروف الحال ألا تكون هذه الزوجة بكرأ بل ثيباً ، وذلك لأن البكر تتطلب حالتها بموجب العادات السائدة عرساً ليلة الزفاف وهو الأمر الذى يضطرنى إلى الخروج إلى الأسواق ومقابلة مختلف العمال والعروس ليلة عرسه يظل طوال الوقت هدفاً لتساؤل الناس عن صنعته وأقاربه وأحواله ولا يعلم على وجه التحقيق ما قد يقع من الظروف والطوارئ وبخاصة فى أفراح العامة حيث يكثُر الشجار والمنازعات التى تكدر صفو الليالى . وميدان هذا بعض مشتملاته لا أستطيع بمحض رغبى أن أزج بنفسى فيه . أما إذا كانت العروس ثيباً فلا حاجة إلى تلك المظاهر كافة وخصوصاً لدى الفقراء فان الأمر لا يعدو حضور المأزون مع اثنين من الشهود وقد لا يزيد الأمر عن هذا العدد مع القليل من النفقات .

رابعاً -- زواجى بينت هذا الرجل يجعله يستقر نهائياً فى بيته الحالى فلا ينتقل منه وهذا يضمن لى عدم سكنى الخفر والعساكر بجوارى تلك السكنى المحتمل وقوعها نظراً لوقوع الحارة خلف قره قول الخليفة .

أما أوجه الضرر فتتلخص فيما يأتى :

أولاً — اتى أجهل جهلاً تاماً أخلاق هذه الأسرة وأسرار طلاق هذه

السيدة من زوجها الأول ولا أعلم على وجه اليقين ما هو الباعث الذي دفع الشيخ سيد إلى مفاتحتي في أمر الزواج بابلته مخالفاً بذلك عاداتنا المألوفة ، وهل هذا الباعث هو طمع في مالى على أثر ما سمعه من سكان الحارة أم يرجع إلى الأسباب التي ذكرتها لى زوجته على غير علم منه ، وما سر هذه الجملة الشعواء التي أثارت وتشير زوجته غبارها . نعم هى زوجة أب ومن العامة ، ولكن أنى لي أن أ كذبها في كل ما تقول .

وقد كانت أيام دراسة هذا الموضوع وتمحيص أوجه النفع مع مقابلتها بأوجه الضرر لتقرير أى الجهتين أرجح وزناً ، أياماً مفعم جوها بعواصف الأفكار المتضاربة وأنواء الريب والشكوك .

أجل لقد كانت فكرة الزواج في مقدمة الحلول التي كانت ترد على خاطر منذ شهور مضت ولكنى كنت أتصور أن الخطر جاثم فيها إذ أنها تبهظ عاتق الانسان وتزيد من قيوده في الوقت الذي يرجو أن يكون خفيف الحمل لا تربطه بسكنى هذه الحارة إلا روابط واهية حتى إذا ما دق ناقوس الخطر لسبب من الأسباب يوماً ما ركن الانسان إلى الفرار منها غير آسف عليها ووجد طريقه سهلاً معبداً .

ولقد كانت في الحارة بنات كثيرات وكانت سمعى الحسنة شفيعاً لى إذا أنا تقدمت لأقاربهن جميعاً بلا استثناء ، ولكن كان هناك أمران لا بد من وقوع أحدهما أو كليهما إذا كنت أنا البادى بالطلب . أولهما تعريض نفسى للأسئلة الدقيقة عن بلدى وأهلى وما يدرينى لعلمهم يخاطبون الجهة التي أرشد عنها للاهتمام اليهم وعند ذلك يتسع الخرق على الراقع . وثانيهما ضرورة الخروج إلى الأسواق والتزنى بالأزياء الجديدة إذا كانت العروس بكرأ ، وو كلا الأمرين غير مرغوب فيه . ولذا كنت أسدل على الدوام ستاراً كثيفاً على هذا الحل وأتوجه للبحث عن غيره ، ولكن الايام حبالى يلدن كل عجيبة وهامى ذى الظروف قد ساقى إلى في أشد الاوقات حاجة إلى حل مسألة

العزلة من يعرض على حلا قياما دون أن يرهقني من أمرى عسراً أو يسألني عن أهلى سؤالا . لقد أصبح إنقاذ حياتي وعقلي بهذا العرض في يدي ومن تدفعه النيران من جانب ألقى بنفسه إلى الجانب الآخر ولو كانت به نافذة . لقد قررت أن أتزوج ولم يكن هناك من تتوافر فيها الرغبات سوى أسرة وبنت واحدة وهى بنت هذا الرجل وليس هناك مجال للبحث والاختيار فإما هذه وإما لا وعلى أثر ذلك قابلت الشيخ سيد ابراهيم وأخبرته أنني عملت استشارات عدة وأن النتيجة كانت حسنة جداً وأنتى توكلت على الله وعزمت على مصاهرته وفى يوم الأربعاء ٢٢ سبتمبر عام ١٩٢٠ الموافق ٩ محرم عام ١٣٣٩ تمت التمهيدات نهائياً وفى المساء حضر الشيخ على محمد الشيبينى المأذون الشرعى بقسم الخليفة والشيخ عمر عمر والحاج اسماعيل قاسم من سكان الحارة كشاهدين وعقد العقد ودخلت بالعروس فى ذات الليلة وما أن تنفس الصباح حتى أذيع الخبر فى أرجاء الحارة وأقبل الكثيرون للتهنئة ولما كان من الآمال التى يخفيها الكثيرون فى نفوسهم أن يزوجوني ببنت من بناتهم الأبنكار عرت الناس دهشة وسرى بينهم التساؤل عن سر نجاح هذا الجار الجديد وكيف أنتى أرضى بالزواج ببنت ثيب مع وجود الكثيرات أمامى من الأبنكار . وبعد أيام طويلة تنوسيت الحكاية وانتهت من السنة الناس

[المذكرة الرابعة عشرة]

اكتوبر عام ١٩٢٠

كانت عادة الشيخ سيد ابراهيم أن يمضى جل أوقات فراغه فى المنزل ولما كان يعلم عنى عدم الرغبة فى الخروج من منزلى دون أن يعرف لذلك سببا أو يظهر ميلا لمعرفة السبب اعتاد أن يزورنى كثيرا ويقضى معى أوقاتا طويلة ولم يكن الرجل بالأمى القمح بل كان على علم تام بالقراءة والكتابة وكان حديثه عذبا مسليا وقد تطوع من غير كلفه أن يشتري لنا بنفسه أو بواسطة أحد عماله حاجاتنا من الخارج وذلك على اثر انقطاع أم خليل عن الحضور إلى منزلى بتاتا بعد الزواج وكان أحد عماله يجيد مهنة الخلاقة ويمر على منزله وقت الحاجة إليه فأصبح يمر أيضا على منزلى وبهذه الخطة اكتسبت فى هذا الشهر فوائد منها تخفيف حياة العزلة (أقول تخفيفا وليس محوا . لأننى لا أزال أجلس فى المنزل ليلا ونهارا ولا أبرحه أما نفس الآثار السيئة التى خلفتها العزلة للصحة فى الشهور الماضية فلا تزول إلا رويدا رويدا) والخلافة التى كنت أحسب لها ألف حساب عند ما يحل ميعاد الذهاب إلى دكان الحلاق . وسأل الشيخ سيد مرة عن سبب شراء الجرائد بكثرة فقلت له ألا تراك تدخن كثيرا ، أليست هذه عادة لا يمكنك الفكك منها ، ألا ترى أن عادتك هذه لا أثر لها عندى فبمثل ذلك ترانى قد اعتدت شراء الجرائد بكثرة فبدلا من أن أصرف النقود مثلك فى شراء الدخان أصرفها فى شراء الجرائد ولكل إنسان عادة لا يتذكر منشأها ولا يستطيع إغفالها وكان سياق الحديث يفسر لى غرضه إذ يريد أن ينصحنى بالاقبال بغية الاقتصاد فى مالى

وليس لشكوك أخرى ولا عجب في ذلك فقد كان ينتهز كل فرصة ليجعلني أعتقد أنه يعطف عليّ ويهتم بأمري كثيراً وكنت أنا من جيتي أنتهز كل فرصة لأجعله يعتقد أن عدم خروجي من المنزل يرجع إلى شدة الصلاح والتقوى فكنت أقول له في غضون الحديث إن البعد عن العالم عبادة وإن الشوارع مباءة المعاصي والمنكر وإني لا أريد أن أنظر إلى تهتك النساء فيها واستغفر الله العلي العظيم من ذلك . ولا جدال في أن ذهني شغل بالتفكير والحذر بعد الزواج أكثر من ذي قبل نظراً لاطلاع آخرين على حياتي الداخلية وتأكدي من أن حركاتي في الداخل سيذاع أمرها في الخارج إما عمداً وإما عفواً .

المذكرة الخامسة عشرة

نوفمبر عام ١٩٢٠

لما سكن الشيخ سيد إبراهيم بجواري سمعت زوجته زينب بنت إبراهيم مرسى من رأس الخليج تلك الشائعات التي حلت في قلوب الناس محل العقائد بصدد مكاتبي في عالم السحر والكتابة وإعادة المطلقات إلى أزواجهن وكان أمامها مثل حي هو إعادة أم عطية إلى طليقها بعد أن فرق الدهر بينهما فراقاً ظن أنه حليف الأبدي ، ذلك الحادث الذي أصبح مضرب الأمثال وملاك الأدلة إذا ما احتدم النقاش بين متحاورين . سمعت المرأة بكل هذا فتأثرت به وصدقته أتم تصديق فلما دار الفلك دورته واتصل بها أن زوجها يسعى لتزويج ابنته بهذا الذي بيده أن يجمع بين قلبين متنافرين ويباعد بين قلبين

متحابين كما تعتقد بذلك اعتقاداً راسخاً أطار هذا الخبر صوابها وخشيت لو
تم الأمر لتخضت النتيجة عن شر وبيل تاعس لا بد لاحق بها وتصورت
النتيجة على الصورة الآتية وهى أن زوجتى الجديدة تعمد إلى إيغار صدرى
ضد امرأة أبيها وتوصينى خيراً بأمرها فأعمل جاهداً بواسطة السحر على
استعادة أمها لأنها ثانية بعد أن يطلق امرأته زينب وما أدراك ما سحرى
فى نظر غيرى من سكان الحارة جميعاً : إن هو إلا سحر لا يطيش له سهم
ولا يأفل له نجم . أقول تحت تأثير هذا الوهم ، نشطت المرأة زينب إلى
نصب الفخاخ وإيقاظ الفتن فى الوقت المناسب قبل أن يسبق السيف العذل
وهى تلك المرأة ذات الذهن الخصب التى شبت وسط المسكر والخبث فحلبت
شطرى الأيام بغير علم أو تهذيب وإن تعجب فاعجب إلى النهاية التى ليس
بعدها نهاية من وجود امرأة أمية بهذا الدهاء وبعد النظر لا تضطرب ولا
تلتوى عليها سبل التفكير وإذا سمعتها حين ترمى عن أغراضها فى طيات
الحديث حسبت عالماً جهبذاً من علماء النفس يضع الخطط عن دهاء وحرص .
عانت تلك المرأة فى سبيل إحباط مشروع الزواج ما عانت وذلك بالنيل من
بنت زوجها والكيدها عند محادثتى من النافذة فى غيبة زوجها . وأخيراً لما
رأت أن مجهوداتها آلت إلى الفشل وأن الزواج قد تم بالفعل لم تقتر لها
عزيمة ولم يدب فى قلبها يأس بل واصلت السير فى طريقها ودأبت على نسج
شباك الشقاق ولما أصبح من العسير أن يخلو لها الجو فتتحدث معى كسابق
عهد لها قبل أن تحضر الزوجة إلى بات التأثير كله منصّباً على الزوجة لأنها
هى التى تذهب إليها فى بعض الاوقات فى منزلها فلا تدعها تعود إلى زوجها
إلا بعد أن تحشو ذهنها بسوء القالة مما لا أعرف كنهه وإنما ألمس نتائجه وقد
وقعت زوجتى فريسة فى يدها وهى الأضعف إرادة والأقل تفكيراً فدبت
عقارب السوء بيننا فى عنفوان الأيام ولكن أنى لزوجتى أن تعرف الأغراض
الخفية وقد عرفتها إحدى الجارات الساكنة فى الدور الاول بمنزل

الشيخ سيد فأفضت إلى بأن زينب ترتجف ليل نهار خشية أن يسود حسن التفاهم بيني وبين زوجتي فلا أنفك أسحر لوالدتها حتى أعيدها إلى مطلقها . هذا وصف موجز لما عليه زينب من الصفات ولم يكن زوجها الشيخ سيد أقل منها معرفة بسياسة الكلام ومحاولة خلب العقول وكان يتصف بصفة قلما يظفر بها كبار المتعلمين وهي شدة ضبط النفس عند مجابهة أشد ما يثير الانفعال . أما ابنته فكانت على عكس أبيها مسلوقة الارادة عصبية المزاج لا تصلح للجو الهادي ذلك الذي رميت إليه من وراء الزواج والذي هو العلاج الوحيد لآعصابى المجهودة وحالتى المتهدمة .

أما إذا جاء الجو عاصفاً قاصفاً على عكس ما نأمل كان الزواج ضعفاً على إباله ولا يزيدن صحتي إلا سوءاً ووبالاً .

وبالاختصار لم يعد خافياً عنى فى هذا الشهر أنى أصبحت بين رجل وابنته وزوجته الأولى وزوجته الثانية . أربعة هم واسعو الحيلة فى تدير المؤامرات بعضهم ضد بعض وضد من يبغون من ورائه نفعاً وغناً .

وهذه الصورة الاجتماعية ليست فريدة من نوعها فى أوساط العامة بل كثير عددها وكأن العامة بينهم وبين القناعة والاخلاص ثأر فهم يريدون أن ينتقموا من الدهر الذى وضعهم تحت آصار الفقر يرزحون وهذه بعض الدوافع نحو الاجرام ونحو الانتفاض على الأغنياء كي يهبطوا درجة ويرتفع الفقراء درجات فيتلاقوا عند نقطة أو تنقلب الحال وهذه الدوافع اللاشعورية فى نفوسهم تفسرها أفعالهم ولا تفسرها أقوالهم .

== (المذكرة السادسة عشرة) ==

ديسمبر عام ١٩٢٠

شخص يدعى حسين محمد افندى من خريجي مدرسة الفنون والصنائع بيولاقي ويتخذ له محلا لمبيع وتصليح الكلوبات ووابورات الغاز والأدوات الكهربائية بأول شارع شيخون بقسم الخليفة يحمل دائماً في أحد جيوبه ساعة ذهبية لها مكانة كبيرة في نفسه ويقدر ثمنها بأربعين جنهماً .

ذهب هذا الافندى في يوم من أيام هذا الشهر إلى دكان حلاق على قيد أمتار من دكانه وخلع معطفه وعلقه على حمالة الملابس وجلس على كرسي الحلاقة حتى انتهى الحلاق من عمله ثم قام بعد ذلك ولبس معطفه ثانية وخرج مشيعاً بأجمل وداع وما أن خطا صوب دكانه بضع خطوات حتى رغب إلى معرفة الزمن فرفع يده إلى جيبه لخراج الساعة وكانت دهشته او قل ذهوله عظيماً إذ أنه لم يعثر على الساعة في جيبها الخاص فتهاقت على سائر جيوبه بحثاً ومسحاً وتقليباً فلم يجد لها أثراً فعاد أدراجه مسرعاً إلى دكان الحلاق وهناك سأله عنها بلهفة الحيران فلم يتلق جواباً يشفي حيرته وقد أباح له الحلاق عن طيب خاطر أن ينقب في نواحي المحل ودفائنه ودخائله ومدسوساته بكافة ما يراه من الوسائل فقام بذلك وانتهى البحث إلى غير جدوى ثم تذكر الحلاق أن جاره (المكوجي) دخل دكانه في أثناء الحلاقة وأقام برهة من الزمن ثم خرج فذهب الجميع إليه وفتشوا أيضاً جوانب دكانه فلم يظفروا بطائل فعاد حسين افندى إلى دكانه يتعثر بأذيال الندم . وما لبث أن ثارت عواطفه فأجهش بالبكاء وعلا صوت نحيبه فتزاحم الناس بالمنكب

على باب دكانه يستقصون الأخبار ويزودونه بأشهى الآمال. وبينما الجمع على هذه الحال من الهرج والمرج وإذا بالمرأة أم عطية التي يعرفها القراء قد حضرت إلى الدكان ويدها وابور غاز لاصلاحه فاقتمحت صفوف الناس ودلفت إلى الدكان وأملت بما هنالك من الأخبار وسرعان ما خفت من أجلها الأصوات وشرأت إليها الأعناق عند ما انطلق صوتها الرفيع في الفضاء راجحاً على كل جلبة وصياح قائلة طب نفساً وقر عيماً وهيا بنا إلى الشيخ سليمان وهو شيخ مبارك يقيم بحارتنا كلمته لا تنزل إلى الأرض وبركته لا تحدد وهذا هو الذي يأتي إليك بساعتك سواء أكانت في سابع أرض أو في سابع سماء فكفكف الرجل دمه وانطلق معها لا يلوى على شيء ولحق بهما قريب له يسمى محمد فهمي وصناعته براد بالقلعة واقتفى بعض الناس أثرهم على بعد منهم.

كان وقت الأصيل والشمس آذنت بالرحيل وزوجتي بمنزل أبيها وأنا جالس فريداً أحظى بساعة من ساعات الصفو والهدوء، وليس ثمة على صفحة الخيال ما يشغل البال، وعلى حين غرة تلبدت سحب الجو حينما قرع الباب بشدة ونادت أم عطية بأعلى صوتها قائلة «ياشيخ سليمان» أناس يسألون عنك، فتشأمت بهذا النداء ورجحت الشر على الخير ولما كان لا مفر من النزول اضطربت وكتمت ما بنفسى ونزلت على مهل وما كدت أفتح الباب حتى أشارت أم عطية بيدها وكررت العبارة نفسها وقالت كلم ياشيخ سليمان، أناس يسألون عنك فرفعت بصري، وإذا بشابين أنيقى الملبس أحدهما يرتدى معطفاً فوق جلباب وتبدو عليه سياء القوة، والآخر يرتدى معطفاً فوق بذلة، فأيقنت أنهما من رجال البوليس السرى وأناي بلا ريب قد وقعت بأيديهما فقابلتهما بابتسامة متكلفة ورجبت بهما ودعوتهما إلى الدخول، والغريب من أمر الموقف أنهما لم يردا على ابتسامتي بابتسامات مثلها بل نظرا إلى متفرسين في وجهي متلفين على رؤيتي،

ووجوههما حزينة كثيفة ساهمة وأسرها في الدخول إلى منزلى كمن يضمن بالوقت على الضياع وكان وراءهما على بعد منهما جمهور من الناس فاعتقدت من كل هذه الظروف المفاجئة أنهما سيفتشان منزلى ثم يلقيان القبض على فصعدت معهما متجاهلا الموقف وقد انقطعت أم عطية عن الدخول وذهبت إلى سليلها . ولما دخلا إلى غرفتي قدمت لهما الكراسى وما أن جلسا عليهما حتى بدأ أحدهما يتكلم فقال أنا محمد فهمى براد بالقلعة وهذا قريبى حسين افندى محمد المتخرج فى مدرسة الفنون والصنائع ثم طفق يسرد الحكاية وما كدت ألم بطرف منها وأعرف أن أم عطية هى التى أتت بهما للغرض المعروف حتى هدأت نفسى وانقلبت مظاهرى رأسا على عقب واستويت فى مجلسى ورفعت رجلا فوق أخرى وامتدت يدى تداعب لحيتى بأطراف الأنامل ، وأصبحت أشير برأسى متثاقلا ، وأبسملى ، وأحوقل ، وأنشأ الاثنان يتبادلان الشرح والتفصيل ، ومن غريب الأمر أن إلقاء أم عطية الخبر أمامهما ييقن ثابت فى بادية الأمر لم يجعلهما يفترضان الشك فى أمرى فيخفيا عنى بعض الأخبار على سبيل الامتحان لمقدرتى بل جعل اعتقادهما فى مقدرتى راسخا كالطود فقصا على مسامعى أخبارا كثيرة وقد تركتهما يتكلمان دون أن استوضحهما غامضا أو استزيدهما شيئا ، فما أطالا القول فيه قبلته كما هو وما اختصرا فيه قبلته كما هو أيضا ، وذلك كى لا يستنتج أحدهما غرضا بعيدا لا أتمناه ، ولما قربا من النهاية أخرج حسين افندى منديلا من جيبه كأثر له وأعطاه لى وذلك طبقا للتعليمات التى أرشدته إليها أم عطية فى أثناء الطريق ثم قال إنه يعدنى وعدا أكيدا باعطائى جنبيين بعد العثور على الساعة فقلت على العين والرأس وكن مطمئنا غاية الاطمئنان وسأرسل فى حضورك بعد يومين إن شاء الله ، ثم خرجا مزودين هنى بالدعوات الصالحات ! وأغلقت وراءهما الباب ومرت لحظة أغرقت فيها فى الضحك والتعجب إلى النهاية !!

عدت إلي غرفتي فرحاً بما انتهت به هذه المسألة ، ولكن الفرح لم يكن كاملاً إذ شعرت بالعبء الذي أتى على عاتق من جديد وأمضيت نحو نصف ساعة غارقاً في بحار التفكير مقلباً الموضوع على كافة وجوهه وحللاً الحكاية وكانت مراحل التحليل كما يأتي :-

شيء كان في جيبه وهو متأكد من ذلك ثم فقد هذا الشيء بعد قليل فأغلب الظن ألا يعدو الأمر أحد اثنين إما أن يكون هذا الشيء قد سقط من جيبه إلى الأرض في أثناء سيره في الشارع فالتقطه إنسان ومضى به إلى حال سبيله ، وإما أن تكون يد قد نشلته من جيبه متعمدة ذلك ، ففي الحالة الأولى لا سبيل لي إلى عمل شيء معين يفضي إلى نتيجة حسنة فلا يسعني والأمر كذلك إلا إغفال هذا الفرض وفي الحالة الثانية يمكن تتبع الأمكنة التي كان معطفه بها بالضبط لعاني أظفر بموطن شبهة فأحصر التفكير فيه فاما مصادقة عجيبة ، وإما وعود تصدر مني تناولها وعود ، إلى أن ينقطعوا عن المجيء فتنتهي المسألة بسلام .

والآن كان معطفه بدكان الحلاق وكان قبل ذلك بدكانه هو فإذا أنا اتهمت الحلاق فقد قتش دكانه تفتيشاً دقيقاً ولم يعثر به على شيء . فإذا أنا فاعل به بعد ذلك ؟ وإذا أنا اتهمت (المكوجي) جار الحلاق فقد قتش دكانه أيضاً تفتيشاً دقيقاً ولم يعثر به على شيء . فإذا أنا فاعل به بعد ذلك ؟ فلم يبق أمامي والحالة هذه مجال للتفكير إلا في الفرض الباقي وهو احتمال أنه كان قد خلع معطفه وهو بدكانه قبل الحلاقة ثم لبسه ثانية استعداداً للتوجه إلى دكان الحلاق وفي هذه الفترة نشلها أحد الزبائن أو أحد عماله . وهذا الفرض محتمل الوقوع ولكنه ليس مؤكداً ولم يكن واضحاً في الحديث في أثناء سرد الوقائع عما إذا كان قد خلع معطفه في دكانه قبل الحلاقة أم لا وقد عرفت منه أن بحله عاملاً يشغل معه ولكن لم أستطع أن أعرف هل هو فرد واحد

فقط أم معه آخرون وكل هذه الثغرات لم أحاول ملئها منه في أثناء الحديث بل نزعت جل الوقت إلى الصمت مع الانتباه وذلك للأسباب التي ذكرتها آنفاً وأخيراً رأيت أن أستدعي أم عطية وأتحدث معها أولاً عسانى أستطيع أن أجمع منها معلومات أخرى أو أعرف منها شيئاً عن النقط التي أريد أن أستوضح غوامضها فنزلت من منزلى بعد أن أوصيت نفسى أن أكون حريصاً في أثناء محادثتى مع أم عطية فلا أدعها تدرك عن قرب أو عن بعد شيئاً مما أضمره وفضلت أن يكون الوقوف عند حد المعلومات الناقصة خيراً من التبسط والاستبحار في الأسئلة المباشرة التي تتفق أذهان الناس ثم أرسلت في طلبها فحضرت وهى تبسم ولما كانت شاعرة بما سيدور حوله الكلام تكلمت في الموضوع من تلقاء نفسها فوقفت مصغياً لكلامها إلى أن سنحت لى فرصة للاستعلام منها عن عدد عمال المحل فقلت أظنهم كثيرين فقالت كلا يوجد واحد فقط فتابعته الأسئلة في الحال ببساطة المظهر وبالطريقة غير المباشرة جاعلاً غرضى الخفى معرفة أوصاف هذا العامل فقلت لعل هذا العامل هو الذى كان ساكناً في هذه الحارة منذ شهرين فقالت كلا لم يسكن بهذه الحارة قط فقلت هو شخص أبيض وقصير فقالت نعم هو قصير ولكنه أسمر وبعوينة (أى بعين واحدة) فقلت لها أليس هو الذى كان يلبس جلباباً من السكرورة المكواة فقالت كلا هو فى الدكان يلبس بنظوناً أصفر للركبة وفائلة من فوق ولا أعرف ماذا يلبس فى خارج الدكان ولكنه بكل تأكيد ليس هو الذى كان ساكناً بالحارة وعلى ذلك سكنت أنا فى الحال عن الاستزادة من الايضاح وكانت إشارات يدى عند كل سؤال لها تأثير خاص تجعلها لا تستطيع أن تستتج غرضاً لا أريده من الحديث ولا إشارات اليد ونبرات الصوت حين المحادثات تأثير له خطره فى توجيه ذهن المخاطب إلى جهات معينة كما سبق شرحه بإسهاب فى مقدمة الكتاب. ثم قلت لها أنا ظننته ذاك الذى كان ساكناً بحارتنا وخفت أن يكون متسكداً الآن من هذا

الحادث كرئيسه فأذهب إليه لأزيل كدره أما وهو شخص آخر فالحمد لله على ذلك وأصبحت هذه المسألة لاتهمنا .

وبعد قليل افترقنا وعدت إلى منزلى وقد ألممت ببعض أغراضى وهى أنه لا يوجد بالمحل إلا عامل واحد ، وكذا عرفت بعض أوصاف هذا العامل . جلست أعيد النظر فى الموضوع ثم خرجت ومررت على دكان حسين افندى سائراً من الشق البعيد من الشارع ثم ألقيت على الدكان نظرة فأنفسته مضاءً بكلوب كبير وأشباح الموجودين به واضحة وضوحاً كبيراً ، فرأيت العامل رؤية العين وعرفته إجمالاً لأن تفاصيل الوجه لم أستطع التدقيق فيها لبعد الشخص عنى ، وحين عودتى نظرت إلى الدكان نظرة ثانية . وقد صرفت يومين بعد ذلك وأنا أقلب المسألة على جميع وجوها فلم أجد حلاً أستطيع قوله سوى أن أتهم هذا العامل بسرقة الساعة ، فإذا كان هو السارق حقيقة فإن مجرد معرفته أن حسين افندى أعطى أثره لشيخ من المشايخ الكبار الذين لا تخفى عليهم خافية كما قررت ذلك أم عطية على مسمع منه يجعل الخوف والندم والارتباك يسرى إلى قلبه منذ الساعة الأولى فعند ما يلقى فى أذنه أن الشيخ سليمان قال إنه هو الذى سرق الساعة تجده يسارع إلى الاعتراف وإحضار المسروق ويطلب الصفح ، وأما إذا لم يكن هو السارق فانه يسادر إلى الحلف بالله وإقامة البراهين على براءته ، فإذا كانت البراهين قوية فانهم يتجهون إلى جهة أخرى من البحث ويكفون عن المجئ إلى وتنتهى المسألة بالنسبة إلى عند هذا الحد بسلام . أقول صممت على هذا القول ولم يعد أمامى ما يستحق التفكير فيه إلا نقطة واحدة ، وهى كيف أحول حيلولة تامة دون مشاجرتهم بعضهما مع بعض فى حالة ما إذا اعتقد صاحب الساعة فى قولى اعتقاداً تاماً واتهم العامل اتهاماً شديداً بالسرقه وكيف يكون موقفى إذا أدت مشاجرتهم أو اختلافهما بشكل من الأشكال إلى الوصول بالمسألة الى أما كن البوليس فيذكر اسمى عرضاً باعتبار أنتى أنا الذى أرشد إلى أن

العامل هو الذى سرق الساعة أو بأية مناسبة من المناسبات التى يتشعب إليها الاتساع فى التحقيق ولا يمكن معرفتها مقدماً فأستدعى نهاراً لدخول محال البوليس على سبيل الاستشهاد بأقوالى ، وهنا نقطة الخطر الذى لا أسعى إلى درء شئ عنى مثل ما أسعى إلى ذلك .

وبعد الامعان الشديد فى كل ما يمكن أن يتصل بالمسألة عن قرب أو بعد أرسلت فى طلب أم عطية فى اليوم الثالث ، ولما حضرت كلفتها باستدعاء حسين افندى وكنت أعددت فى الغرفة السفلى منضدة عليها حبر وقلم وورق ، وفى لمح البصر حضر حسين افندى ودخل وجلس ، فانتظرت برهة ثم بدأت أتكلم فقلت له : أنت لا تعلم كم أنى تعبت لك تعباً شديداً حتى عرفت سارق ساعتك وأنت كنت وعدت أن تعطبنى جنهين فى حالة العثور على الساعة ، فالآن أمامك ورقة أكتب لى تعهداً فيها بدفع جنهين عقب تسليك الساعة . فقال : نعم أنا على استعداد تام لذلك ، فأمل على ما تشاء وأنا أكتب ، ثم تناول القلم وكتب ما يأتى وأنا أمل عليه :

(أنا حسين محمد صاحب محل لمبيع السكوبات ووابورات الغاز بأول شارع شيخون أتعهد بدفع جنهين إلى الشيخ عبد اللطيف سليمان المشتغل بالأعمال الروحانية بحارة حوش الحدادين ، وذلك فى حالة عثورى على الساعة المفقودة بناء على إرشاداته الخاصة فقط)

وقد أمضى بعد ذلك وناولنى الورقة فأعدت قراءتها ووضعتها فى جيبى وأنا على يقين من أن هذه الورقة لن تقدم إلى محكمة قط ، وأما كونه يدفع أو لا يدفع فهذه مسألة ترجع إلى الظروف ، فإذا وقعت ظروف حسنة وأصاب كلامى كبد الحقيقة وكان هو السر الوحيد فى إعادة الساعة ذات الأربعين جنهياً فأكون فى هذه الحالة جديراً بأخذ الأجر ويكون هو مطالباً أدبياً حتى ولو لم يكن عليه سند ما بأن يدفع ما تعهد به من تلقاء نفسه .

وقد فكرت طويلا في هذه المسألة ورأيت أنني لا بد أن ألبس لكل حالة لبوسها ، وما دمت أنني ادعيت أن في إمكاني إظهار المخبات فلا بد أن آخذ ما يقدم إلى وأطالب به ، ولو في الحالات الكبيرة ، وإلا كوني شيخاً يعيد المسروقات إلى أصحابها دون أن يأخذ شيئاً فهذا أمر يخالف ما اعتاده الجمهور ، وأنا دائماً أمتنع عن عمل كل ما هو مخالف العادة لأنه يضر أكثر مما ينفع . وعلى ذلك بعد وضع الورقة في جيبى التفت إليه وقلت له أنا بخرت كثيراً ، ونمت طويلا ، وفي كل ليلة من الليالي الثلاث الماضية تظهر لي القرينة وتربني شخصاً مخصوصاً وتشير إليه بأنه هو السارق لساعتك ، فقال بتلف . ومن هو ! فقلت هو شخص أسمر وقصير وبعونية ويلبس بنطلوناً أصفر وقصيرا إلى الركبة وحزام جلد في وسطه ، فضرب على يده وقال نعم عرفته . هذا هو الصانع الموجود بدكاني . فقلت أنا لا أعرف صناعته وإنما هذه هي أوصافه ، وقد أعطى الساعة لشخص وهو يعرفه ، والطريقة الوحيدة الآن لاسترجاع الساعة هي أن تذهب إليه وتكلمه على انفراد ، وأوصيك بشرط واحد مهم جداً أوصتني به القرينة ولا بد من تنفيذه وإلا أفسدت عليك الأمر ، وهذا الشرط هو ألا تأخذه بالشدة بل باللين والسياسة ولا تخبر البوليس أو النيابة بحال من الأحوال لا قبل مفاتحته بالأمر ولا بعده ولا في أية حالة من الحالات وكن متسائلاً معه إلى حد النهاية القصوى فقال نعم . أنفذ ذلك ثم قال ولكن أخبرني عن اسم الشخص الموجودة عنده الساعة الآن وأنا أذهب إليه مباشرة وأثبت له أنها ساعتى وأخذها حتى ولو أدى الأمر إلى دفع شيء من النقود له فكان هذا السؤال صعباً لم أستعد للإجابة على مثله من قبل ولكنى في الحال أجبتة بقولى إن معرفة اسمه أمر ممكن ولكن يحتاج إلى أن أبخر مرات أخرى فأرجوك أن توفر على التعب وأن تذهب وتعمل كما أخبرتك به الآن وأنت ببركة أولياء الله جميعاً ستجد ساعتك وعلى أثر ذلك قام مسرعاً وودعته وكانت أسارير وجهه تنطق كأنما كان غريقاً

وانتشل وبعد ذلك مضى يومان وأنا لا أدري عن النتيجة شيئاً أصلاً ولا أريد أن أسمع عنها شيئاً ولا أتمنى إلا أن ينقطع هؤلاء الناس عن المجيء إلى منزلي . أما المسألة نفسها فكان يبدو لي أنه من المدهشات لو اقترنت بالنجاح هذه المرة أيضاً وفي عصر اليوم الثالث قرع باب المنزل ففتحته وإذا بحسين افندى يهيم بالدخول فرحبت به ودعوته للدخول فدخل وجلس ثم تبسم وأعطاني جنهين وشكرني شكراً كبيراً مقروناً بمظاهر الاحترام وقال : الفضل لك ! وكان العامل هو الذي سرقتها وقد أحضرها وإن شاء الله ربنا لا يجرمنا من نفسك ومن دعواتك فدعوت له بالخير وأعطيته ورقته التي تعهد فيها سابقاً بدفع المبلغ ولم أشأ أن أسأله عما جرى في ساعة إحضارها وكيف أثر في العامل لأن ذلك لا يليق من الشيخ وعلى الشيخ أن يعرف ذلك من تلقاء نفسه .

أما أم عطية فقد حضرت إلى المنزل بعد ذلك وكانت هي وغيرها أداة لنشر الحكاية في الآفاق ولا تسئل عما كنت أناله من الاحترام والتبجيل من سكان الحارة نتيجة لهذه الحوادث*

* أقرأ في ذيل الكتاب خطاباً مقدماً من حضرة حسام الدين افندى محمد الموظف بمجلس مديرية النيا يشرح فيه كيف أنه سمع هذه الحكاية عرضاً من نفس حسين افندى صاحب الساعة المسروقة في أثناء مأتم والد حسام افندى في عام ١٩٢٣ وكنت أنا في هذا الوقت لأزال مخفياً عن أنظار البوليس لا يعلم أحد عن حقيقتي شيئاً وكان حسين افندى تاجر كlobات وبطبيعة الحال يوزعها على الافراح والمأتم في لثناء الليالي وتصادف وجوده في هذا المأتم

المذكرة السابعة عشرة

يناير عام ١٩٢١

لم أكن أظهر فرحي لنجاحي في مسألة من مسائل السحر والتمايم أمام زوجتي وإنما كنت أخبرها أن النجاح هذا ماهو إلا مسألة عادية ونتيجة لا بد منها لعلو كعبي في هذه الأمور وشدة اتصالي بعالم الأرواح والجن . ولكوني أعلم عنها أنها تنقل كل كبيرة وصغيرة من أخبار المنزل إلى الخارج لم أشأ أن أدع ذلك الأمر الواقع يمر بمساوئه دون أن يكون لي من ورائه بعض النفع فكنت إذا أردت أن أنشر خبراً من الأخبار الخطيرة في الحارة فليس أسهل عندي من أن أمثله أمامها تمثيلاً متقناً حتى يستقر في ذهنها حقيقة واقعة ثم أدعها وشأنها فلا تمضي أيام قليلة حتى يصبح الخبر مشاعاً بين الجميع ومن ذلك أني وضعت مرة منديلاً تحت وسادة النوم قريباً من رأسها ثم نمنا وفي منتصف الليل استيقظت وبكل سرعة سحبت المنديل دون أن تشعر وعقدته سبع عقد ثم أعدته مكانه ثانية فلما تنفّس الصباح قامت منزجّة وأيقظتني وأخبرتني أنها وجدت المنديل معقوداً فقلت لها لا تخافي فهذه مسألة كثيراً ماتحصل من كثرة قراءاتي وعلى أثر ذلك انتشر الخبر في الحارة فلما أعاد والدها ذكره أمامي في سياق الحديث تظاهرت بأنني لم أكن أريد أن أخبراً كهذا يعلم الناس عنه شيئاً .

كانت أم الزوجة تقيم بأطراف شبرا وكانت الجارات حين يسألنها عن مهنة ذلك الذي تزوج بيتهما تذكر لهن أنه شيخ يعمل الأحجسة ويسحر ، فيطلب بعضهن منها مرافقتها حينما تذهب لزيارة ابنتها ، وعلى ذلك اشتهرت دون أن أشعر في نواحي الشراية وشبرا وكان كثيرات من نساء الجهات

المذكورة يحضرن عندي ، ومنهن امرأة تدعى هدية قالت إن مطلقها طباح بمنزل سعد باشا زغلول وتريد أن تعمل له عملاً كي يردّها إلى عصمته فكلفتها أن تصنع عند الحداد حقاً من الحديد يسع رأس دجاجة ، وبعد ذلك أحضرت دجاجة سوداء ليس بها يياض مطلقاً وذبحتها بنفسها وأعطتني رأسها ويعد تبخير طويل وتلاوة أناشيد تركية عليها وضعتها في الحق وربطته بدوبار كثير وناولتها الحق لتدفنه أمام عتبة منزلها . وقد استمرت تتردد على منزلي حتى فوجئت بخبر وفاتها بعد شهر تقريباً وبذلك انتهى موضوعها .

[المذكرة الثامنة عشرة]

فبراير عام ١٩٢١

بمنزلي نافذة تطل على عطفة صغيرة وتجاه النافذة المذكورة تقع نافذة أخرى تابعة لشقة أخرى بمنزل له باب من الحارة يمتلكه أيضاً إبراهيم المليجي صاحب منزلي . وفي هذا الشهر سكن بالشقة المشار إليها شخص يدعى سيد أفندي خطاب ، وهو وكيل محام شرعي مكتبه بشارع محمد علي وكان أخوه معه في معيشة واحدة وهو عسكري بوليس وقد مدحني إبراهيم المليجي صاحب المنزل أمامهما في غيبتى كعادته ، ليريهما أن لهما جيراناً من الناس الطيبين . . .

مرت الأيام وخطاب أفندي يسمع من أهل الحارة بالاجتماع ثناء مستطابا على كفاءة الشيخ سليمان في معرفة الخبآت بواسطة الأثر الذي

ياأخذه ثم يرده بعد ليلتين شارحانية صاحب الحاجة وما يتعلق بها وسمع
أيضا حكايات كثيرة وقعت فعلا مع بعض سكان الحارة ورآى كثيرين منهم
يقبلون يدي فلما اجتمع له ذلك لم يسعه إلا التصديق التام ولم يرتب فى صحة
شئ من هذا على الاطلاق وعمل على التعرف بهذا الشيخ والتبرك به ، ولم
يمض إلا القليل حتى كان كل من يزور الآخر فى منزله . عرفت ميوله
وما امتلأت به رأسه فأثبت إليه من هذه الناحية وكلت له من الأخبار الصاع
صاعين وما زلت به كل ليلة أسرد على مسامعه طرفاً من أخبار مملكة الجن
والشياطين وأن لكل فرد من الانس قرينا من الجن يسير وراءه حيثما سار
وهذا القرين هو الذى أستحضرة فى أحلامى بواسطة التعزيمه التى أتلوها مرات
عدة قبل نومي حتى راح يردد كل ما أقوله على مسامع الآخرين من أصحابه .
وفى ذات ليلة حضر إلى منزلي وقد انتابه نوع من الفرع وقص على أنه
لم ينم ليلته الماضيه من شدة ما دب فى قلبه من الخوف عقب سماعه بأبناء
القرينه ، وأنه يرى فى الظلام أشباح الشياطين كلما دخل فى الحارة أو خرج
منها ، وأنه لا ينفك يذكرهم فى غدوه ورواحه فبدأت روعه ، ووعدته بعمل
حجاب له فى الغد يطرده الشياطين من طريقه طرداً تاماً وفى اليوم الثانى زرته
وقدمت إليه حجاباً هديه منى ، وطفقت أسرد كثيراً من الحكايات المؤثرة
التي وقع بعضها حقيقة وبعضها كان من بنات الخيال وكان أخوه العسكرى
حاضراً معنا وهو أصغر منه سناً ويقوم بخدمتنا كلما أشرت إليه بأشارة صغيرة
ويعتبر نفسه تابعاً لنا وسعيداً لقيامه بخدمتى وتقيله يدي مع أننى لا أخاف
إلا منه ولا أبذل هذا الجهد أو أقص هذا القصص الذى يجعل له رهبة فى
قلبيهما إلا من أجله ولو كان غير عسكرى لما اهتممت بالتأثير فيهما هذا
الاهتمام . وقد تشعب الحديث فأفدتهم بأتنى أبخر وأنام نهاراً ولا أخرج
إلا ليلاً لمقابلة زبائنى الكثيرين فى بيوتهم وأتنى لأخبر الزبائن بعنوان منزلي

كى لا يحضروا وفودا لاننى لا أشتغل إلا فى الأوقات التى ينبه القرينات على
بها وأن هذا هو السبب فى قلة خروجى من منزلى نهارا.

وذات ليلة نادانى خطاب افندى إلى منزله فذهبت إليه ووجدت ثلاثة
من الافندية جالسين عنده ، فقدم إلى أحدهم وقال هذا محمد افندى البنان
سكرتير نيابة الخليفة وهو سيعطيك أثره لترى له نيته . فقلت : على الرحب
والسعة . وبعد قليل ناولنى البنان افندى منديله وقال : إبنى تزوجت فيما مضى
ست مرات وقد تعلق قلبى أخيراً بحب فتاة تسكن فى الشارع الذى أسكن به
فتقدمت إلي ذويها بطلب يدها فرفضوا إجابة طلبى ، وقد ضاقت بى السبيل
وحررت فى أمرى ، وإبنى أتقدم إليك الآن لتتبنى عما يخبئه لى الدهر ، وهل
سافوز بها يوماً من الأيام ؟ أم ستذهب بمجهوداتى أدراج الرياح . وأرجو
منك أن تشملنى بعين العطف فتعمل لى عملاً يفتح الأبواب المغلقة ويسهل لى
كل أمر عسير حتى أنال ما أصبو إليه بفضل مساعدتكم القيمة . فأجبتته
بأننى سأبذل كل جهدى ولن أذخر وسعاً فى مساعدته باذن الله . ثم قطعنا نحو
ساعتين فى سمر ، كنت فى خلالها دائم الملاحظة لحركاته ومغزى نظراته
وإشاراتة نحوى ، فلم أجد بينها إلا ما ينم عن استهزاء وسخرية وليست هى
التي تبدو من فرد نحو آخر يحترمه أو يلوذ به للاستعانة بمجهوده لنيل أمر
خطير يقض عليه المضاجع ويبيت منه مسهداً كما يروى عن نفسه . ثم إن
حركات خطاب افندى نفسه لم تكن كما أعهدا منه . ومن هذا الذى رأيت
استطعت أن أجزم بأن البنان افندى ليس من الذين يعتقدون فى هذه الأمور .
وأخيراً افترقنا وعاد كل منا إلى منزله ، وخلوت إلى نفسى أتأمل فى الحكاية
الجديدة وأحللها مرة أخرى بقدر ما أستطيع ، فرأيت قبل كل شئ أننى لم
أطلب إليه أن يقص حكاية ما ، بل هو الذى بادرنى من تلقاء نفسه بقوله إنه
تزوج ست مرات إلى آخر ما قال . ثم إن حركاته المليئة بالسخرية وكل
ما تخلل الحديث من نكات وضحك بأصوات عالية كان هو المفتاح الذى

استطعت أن أفتح به ما استغلق من الأمور ، فلا بد والحالة هذه أن تكون هذه الحكاية مخترعة وأن يكون سبب مجيئه إلى أنه سمع خطاب افندى يطنب في مدحى ويؤكد قدرتى على كشف الخبآت فأنكر عليه ذلك ، وقال إن هؤلاء الدجالين كذابون جميعاً ، وربما تراهنا على امتحانى أو جرى بينهما شيء من هذا القبيل ، فاخترع البنان افندى هذه القصة واتفق جميع من حضر معه على التأمين عليها ونوى هو على المنديل نية أخرى أو لم ينو شيئاً أصلاً وفرضوا أننى سأتمسك بالحكاية المخترعة التى يقولها أمامى بلسانه وسأرد عليه فيما بعد بما يطابق مجراها فيتضح كذبى بدليل مادى لا ريب فيه . وبعد مضى يومين حل ميعاد مجيئهما فصممت فى نفسى على أن لا أحيد عما رأيت وفى مساء اليوم الثالث حضر الجميع فذهبت إليهم وعلى وجهى أمارات الغيظ وقلت بلهجة الجدة إنك يا حضرة الافندى لم تنو على المنديل شيئاً أو نويت نية لا تليق أن تنويها لأنى كلما بخرت ونمت رأيت المنديل أبيض لا شيء عليه قط . ثم هممت بالخروج وقد عرتهم دهشة فلم يجاوبوا بشيء ولم يشدد على أحد بالبقاء . وبعد ذلك أمضيت وقتاً طويلاً بجوار نافذتى أسترق السمع فلم أسمع ضحكاً كما كان يتخلل حديثهم الماضى وصرفوا الوقت هادئين ساكنين مما رجح عندى أننى أصبت المرمى . وكان خطاب افندى بعد ذلك يتردد على كثير دون أن يشير ذكرى هذه الحكاية وإنما يسألنى عن علاج لبعض الأمراض ويبدى نحوى احتراماً أكثر مما عهدته منه من قبل .

== (المذكرة التاسعة عشرة) ==

مارس عام ١٩٢١

كانت زوجتى من طبقة العامة وأعنى بهم الفقراء الجهلاء وكانت حين زواجى بها ثيباً وهاتان الصفتان هما شر ما تتصف به زوجة وليسمح لى القارىء أن أقدم أمامه كلمة مختصرة وصفاً لطبقة العامة فى مصر وللتكوين العقلى للمرأة الشيب ليستعين القارىء بهذا البيان على تصور موقفى بعد الزواج وإلى أبدأ الكلام بمقدمة عامة لها صلة بدرجات التفكير لدى مختلف الناس ومن المقدمة وما يليها يعلم مقدار ما يعانىة الفرد من الضيق والغنت عند ما يعاشر قوماً أقل منه عقلاً وخلقا وتكون المعاشرة على حد المساواة والمشاركة فى المعيشة .

المقدمة

حب القياس غريزة من الغرائز البشرية وكل ما يعرض على الانسان من قضايا الحياة اليومية يمحسه الفكر على ضوء مجموعة الخصائص الحاصل عليها الفرد من علم وعادة ووراثة وأثر للبيئة وتجارب شخصية وليس فى وسع العقل أن يتناول فى تصوراتة أبعد مما علم وجرب وتعود ورأى وكل فكرة تخرج للناس عليها فى الغالب الطابع الخفى لنفسية صاحبها ويظهر ذلك جلياً لدى الجهلاء فان مجموعة المراثيات والمسموعات فى حظيرة معارفهم ضئيلة غير متنوعة ولذلك كانت دائرة تفكيرهم ضيقة جامدة على كيفيات لا تتغير ولا يمكن تمرينها حتى تتناول فيما تتناول فروضاً بعيدة المرمى وغريبة عما

ألفوه وكذلك لا يقوى خيالهم على تعرف حقائق الحياة كما هي وإنما تتجور الحياة وتتضائل بهجتها وتنصل صبغتها ولا تزال في تقهقرها الوهمي حتى تبدو في مرآة عقائدهم صورة مما يشتهون لا كما هي في الواقع وكلما زيد لهم في البراهين لم يجد ذلك قليلاً . وليس لكل مشكلة جديدة لديهم سوى أصل واحد أو غاية واحدة وذلك لأنهم لم يروا في حياتهم للمسائل المختلفة إلا وجهاً واحداً من الأسباب ولم يدرسوها إلا من جانب من جوانبها لا غير ولا يتصورون أن الدوافع تتكون غالباً من عدة عوامل متضافرة إذا تخلف أحدها فقد الباقى قوته وهم لذلك خلوا من الشك والارتياب إلا قليلاً فإذا طرأ عليهم حادث جديد وقيل لهم في سببه رأى معين تمسكوا بهذا الذى قيل لهم باديء ذى بدء ولم يستطيعوا بعد ذلك عنه حولا .

طبقة العامة والزواج منها

كانت طبقة العامة في مصر قبل قرن أقرب إلى التمسك بالدين منها في الوقت الحاضر ، وكان الحلال والصبر والعفة والقناعة وما إلى ذلك من عناصر الفضيلة يملأ حنايا ضلوعهم ويعوضهم من جانب المعنى ما يعوزهم من جانب المادة . . أما في عصرنا هذا فقد ولى ذلك عنهم جملة وخمدت نيران العقائد في النفوس دون أن يستعوضوا عن ذلك بديلاً ، لا قليلاً ولا كثيراً . خملوا أوزار الحياة وشعروا بعبثها ثقيلًا ، وخيال القناعة والرضا إذا أدبر أصبح هول الخطوب مروعا . والآن إذا قتشمت عن نصيب الرجل منهم في حياته وجدته على الأغلب فقراً مدقعاً ، وجهلاً مطبقاً ، وزوجة دمية الخلق سيئة الخلق ، إذا سار فمن سقط المتاع ، وإذا تنكح فلا يقام له وزن ، وإذا فكر فنحو السجون ، ديدنه الكذب والسرقة والخيانة والعقوق ، وملاهيته صرف ما اذخره على جميع أنواع المغيبات والسموم الفاتكة ، منزله لا يزال مأوى الحشرات الخبيثة ، ومرتع الطيور الدنيئة ، ومحط الأمراض ، ومصدر

العدوى ، وعقائده الخرافية المسيطرة على تصرفاته لا تزال كما هي . فهو يميل إلى إخفاء خير ناله ، أو مال أصابه ، أو قوة أحرزها ، ويود لو يعلم عنه دائماً أنه ضعيف وليس قوياً ، وفقير وليس غنياً ، ومريض وليس صحيحاً . وهو في كل عمل يبدأ به يرى النشل والخسران أقرب إليه من النجاح والنصر ، ويحط من قيمة كل شخص علا وارفع بجده واجتهاده لخروجه على القاعدة ، ويذكر ماضى هذا الشخص ليشفي غليله منه وينقص من قدره في أنظار السامعين ، ويخيل إليه أن العالم يدور على محور من الصدف العمياء والاضطراب بدلا من دقة النظام وإحكام التكوين ، وكأنما قد تضافرت العناصر الوضعية وهاجمت ذلك المخلوق التعس أينما حل وحيثما ارتحل .

وإذا نظرنا من حيث العلاقة الزوجية وجدنا طبقة العامة اعتبارات ونظرات خاصة إلى المرأة لم تتولد كلها في هذا العصر ، وإنما انحدر الكثير إليها من الزمن القديم ، ولم تكن العيوب ناشئة عن تساهل في الدين ، وإنما عن إهمال الحكومات المختلفة في تنظيم أمور الزواج والطلاق ، بما يطابق حالات الزمن الذي هم فيه ، كما يحث الشرع عليه ، وكذا عن مغبة الجهل الشديد الذي يجعل المرأة والرجل يستخفان بقيمتها ، وكذلك عن تقلب الأحوال الاقتصادية ، وكل ذلك ساعد على تكوين اعتبارات ونظرات خاصة ، حتى آل الأمر لدى أكثرية طبقة العامة إلى أن الزوج والزوجة يعتبران ما بينهما من الروابط صلة واهية ، عما قريب ينصرم جبلها ويهجر الواحد الآخر . وليست من الحوادث النادرة في هذه الطبقة أن تعثر على رجل وامرأة تزوج كل منهما في مدى حياته عشر مرات ، وليس الذنب على الدوام من ناحية الرجل ، وإنما قد تجد بين نساءهم من هن على جانب كبير من الذكاء وقد خبرن الحياة في دوائرهن الخاصة وأصبحن ذكاً وهن منبع شر خطير لهن ولرجالهن ، لأن الذكاء سلك في سيره طريقاً بعيداً عن عوامل الخير ، فأمسّت أحداث الأيام وطرق التفكير فيها وما

يسمونه بالواجبات ، أمسى ذلك كله مصبوغاً أمام أنظارهن بصبغة الشر من مبدئه إلى منتهاه ، وصرن بذلك مجبولات على الشر ، لا تطيب لهن الحياة إذا كانت صافية الاهاب بعيدة عن الأذى والأضرار والسباب ، ويقينى أنه يعسر على الشارع أن يستوعب أسباب الخلاف فى مثل هذه الطبقة أو يؤكد أى الفريقين النساء . أم الرجال . تقع عليه تبعة الطلاق والشقاق أكثر من غيره . ولكثرة الطلاق لدى هذه الطبقة آثار سيئة تنخر فى عظام الهيئة الاجتماعية بأسرها ، وذلك لأن الأطفال يتربون بعيداً إما عن رعاية الوالد وإما عن حنان الأم ، وينشئون من نعومة أظفارهم وهم ينظرون إلى الدنيا كأنها موطن شقاق ونزاع ، وخيانة وخداع ، لما يقع تحت سمعهم وبصرهم كلما رحلوا إلى منزل الأب وزوجته الجديدة ، أو ارتحلوا عن منزل الأم وزوجها الجديد . وتربية هذا وصفها لا تخرج إلى المجتمع سوى كبار العابثين بنظامه . وبيئة تعمل فيها عوامل الجهل والفاقة وسوء التربية لا بد أن تكون بينها وبين الطبقات الأخرى فرق لا يستهان به فى العادات والاعتبارات ، وحتى فى أساليب التخاطب والتعبير عن الأغراض ، وهى مظهر ما فى النفس من أدب ودعة ، أو جفاء وضعة . فاذا أثر شخص أن يتزوج من طبقة هذه أحوالها بصفة عامة فافرضاً أن هذه الزوجة التى سينهض بها من درك الفاقة وسفه الطباع إلى مراقى الغنى ومواطن الآداب ستحفظ له فى قرارة نفسها هذا الصنيع وتحنو عليه حنو الأم على الرضيع . فهذا الشخص لن يجنى من هذا التصرف سوى الاخفاق التام ، لأن كلا من الزوجين سيعاشر الآخر ولكنه لن يستطيع أن يعامله إلا عن طريق القياس على ما فى ذهنه من صور الواجبات نحو الزواج والأسرة والمعاشرة .

ومن العسير أن تنتقل الأغراض والنيات التى ينويها الرجل إلى ذهن المرأة بكامل صورها مهما استخدم فى ذلك لينا أو شدة ، طالما كانت وجهات النظر من المسائل المحجوبة داخل عقل صاحبها وقد أقيم هيكلها من تاريخ

الشخص الوراثي ومن المؤثرات التي اكتنفته منذ حداثة عهده بالحياة ومن ينشأ على الصغار والضعفة وفحش القول يسىء الظن بالحياة وبالناس أجمع ، فاذا انتشله من وهدهته منتشل لم يرجع له ذلك الجميل بل يذهب في نواحي تفكيره إلى أن هذا العمل ليس إنسانياً محضاً بالغاما بلغت حقائقه ، وإنما يطوى تحته غرضاً دفيناً من الأغراض الشخصية . وما حكم بذلك إلا قياساً على ما عنده من القواعد الراسخة في أعماق ضميره وليس من ناحية التفكير الحر الصائب فذلك لا يقوى عليه إلا كبار المتعلمين .

إن المثل القائل « اتق شر من أحسنت إليه » يرى جلياً عند هؤلاء الناس فكثيراً ما ترى التي يسوقها الحظ من الطبقات الفقيرة إلى نيل نعمة بشكل من الأشكال تنقلب بشعورها ضد من أسدى إليها هذه النعمة تغطية للوقوف ونفوراً من الاعتراف بحقيقة ذلها وضعفها ثم تصبغ هذه المكابرة بصبغة عملية فترية بعد إذ أصبحت ترفل في النعم أنها ليست حديثة العهد بالنعم وإنما هي ريبية بيت النعيم وترى جيرانها أنها هي العظيمة وترى رفيقاتها السابقات أنها علت عليهن كثيراً ، وحتى قد يمتد طيشها إلى حمى والديها فتتجاهلها قليلاً . كل ذلك تنزع إلى إثباته ظلياً للحقيقة وطمعاً في المزيد ولما كانت تشعر شعوراً خفياً أن هؤلاء جميعاً على علم تام بأصلها وأنه ليس ثمت ما يبرر ذلك الادعاء في نظرهن تبادر إلى ملء تلك الثغرة باستعمال القوة ولكن ماذا تملك من أنواع القوى؟ إنها تتكبر وتظهر العظمة والغطرسة فتتمد يدها بتسكف ، وتخرج الالفاظ بشدة ، وتنادى بجانبها عن بعض الناس ، فإذا آنست منهن حسداً لها وأسمعنها مالا تطيقه راحت تتواضع قليلاً وتظهر لرفيقاتها أنها هي التي هبطت ولم ترتفع ، وهي التي تعبت ولم تسترح ، ثم تسوق لهن البراهين على ذلك بأن تحكي لهن أخباراً كاذبة عن زوجها وأحواله ، وتشكو منه مر الشكوى توها منها أن ذلك يحمل السامعات على تصديقها وإنهاء غيرتهن منها ومحو صورة ماضيها من لوحة ذاكرتهن ونقش صورة جديدة

ناصعة البياض ، ولكن هيئات أن يتحقق حدسها فتجد المخاصمات والمنازعات والدسائس متواصلة لاسيلا إلى إيقافها عند حد وويل لمن يقع تحت سلطة رجل من غمار هذه الطبقة المحرومة من التهذيب والتعليم أعطى رياسة من نوع ما كبعض العساكر والخبراء فانه يلاقى تحكما وجفاء وصلفا وسبب ذلك نزعة في النفس شبيهة بما وصفت آنفا في نساءهم ومن هذه الطبقة يؤخذ الخدم إلى بيوت الأغنياء ويعهد اليهم بملاحظة الأطفال والعناية بهم ، وهذا العمل هو أحد الأسباب الكبرى لتسرب فساد التربية إلى كثير من أولاد الكبراء .

المرأة الثيب :

يطلق الناس على البنت أنها عذراء ، ويعنون بذلك أنه لم يدخل بها رجل ما ، ويعتبرون ليلة الزفاف أنها الليلة الفاصلة بين عهدين مختلفين ، والواقع أن المسألة الجسمية وحدها لا تكفي لانتقال البنت من عهد إلى آخر ، فإذا رأيت بنتا عذراء دخل بها زوج ثم حدث أن مات هذا الزوج بعد يومين فإن البنت تبقى في الحقيقة والجوهر عذراء رغم أنها في الظاهر ومن الوجهة الجسمية أصبحت ثيبا لأن المعول الأكبر هو على ما يتركه الزواج في نفس البنت من الآثار التي تغير كيفية تصورهما للمعقولات وتفسيرها للحوادث وتعديل من طباعها وعاداتها وقوة صبرها وتحمل بعدها عن أقاربها واندماج شخصيتها في شخصية فرد آخر وكل ذلك يستلزم وقتا طويلا حتى يتم ازدهاره ، وتفصيل ذلك أن البنت حين تعاشر أول رجل معاشرة طويلة وتبادله سراه وضراء تتأثر به تأثرا شديدا وينطبع في نفسها كل ما تراه منه من أخلاق وعادات وتفسير للأمور وظروف تحيط به وبأهله جميعا فلا تلبث حتى تقيس بغير أن تشعر كل الرجال وكل الأحوال على المقياس الذي دارت حوله معيشتها مع أول زوج لها إن خيرا بخير

وإن شرافسر ، وبخاصة إذا كانت هي صغيرة السن سهلة الانقياد وكان هو أكبر منها سنا وأوسع خبرة وهذا القلب الجديد الذى يصب فيه عقلها هو الذى يخطوبها حقيقة من مرحلة البكارة والطهارة إلى مرحلة الثيب ذات اللون والمشرى والدوق الخاص . فإذا حدث أن كان الزوج الأول فظا غليظ القلب جاهلا فاسقا ، ثم طلقت منه فانه إذا تزوج بها بعد ذلك نبى من الأنبياء فلن تستطيع جاهدة ما جهدت أن تنزع من نفسها تلك الخيالات والاعتبارات الأولى التى أصبحت لها كالقاموس يرجع إليه اللغوى كلما استبهم عليه الكلام ، بل أشد من ذلك لأنها سرت فى مجموعها العصبى واحتلت خلايا المخ فهى تنبض فيها مع الدماء سواء بسواء وستقيس كل التصرفات التى تنالها من زوجها الجديد ومن جميع أقاربه وأصحابه بما كان ينالها سابقا من زوجها الأول وستكون مخطئة أرادت أو لم ترد وسيجد زوجها الجديد نفسه بغتة حيال تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان دون أن يتنبه لمنشأ ذلك وحيال منغصات ومثيرات للعواطف ونكران للجميل يعتقد بينه وبين نفسه أنه برىء من ذلك كله أو أكثره ، وهذا الذى وصفته قد تحف وطأته أو يتلاشى بتاتا من نفس المرأة إذا كان الزوج الأول شخصا مهذبا طيب الأرومة وترملت منه بسبب الوفاة لا غير ، ففي هذه الحالة لا تتولد فى نفسها الكراهية للحياة ولا يدب فى ذهنها سوء الظن حيال الرجال كافة .

والآن ليتصور القارىء مما ذكرته ماذا تكون حال المرأة الثيب إذا كانت من طبقة العامة ؟ فهذا هو ما تفضل الدهر على به فى بعض أيام الاختفاء فلقد استطعت أن أتزوج وكنت قبل الزواج أبنى قصورا فى الهواء عن احتمال انتهاء أيام المتاعب والأمراض والوحدة وعن حلول البهجة والمساعدة والمعاونة فهل تحقق كل ذلك أو بغضه ؟ كلا ! فقد كان هناك فارق عظيم فى الأمانى والأغراض ووجهة النظر وكأن الزوج إذا

تعلم وجب أن تكون الزوجة أيضاً متعلمة وذلك ركن له أثر كبير في المعاشرة ليكون هناك أمل في حصول التفاهم والوفاق . دع عنك ما يجب أن يكلل معيشة الزوجين من الميول القلبية فإذن الأحوال التي كانت تكتنفني لم تكن تعتبر ذلك نقصاً إذا ما أعوزها وكان أهم ما أبحث عنه من وراء الزواج علاجاً يشفي أعصاباً قد أضنتها أحداث الأيام ومناظر عائلية تعمر طلالاً باليا قد أفقر منها وما كان أحوجني إلى طائر السلام يرفرف بأجنحته فيملاً جوانب المنزل هدوءاً وراحة ولكن بعد أن جربت الزواج من هذه الأسرة عرفت أنه شر قد أضيف إلى قائمة المتاعب التي لا تزال الأيام تتمخض عنها ولكنه شر لا بد منه وكأنيما الاختفاء كان اختفاءً مع الأشغال الشاقة !!

— [المذكرة العشرون] —

ابريل عام ١٩٢١

كانت وزارة عدلي يكن باشا في أول عهدها على وفاق مع زعيم الأمة سعد زغلول باشا وقد وصل إلى حكومة مصر تبليغ من حكومة انكلترا لتأليف وفد رسمي لمفاوضة انكلترا في أمر عقد معاهدة رسمية بين البلدين والغاء الحماية الباطلة فرأيت أن نشاط البوليس لا بد أن يصيبه كلال في مثل هذه الظروف ولو إلى حين وأنه لا ضرر والحالة هذه إذا بدأت أخرج من منزلي نهراً كل يوم ولو قليلاً ولقد هممت بالخروج عند الساعة العاشرة صباحاً

في يوم من أيام هذا الشهر وما كدت أخطو بضع خطوات بعيدا عن الحارة حتى فوجئت بأمر خطير لم يكن يدور بخلي إلى تلك اللحظة وذلك أن بصرى لم يستطع مواجهة نور الشمس الوهاج طويلا وسرعان ما أظلمت الدنيا أمامي إذ تفرق الدمع في المقل واختلطت صور الكائنات بعضها ببعض فعدت أدراجي إلى المنزل مسرعا ومن هذه اللحظة يبدأ تاريخ شعوري بضعف بصرى الذي لن أبرأ منه وتاريخ استعمالي لنظارات العيون ولا عجب فقد مضى عشرون شهرا متتالية وأنا مقيم بمنزل حظه من النور قليل وأشعة الشمس تطوف على جدرانه ولا تدخل إلى فئانه وأنا لا أغادره إلا نادرا وفي جوف الليل .

خرجت ليلا واشترت نظارة سوداء وما فتئت عند خروجي نهارا أضعها على عيني تارة وأبعدها تارة أخرى حتى قلت الدموع واستطعت التحديق في الشمس يوما بعد آخر بغير نظارة حينما أريد ذلك واعتدت الخروج كل نهار نحو نصف ساعة أسير في أثنائها متجولا في شوارع قسم الخليفة وما كدت أرى نفسي في حالة تسمح لي بالبحث نهارا عن منزل آخر حتى أخذت في البحث إلى أن أجرت شقة صغيرة بحارة رشوان بك بدرب الحصر رقم ٢٦ بقسم الخليفة وهذه الحارة أطول كثيرا من حارة حوش الحدادين والحارة الطويلة من شأن ظروفها ألا تجعل أهلها يدققون كثيرا في أحوال الساكن الجديد

== [المذكرة الواحدة والعشرون] ==

مايو عام ١٩٢١

تم النقل الى المنزل الجديد فى أول يوم من الشهر وقد ودعنى معظم سكان الحارة الأولى آسفين على الفراق سائلين باهتمام عن عنوان المنزل الجديد ولم يكن فى وسعى إفادتهم بغير الحقيقة وكانت أم عطيه أكثر الناس اهتماما بالسؤال عن العنوان الجديد رغبة فى دوام العلاقات وخشية من حدوث أزمة بينها وبين زوجها فتلجأ إلى من بيده زمام الحب والكراه كما تعتقد ولكنى وقد ابتعدت عن الحارة وما اشتهرت به فيها ورأيت أن فى وسعى أن أمضى ساعات طويلة نهرا خارج المنزل وذلك بالجلوس داخل أحد المساجد أو داخل القهوات المنعزلة فقد رغبت كلية عن أعمال السحر والتمايم وملت إلى التهرب من كل من يسأل عنى لهذه الأغراض وكان بعض النساء يحضرن الى المنزل الجديد فلا يجدننى وعلى ذلك قل عدد الحاضرين شيئا فشيئا إلى أن كاد الناس ينسون ذلك بعد بضعة شهور خصوصا وأنتى امتنعت بتاتا عن الإشارة الى هذه الأمور مع أى شخص فى الحارة الجديدة وظهرت بمظاهر أخرى سيأتى ذكرها .

حدث شقاق كبير بينى وبين زوجتى لم أر معه أفضل من طلاقها نهائيا وعلى ذلك استدعيت الشيخ على محمد الشيبينى المأذون الشرعى الى منزلى فى يوم الاثنين ١٥ رمضان عام ١٣٣٩ الموافق ٢٣ مايو عام ١٩٢١ وتم الطلاق بشهادة اثنين من أصحاب المأذون .

== (المذكرة الثانية والعشرون) ==

يونيو عام ١٩٢١

توسط أشخاص في سبيل المصالحة بيني وبين زوجتي وحضر والدها الشيخ سيد ابراهيم إلى منزلي ليلًا وألح في الذهاب معه إلى منزل والدتها وعلى ذلك رافقته إلى ميدان السيدة زينب ومن ثم ركبنا قطار الترام رقم ٥ المتجه إلى غمره ، وكانت هذه أول مرة ركب فيها الترام منذ بدء الاختفاء ، وقد طلبت إلى رفيقي أن يجلس على المقعد الخلفي للترام ، فوافقني ولم يهتم لمعرفة السبب ، ولكنني أردت بذلك أن تتجه وجوهنا إلى الشارع خلف الترام فلا يرانا أحد من الركاب داخل العربة ، وقد نزلنا في آخر محطة غمره واجتازنا الطريق مخترقين الكبرى السفلى إلى أن ذهبنا إلى المزارع خلف الكبرى ، حيث الطريق الموصل إلى المنزل . وبعد أن اتفقنا على الصلح عدنا ثانية إلى منازلنا وركبت الترام مرة أخرى وكانت هذه الليلة فاتحة التشجيع على ركوب الترام وإيات في غضون الشهور التالية ، وقد تم الغرض وعقد العقد ثانية بمنزلي بموجب قسيمة زواج تاريخها يوم الاثنين ٢٩ رمضان عام ١٣٣٩ الموافق ٦ يونيو رقم ٢٢ عملية الشيخ محمد اسماعيل المأذون الشرعي بقسم الخليفة .

يقع قبالة منزلي مباشرة منزل حسن افندي المعايرجي وهو من أعيان الجهة وله نجلان هما أمين افندي وأحمد افندي وهما طالبان بالمدارس الثانوية . وبلى هذا المنزل منزل الشيخ محمد عبد الغني وهو مقرر وطالب بالأزهر . وقد بدأت دائرة التعارف بيني وبين هؤلاء الجيران وغيرهم من

أهل الحارة تتسع في هذا الشهر ، وتبادلت الزيارات مع كثيرين منهم وقد عوفوني أيضاً باسم الشيخ عبد اللطيف سليمان من الفيوم وعرفوا منى أننى حاصل على الشهادة الأهلية من الأزهر . ولما كان الشيخ محمد عبد الغنى هو وأقاربه من الفيوم فقد كثرت الزيارات بينى وبينه ودعانى والده وهو إمام مسجد التونجى بقسم الخليفة للتعرف بى وقضيت معه في إحدى الليالى وقتاً طويلاً كان يسألنى في أثناءها عن أقاربى وأصحابى بالفيوم ، ولما كانت أمثال هذه الأسئلة مما كنت أتوقع أن توجه إلى منى منذ أول يوم الاختفاء ، فقد كانت الأجوبة عليها حاضرة في ذهنى على الدوام ، وذلك أنى كنت أعرف أسماء كثيرين من أعيان مديرية الفيوم سبق أن اعتقلتهم السلطة العسكرية معى في أيام الحرب العظمى ، وكان عالماً بذهنى بعض أخبار عن المديرية منهم ، وزيادة على ذلك فقد اطلمت في إحدى ليالى خروجى وشرأتى بعض الكتب من مكتبة بميدان السيدة زينب على كتاب الدليل المصرى وعرفت منه أسماء بعض شوارع الفيوم وأطبائها ومحامياها وتجارها وحفظت ذلك عن ظهر قلب ، ثم اخترت الأسماء التى تنتهى بألفاظ سليمان وجعلت أصحابها في أثناء الاحاديث أنهم هم الاقارب . ومنهم شخص تاجر جلود كنت أذكر دائماً أنه ابن عمى . وكان كل ما ذكر في الصحف في العام الماضى خاصاً بالفيوم وأسماء أعيانها وموظفيها والمتوفين بها والحوادث التى وقعت فيها وأسماء بلاد المديرية ، كل ذلك كنت أعينه في ذاكرتى حتى صارت لى معلومات واسعة النطاق عن المديرية التى نطق لسانى في أول يوم في أيام الاختفاء بالقاهرة بأنها موطنى وموطن أهلى بغير أن يكون لذلك سبب خاص سوى أنها إحدى مديريات الوجه القبلى القريبة ، ولم أكن رأيتها في حياتى مطلقاً وبعد أن نطق لسانى باسم هذه المديرية دون غيرها وأصبحت معروفاً بذلك بين الناس عملت على أن أعضد هذا المظهر بكل الأدلة المادية التى بوسعى أن أجمعها بين حين وآخر فكان ما ذكرته آنفاً من مصادر المعلومات هو منبع

الاجوبة التي كنت أجاب بها ، وقد أفنعت أجوبتي كل السائلين بأنني من
الفيوم حقاً ، وأصبحت بعد ذلك أتعامل مع الشيخ محمد عبد الغنى
ووالده على أساس أننا من بلدة واحدة (بلديات) .

المذكرة الثالثة والعشرون

يوليو عام ١٩٢١

كان كثير من الضيوف يزورون الشيخ محمد عبد الغنى بمنزله
وكنت أجلس أحيانا معهم حتى توثقت أخيراً عرى التعارف بيني وبينهم
وأذكر منهم الشيخ محمود غالى المقرئ الشهير بحى طولون والشيخ محمد على
المهدى رئيس مدرسة النجاح الأولية السكائنة بالقرب من مسجد السيدة
سكينة والشيخ حسين رمضان المدرس بالمدرسة المذكورة وآخرين غيرهم ،
وكانت بعض المناسبات تثير المناقشة فى مسائل فقهية ، ولما كنت حافظاً
لكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتفسيرها ، كنت أظهر
عليهم أحيانا فى أثناء الجدل والمناقشة وقد أدى ذلك حقاً إلى الاعتقاد الراسخ
عندهم بأنى حاصل على الشهادة الأهلية من مشيخة الاسكندرية كما أشعت
ذلك عن نفسى فى فاتحة الأمر وقد أكسبني اعتقادهم هذا منزلة كبيرة فى
نظرهم ونقلت الأخبار عنهم إلى غيرهم حتى كانت لذلك نتائج عملية ساعدتني
فى بعض المراحل ، ومن ذلك أنه يوجد على رأس الحارة التى أسكن بها
مسجد يقع بابه فى شارع درب الحصر ولذلك المسجد إمام طاعن فى السن
ولا يزور المسجد إلا وقت صلاة الجمعة فقط واعتاد رواد المسجد كلما أذن

المؤذن في الأوقات الأخرى أن يختاروا من الحاضرين من يتوسمون فيه
 الصلاح وحسن الأداء لتلاوة القرآن إماماً ، أو ليتقدم من يتقدم للإمامة
 والصلاة بهم وكنت أذهب أحياناً للصلاة في هذا المسجد ، وحدث أن
 ذهبت مرة لتأدية صلاة المغرب وكان الشيخ محمد عبد الغنى حاضراً في
 المسجد وكان المؤذن قد أشرف على الانتهاء من الأذان فلما رآني الشيخ
 عبد الغنى برز من الصفوف ونادى بأعلى صوته ناحية وجودي وقال تفضل
 يا شيخ سليمان لا بد أن تصلي بما وكان الباقي لا يعرفونني ولكنهم مجاملة
 له أصروا هم أيضاً على أن أتقدم ، وكانت ورطة ولكنني تقدمت
 وصليت بهم . وبعد الصلاة قدمني الشيخ عبد الغنى إلى بعض الناس وذكر
 أمامهم أنني حاصل على الشهادة الأهلية فقابلني السامعون بالاحترام ، وبعد
 هذه المرة إلى عدة شهور كنت أتردد على هذا المسجد في أوقات الصلاة
 وأصلي بالناس وكان المؤذن أحياناً يؤذن ثم ينتظر الناس قليلاً ريثما أحضر
 حتى التبس الأمر على من هو جديد في أداء الصلاة بهذا المسجد واعتقد
 بعضهم أنني الامام الرسمي وكثيراً ما كنت أواجه بأسئلة في أحكام الميراث
 والعبادات وكنت أجاب الناس كأي عالم آخر وكانت لدى مراجع كثيرة
 في المنزل بعضها مستعار من والد الشيخ عبد الغنى فاذا أعجزني سؤال وعدت
 السائل بالإجابة في الليلة القادمة وذلك بقولي له إن الآراء في هذا الموضوع
 كثيرة ولكني سأراجع لك إن شاء الله أحسنها وأفيدك عنها في الليلة القادمة
 على أن ذلك كان نادراً حصوله . وكنت في معظم الصلوات أختار السور
 القصيرة تجنباً للخطأ أو النسيان .

كان الشيخ محمد عبد الغنى متقدماً لنيل الشهادة الأولية من الأزهر ولم
 ينجح في الدور الأول وكان موقوفاً في علم الصرف ولرسوخ اعتقاده بأنني
 حاصل على الشهادة الأهلية طلب إلى أن يحضر عندي وقت استذكاره
 دروسه ولم يسعني بطبيعة الحال سوى الترحيب بإجابة طلبه ، وكنا نتزاور

لتأدية هذا الغرض ، وكان يقرأ أمامي آياتاً شعرية وأنا أفسر له البيت بأن أحلله كلمة كلمة معنى ولفظاً ، فما انتهى منه حتى يتضح معناه جلياً ويرسخ في الذهن رسوخاً تاماً ، وإذا عجزت مرة عن معرفة معنى كلمة حملت ذلك على النسيان وراجعنا القاموس فيها أو أخذت منه كتابه وراجعته مراراً بنفسى حتى أهتدى إلى الصواب ويظهر أن هذه الطريقة في التفهم والحفظ وقعت في نفسه موقعاً حسناً وراها طريقة طريقة في التعلم تخالف ما درج عليه من استظهار الكلام دون تحليل ، فما يأتي على آخر الكلام حتى يكون قد نسي أوله ، وكان يبتهج جداً للقائى في كل مرة حين القراءة والحفظ ويعترف لى بأن الطريقة التى أنرت له سبيلها هى التى ستؤدى به إلى النجاح لا محالة . ومن العجب أن والده مع كونه إمام مسجد ومتضلعا في اللغة كما ظهر لى . فان ابنه ما كان يلجأ إليه بقدر ما كان يلجأ إلى ، وقد نجح فعلا في الامتحان وحفظ لى هذا الجليل ، ويظهر أنه كان يمدحنى أمام والده ، فقد أتانى مرة وقال لى إن والدى يقول إنك ما دمت حاصلا على الشهادة الأهلية من المعاهد الدينية فهو ينصح لك أن تسكتب إلى مشيخة الأزهر لترتب لك الجراية وهو على استعداد لمساعدتك في هذا الشأن فشكرته وقلت له أنا والحمد لله في غير حاجة إلى ذلك . وكانت الاقوال التى قلتها في الحارة السابقة من أن والدتى قد توفيت وأنى ورثت عنها أربعة أفدنة وأجرتها بالفيوم وأنى أصرف من ريعها وأن والدى لا يزال على قيد الحياة وهو من ذوى اليسار وصلت إلى هذه الحارة أيضاً من بعض معارفى في الحارة السابقة وانتشرت فيها . ولم أكن أحيد عن شىء منها إذا تهيأت لذلك فرصة الحديث عن الفيوم وبخاصة مع الشيخ محمد عبدالغنى . أما أخبار السحر والتمايم وأننى شيخ مبارك فقد وصلت أيضاً إلى مسامع الكثيرين في هذه الحارة ولكن الاشاعة لم تكن قوية لانصرافى عن الكلام في هذه الشؤون ولتغيبى كثيراً عن الحارة .

== (المذكرة الرابعة والعشرون) ==

أغسطس عام ١٩٢١

تعودت الخروج والتجوال في الشوارع المختلفة بحى الخليفة كل ليلة تقريباً وقد ركب الترام مرتين في هذا الشهر من القلعة إلى الخازندار وعدت سريعاً وفي إحدى جولاتى في شارع الامام الشافعى رأيت قهوة منعزلة يفتح بابها إلى الجهة البحرية فجلست بها وهى واقعة خلف سجن مصر وعلى مقربة من مسجد السيدة عائشة وصاحبها يدعى المعلم حسنين وقد تعودت بعد ذلك أن أختلف إليهما كلما ذهبت صوب هذه الجهة وقد طاب لى الجلوس بها وسط البنائين والدفانين ولم يكن الحديث يدور إلا حول أخبار الموتى والحشيش والافيون والتبناك والخمور وتصادف أن جلست أول مرة على مقربة من اثنين يتجادلان وما لبث الحديث أن شملنا نحن الثلاثة وكان أحدهما يسمى المعلم إبراهيم وهو دفان والآخر الشيخ سليمان وهو شحاذا يشحن بالمبخره وقد اتخذت هذين الشخصين فيما بعد الجليسين الخصوصيين لى وكان بالقهوة شاعر يحضر كل ليلة .

والقهاوى البلدية تغص ليلاً بمن يسمونهم الشعراء ومع كل منهم ربابة وترية وضبعة يطلقون أنغامها في الفضاء بتوقيعات خاصة طبقاً لما تستلزمه ظروف الأبطال الذين يقصون قصتهم على الجمهور بصوت جهورى وهؤلاء الشعراء يحفظون قصصاً عدة عن ظهر قلب وهى قصص خيالية سداها ولحمتها المبالغة والتكرار والتأكيد وهى أساليب تستهوى عقول العامة لعطل ملكة النقد لديهم ولذا تراها تحتل مكاناً رهيباً فى قلوبهم لا يعتريه الشك من إحدى

جهاته وربما كان لهذه القصص أصل في التاريخ العربي ولكنها مزجت بالكثير من المبالغة وصناعة التأثير .

وكم من مرة هبت ريح الخلاف في قهوة المعلم حسنين وخيف على الأمن والسلام فيها بسبب عبارة تبدر من الشاعر ويختلف أساطين التاريخ في القهوة في صوابها فيوقف الشاعر عن العمل حتى يستفي الشعراء الآخرون في القهاوى المجاورة وبعد ذلك يصرح له بمتابعة السير في عمله وقد يفاضل بين شاعر وآخر لا من حيث الصوت وحسن التوقيع وإنما من حيث عدم خروجه عن المعانى والألفاظ التي سبق لهم أن سمعوها من أجدادهم . وليس لهذه القصص أغراض تعليمية محددة بل لها تأثير سيء متوارث منذ زمن بعيد وأرى أن نظام الفتوات السائد في القاهرة والأقاليم ذلك النظام الذي يحث على أخذ الثأر باليد دون اللجوء إلى القانون والامتناع عن أداء الشهادة بالمحاكم ضد أى متهم ابتغاء تبرئته ثم القصاص منه بعد ذلك بمعرفة أهل الجنى عليه أنفسهم وعدم الخيانة والغدر وقت المعارك بل قصر الأمر على الاعتداد بالقوة الجسمية مع استعمال العصا أو كل ما ليس بسلاح حاد واعتبار الغدر والضرب بالسكين دليل الضعف والجنون وكل الصفات والأحوال التي تسود حياة القبائل ونرى كثيراً منها سائداً أيضاً أحوال الفتوات بالقاهرة وكذا الاعتقاد ب (اصرف ما في الجيب يأتك ما في الغيب) *

وبأن النجاح في الحياة هو نتيجة المصادفات والحظوظ فقط لا غير . أقول إنه مع الاعتراف بأن هذه الفوضى هي من آثار حكم المماليك لمصر ومن آثار التفاسير الضعيفة لكثير من الآيات القرآنية تلك التفاسير التي

(*) يعتقد العامة أن تلك هي القاعدة الدينية وهذا خطأ فالله تعالى يقول (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) وتلك قاعدة اقتصادية جليلة ترمي إلى التمتع بالواقع مع الحذر والنظر إلى المستقبل البعيد

شجع عليها حكام ذوو اغراض فى الايام الماضية بغية إخضاع الشعوب وانصرافها عن محاسبة الظالمين والمترفين ومن ولع الامة إذا ضعفت وتأخرت بالتمسك بالأحاديث والأفكار الضعيفة والشاذة والموضوعة وجعل المقام الأول لها والنفور من كل الأقوال والحقائق التى تعود عليها بالقوة والعظمة وإهمالها إهمالاً لأنها تكلفها ما لم تعد لها طاقة به وكذلك من عدم الشعور بالاستقلال السياسى زمناً طويلاً حتى ضعفت الشخصية والثقة بالنفس عند الأفراد . أقول إنه مع الاعتراف بذلك فأنى بجانبه أن المغزى الذى تركه تلك القصص فى أذهان العامة له نصيب كبير فى إحداث هذه الفوضى ويا حبذا لو أن الحكومة فحصت هذه القصص وتبينت ما فيها من الأضرار الأدبية على العقول ووزعت على القهاوى البلدية قصصاً أخرى ترمى إلى أغراض عالية وتغذى الناس بأخبار صادقة لأبطال الحرب وزعماء الإصلاح على أن تكتب بأسلوب سهل وتلقى على الناس بطريقة الشعر التمثيلى بين شخصين أو بطريقة العامة الحالية .

وهناك ملاحظة أخرى وهى أن الصحف تنشر يومياً بلاغات رسمية عن الجرائم وخلاصات غير رسمية عن القضايا الهامة ويقروها الناس ويستفيدون منها علماء وعظة ولكن هؤلاء الناس الذين يقرءون أخبار هذه القضايا والحوادث هم من المتعلمين الذين لا يقتربون غالباً أمثال هذه الجرائم الوضيعة . أما البيئات التى تقترب حقيقة هذه الجرائم والتى يخيل لأفرادها أن الاشتراك فى الجرائم من الأمور الهينة وأن الثقة والاتحاد بين أفراد العصابة سيظلان قوين على الدوام وأن المتفكرين على قتل شحاذ واقتسام ما فى جيبه بحيث ينال الفرد منهم فى النهاية عشرين قرشاً بعد إلقاء جثة القتيل فى البحر سيكون الفوز حليفهم وأن الحيلة البسيطة التى يمكن أن خيوطها ستقف حائلاً منيعاً فى وجه البوليس يحول دون استخلاص الحقيقة . أقول إن أفراد هذه البيئة هم الذين يغشون القهاوى البلدية ليلاً وهؤلاء لا يعرفون القراءة

والكتابة ولا يتصل بسمعهم شيء مطلقاً مما يكتب في الصحف عن البلاغات الرسمية أو حيثيات الأحكام أو طرق اكتشاف الجرائم المختلفة وعلى ذلك فجهود البوليس والكتاب ضعيف الأثر وبما أراه واجباً على الحكومة أن توزع نشرات مكتوبة بأسهل الأساليب تحوى خلاصة أخبار الجرائم التى تقع فى البلاد ومبلغ مهارة البوليس وقوة بطشه وسوء أخلاق المجرمين الذين ارتكبوا هذه الجرائم مع شرح خيانة بعضهم لبعض واعتراف بعضهم على بعض وحيثيات الحكم لتقرأ هذه النشرات على العامة فى القهوات بوسيلة من الوسائل ومن المحقق أن أمثال هذه النشرات سيكون لها تأثير بليغ فى نفوسهم يردعهم عن ارتكاب كثير من الجرائم ويقوى فى نظرهم سلطة الحكومة وسيقبلون على سماع هذه الحكايات الحقيقية بشوق زائد.

وترية العامة بطريق القصص له نتائج باهرة لأن النظريات إذا كانت مجردة عن لباسها اللباس العملى تجردت أيضاً عن أهم عنصر للتأثير فى نفوس العامة فلو أنك ألقى عليهم درساً فى فائدة الأمانة مثلاً لذهبت الأقوال فى النهاية أدراج الرياح ولكن لو حدثت حادثة أمانة كأن وجد رجل مبلغاً من المال فذهب يبحث عن صاحبه حتى رده إليه لتركت هذه الحكاية فى نفوس الكثيرين منهم أثراً حسناً يقتدى به وعلى ذلك تكون الحكايات الحقيقية أو التى يصدقون أنها حقيقية والأعمال التى يرونها بأعينهم هى القائد لهم والمرشد والمثال الذى يحتذى ومثل ذلك مثل المظاهرات عند تكوينها فإن المظاهرة ربما تبدأ بعشرة أشخاص ثم لا تلبث حتى تصبح ألفاً ولا يبعد أن تبلغ عشرة آلاف بغير تعب ولا إجهاد سوى أن التجمهر والصيحات المقرونة بالحماسة ذلك المظهر الذى يمثل العلم المقرون بالعمل يدعو الناس إليه بل يرغمهم على الانضمام ولا يلبث الفرد الخائف حتى يرى نفسه طوع إرادة الجماهير بل ربما تطور وأصبح أشد من الجميع حماسة.

والعلماء الذين لهم صفة العمل بما يعلمون هم الذين يتأثرون بالنظريات أكثر من العمليات وهم الذين يعملون الواجب الذي يعتقدون أنه واجب سواء أعمل غيرهم به أم لم يعمل ولا تنال منهم مشبطات الهمم ولا يهجمهم تكبد الخسارة في سبيل ما يعتقدون . فهم مضحون ثابتون على التضحية ويبدون بالمثال بأنفسهم ولا يقلدون غيرهم إلا عن اقتناع وهم زعماء في أنفسهم وزعماء لغيرهم سواء أاعترف الناس لهم بذلك أم لم يعترفوا . والذين اندمجوا في سلك تيار من التيارات ولم تكن صفة العمل بما توحى إليه نظريات هذا التيار من صفاتهم من قبل إذا ما هدأت سرعة هذا التيار قليلا اتهموا أنفسهم ولم يصدقوا أنها قامت بما قامت به وإذا رجعت بالذاكرة إلى ملاحظته أيام ثورة عام ١٩١٩ ذكرت أن مدينة المنصورة كانت تقوم بمظاهرات عظيمة ولكنهم إذا ما سكن الروع وهذا الأمر وأفاضوا في الحديث عن وصف المظاهرات قالوا إنهم لم يقوموا بشيء يذكر بجانب ما قامت به مدينة طنطا فاذا ما ذهبت إلى مدينة طنطا حيث المظاهرات العظيمة أيضا وجدتهم يقولون إنهم لم يقوموا بشيء يذكر بجانب ما قامت به مدينة المنصورة وقد وجدت الأمر هكذا في معظم بلاد القطر ومن هذا أستنتج علمياً أنه لو قامت حركة عامة أخرى في المستقبل ستكون هذه الحركة أشد وأعظم هولا من الماضي لأن النفوس تستمد من ماضيها ما يسهل لها العمل بالنظريات مرة أخرى إذ قد لبست هذه النظريات في الماضي القريب لباساً عملياً وأصبح لها حكايات عملية لا تزال تذكر قهيم النفوس بحبها والاقتداء بها وعلى ذلك لا يهتم الناس في المرة الثانية أنفسهم بالعجز عن القيام بالعمل بالنظريات ولا ينتظرون حتى ترد إليهم أنباء غيرهم . ويقع ذلك على شريطة أن تكون الحركات في فترات متقاربة . أما إذا طال العهد بين حركة وأخرى فإن من رأوا الحركة

الأولى يكونون من سكان القبور عند الحركة الثانية ويأتى جيل آخر لا يثق بنفسه فى القدرة على القيام بعمل ما ولذلك كانت سياسة الأمم المستعمرة هى المثل والتسويق والتخدير كى لا تتوالى الحوادث فينسى الناس أنهم قادرون على العمل ويعودون إلى اتهام أنفسهم بالعجز .

== (المذكرة الخامسة والعشرون) ==

سبتمبر عام ١٩٢١

على رأس شارع الخليفة توجد مدرسة أولية خاضعة لتفتيش وزارة المعارف اسمها مدرسة النجاج لصاحبها ورئيسها الشيخ محمد على المهدي الذى تعرفت به منذ شهرين* . بهذه المدرسة مدرس اسمه الشيخ محمد خليل أصابه مرض خطير فى هذا الشهر استلزم نقله إلى مستشفى القصر العيني وظن لذلك أن شفاه عسير فاقضى الأمر البحث عن شخص يحل محله حتى يشفى فأرشدهم الشيخ محمد عبد الغنى عنى فخاطبني رئيس المدرسة فى ذلك فرصيت وقلت بالعمل دون العلم بأنى أشتغل مؤقتاً . وبذهابى إلى المدرسة أصبحت لى أمام الناس صناعة معلومة وهى أنى مدرس بمدرسة وهذا ما كنت أتمناه وأعمل له على الدوام ولكنى بعد يومين رأيت نفسى قد زج بها فى مأزق

* شارع الخليفة هو الشارع الموجود به مسجد السيدة سكينة وتقع على رأسه مدرسة النجاج الأولية وقد تغير اسم المدرسة أخيراً فهو فى عام ١٩٣٦ (حسن كخدأ) ولا يزال الشيخ المهدي هو نفسه الذى يدير المدرسة ولا يزال المكان هو بذاته

شديد الوطأة على صحتي وذلك أن حالتى قد تحولت فجأة فى ظرف يومين من حال إلى حال على طرفى نقيض فانه من سكون وهدوء منقطعى النظير يحيطان معيشتى الفردية مدة عامين لم يخرج فىهما ذلك السكون إلا بحادث الزواج وهو حادث أضاف إلى معيشتى فرداً واحداً لا أكثر ولا أقل إلى جو يعج عجيجاً بصراخ أطفال يستفز الحليم وضوضاء تضطرب منها نفس السليم .
ألمنى جداً هذا الانقلاب الفجائى ولكن رغبتي الشديدة فى الظهور أمام الناس بمظهر المدرس كانت العزاء لى من هذا العناء .

مضى على هذه الحال خمسة وعشرون يوماً وإذا بالمدرس الأول يشفى ويحضر إلى المدرسة مطالباً بوظيفته ولأول مرة أراه وأسمع منه وصف حالته التى يرثى لها وكأنه كان يتوقع منى نضالاً طويلاً فإذا بى أتخلى له عن المركز عن طيب خاطر ولما كنت أعلم من صاحب المدرسة أن له مدرسة أخرى للبنات كائنة بحارة البير أمام الباب القبلى لجامع طولون فقد أظهرت له أنى على أتم استعداد لمعاونته بالتدريس بمدرسة البنات بغير مقابل إذا كان فى حاجة إلى ذلك وأخبرته أنى والحمد لله ميسور الحال ولا أرغب إلا فى تمرين نفسى على هذه المهنة توطئة لفتح مدرسة فى المستقبل ببلدى الفيوم ولما كان الرجل يعلم عن طريق الشيخ محمد عبدالغنى أننى حقاً من الأغنياء فقد كان هذا الطلب فى نظره من الأمور المعقولة وسرعان ما أحالنى إلى مدرسة البنات مع تقليل ساعات العمل وكما انشرح صدرى لذلك إذ نلت أمنيتى وهى أنى صرت أمام الناس مدرسا أى صاحب صناعة وتخلصت فى الوقت نفسه من وطأة الضجة الثقيلة على سمعى وعصبى بتخفيفها إلى أقل حد ممكن وذلك بتقليل ساعات العمل وبالاتقال من التدريس للذكور إلى التدريس للإناث وهن أهدأ وأسلس قيادا .

كانت صاحبة المنزل الذى أسكن فيه مقيمة بالدور الأسفل فى نفس المنزل وقد شجر خلاف بينى وبينها فى أحد أيام هذا الشهر أدى إلى

تجمهر الناس أمام باب المنزل للملايقتا ابتغاء تهديئة الحال . ولكنى لما رأيت الحشد قد أربى على ما كنت أنتظر ، أردت استغلال الظروف فعملت على استفحال الشر وانطلقت من بين الجمهور أجرى صوب الشارع العمومى لاستحضار البوليس ، وأنا على يقين فى خاصة نفسى أن الناس سيجدون فى أثرى ويحولون فى النهاية دون حضور أى فرد من البوليس لأنهم جميعاً من الجيران الذين تقضى عليهم العادات أن يتدخلوا بين المتنازعين لفض الخلاف فى مثل هذه الظروف ، وكان ما توقعت ، وجرى الناس ورائى وأعادونى إلى منزلى موفور الكرامة . وبعد قليل هدأت الحال ، وكان الذى يرانى ساعة الجرى لاحضار البوليس مهما كان قائماً فى ذهنه من الظنون بأننى محتف عن أنظار البوليس سرعان ما تبدد عنده هذه الظنون جميعاً وتنقلب رأساً على عقب ، وهذا ما كنت أرمى إليه . . .

== [المذكرة السادسة والعشرون] ==

اكتوبر عام ١٩٢١

لم تتحسن أخلاق الزوجة عن ذى قبل منذ طلاقها الأول وردها ثانية كما كان مأمولاً لأن طباع هذه الطبقة لا تلين بالطلاق ، وهو العادة المألوفة عندهم لسبب ولغير سبب ، ولا تتمنى المرأة لزوجها من أجل ذلك غنى وسعادة ، ولا تعمل على صيانة ما يتوفر له من النقود توهمها منها أن فقره الدائم يضطره إلى الاحتياج إليها على الدوام . أما غناه فسيكون وسيلة لطلاقها منه وبجته عن غيرها .

كثيراً ما هددت زوجتي بأنها إذا لم ترتدع فسيكون نصيبها كالمرءة الأولى ولكنها بدلا من الاقلاع عن الشرور راحت تمنع في الافساد بيني وبين الجيران ، وكانت المشاجرة بيني وبين صاحبة المنزل من آثار دسائسها . وأخير أخيل إلى أنه أصبح في الامكان الاستغناء بتاتا عن أى أنيسلى بالمنزل ما دمت قد دخلت في طور جديد وهو كثرة الخروج ليلا ونهارا ، وانتهى الرأى إلى أنه لا يوجد أفضل من أن أتخلص نهائياً من هذه الزوجة التي تستفز أعصابى بغير هوادة . فاستدعيت الشيخ محمد على الشينى المأذون الشرعى إلى منزلى وتم الطلاق في يوم الأربعاء الموافق ٣ صفر عام ١٣٤٠ هـ . و ٥ اكتوبر عام ١٩٢١ ورقم الدفتر ٨١٢٣ ورقم الصفحة ١٨ بشهادة كل من الشيخ محمد خليفه عمر خادم مسجد خوش قدم بشارع درب الحصر وسيد احمد اسماعيل الترى الساكن بشارع القبر الطويل * . وقد خاطبني والدها بعد ذلك في أمر الصلح فلقى منى إعراضا تاما وتصميما أكيدا على عدم تغيير موقفى خصوصا وكنت أعتقد أنها غير حامل . .

كرهت أن أبقي في هذا المنزل لوجود وحشة في الغرف عقب خلوها من الأشخاص والأثاث ، ورأيت أن تغيير الأمكنة فيه ترويح للنفس فبدأت أبحث عن منزل آخر ، وكان بحثا شاقا نظرا لازمة المساكن وأخيرا عثرت على دور صغير ذى غرفتين بمنزل قريب من مسجد السيدة عائشة ، وكانت صاحبة المنزل امرأة عجوزا فحرت لها عقد ايجارة من صورتين ابتداء من الشهر التالى ودفعت لها خمسين قرشا أجرة الشهر . وفي اليوم الثانى ذهبت لزيارة الشقة وفحص حالة الجيران . وفي أثناء الحديث مع صاحبة المنزل علمت منها أن الساكنين في الدورين الأول والثالث من أهالى المنصورة ، وأن كثيرين من أهل بلدهم يزورونهم بين حين وآخر ، فأظهرت لها أنى أريد أن أعرف بهم حيث أتى أصبحت جارهم ، وكنت أعرف من الحديث

أن الرجال موجودون خارج المنزل في هذه اللحظة ، فوصفت لي دكان أحدهم وعلى ذلك قصدت إلى ذلك المحل ونظرت إليه نظرة عادية فاذا بداخله رجل ترزى من أهالي المنصورة بلدى أعرفه منذ الصغر عند ما أخذوه إلى القرعة العسكرية ولم يعد بعدها إلى البلد ، وكان الرجل منهمكا في أعماله غير ملتفت إلى الطريق فانطلقت على الفور إلى مسكنى الحالى ولم أعد بعدها إلى الشقة المستأجرة حديثا وضاعت على الخسوف قرشا ، ولا أدري كيف تصرفت صاحبة الدور فيه بعد ذلك . وكانت نتيجة هذه المصادفة أنني صرفت النظر عن البحث عن مسكن آخر وبقيت حيث كنت بعطفة رشوان بك بدرب الحصر .

احتاجت صاحبة المنزل إلى بيع منزلها في الشهر وقد تم البيع فعلا إلى رجل يدعى بيومى حنفى جمعه وعلى أثر ذلك رحلت المرأة عن المنزل وحل المشتري الجديد محلها في نفس الدور الأرضى للمنزل ومعه بعض أقاربه وقد أقام كل منهم مع زوجته وأولاده في غرفة خاصة من الغرف الثلاث . والحالة الاقتصادية لفقراء العامة لا تدع لهم سبيلا لتكون نساؤهم من ذوات الحجاب كالطبقة الراقية والمتوسطة في مدن مصر لأن مسكنهم لا يزيد عن غرفة واحدة فيها ينامون وفيها يأكلون وفيها يزورهم الزائرون وهذا المسكن المكون من الغرفة الواحدة هو الذى يضطر نساؤهم ورجالهم حين الزيارة أن يجتمعوا ويتحدثوا جميعا في مكان واحد وهذه العادة الاضطرابية هي التي تجعل نساؤهم جميعا سافرات ولا يستطيع العامة خلاف ذلك فاذا ذهبت نساء أحدهم تحتجب كان ذلك إعلانا للناس على أنه بدأ يغتنى ولكن الدخول في هذا الاحتجاب من الحوادث النادرة والغالب الأعم أن الذى يتسنى له من العامة أن يجمع مبلغا من المال ويشترى به منزلا محتويا على غرف كثيرة فانه لا يشغل فيه أكثر من غرفة واحدة وتستمر حياته كما كانت من

قبل ولا يعتمد إلى إصلاحها وهذا يرجع إلى بعض خرافاتهم القائمة في سبيل
الإصلاح الاجتماعي في مصر . كان للشيخ محمد المهدي صاحب المدرسة التي
لا تزال أزورها نهارا للتدريس للتلميذات صديق من كبار موظفي إدارة
الامن العام اسمه احمد بك صبرى ومنزله بشارع طولون رقم ٤٧ وكان
الشيخ المهدي يتردد كثيرا على منزله وفي ليلة من ليالى هذا الشهر أخذنى
معه وقدمنى إليه باعتبارى صديقاً له ومدرسا عنده ومن أهالى الفيوم وقد
زرت صبرى بك بمنزله بعد ذلك أكثر من عشرين مرة برفقة الشيخ المهدي
والشيخ محمود غالى وغيرهما وكنا نمضى هزيعا من الليل فى سمر وكان حديث
صبرى بك يتضمن أحيانا طرفا من أعماله حينما كان يلبس عمامة ويشغل
مع البوليس السرى فى البحث عن المجرمين العاديين والمجرمين السياسيين وذات
مرة ذكر بعض أسماء أشخاص استطاعوا أن يفتلوا من أيدي الحكومة فى
مدة الحرب وبعدها وذكر من ضمنهم اسم شكرى الكرداوى وكان مجرى
الحديث يشير إلى أنه من الذين كلفوا بالبحث والقبض على هؤلاء ولم يكن
يتبسط فى سرد مثل هذه الأخبار وإنما كان يشير إليها فى غضون الحديث
إشارة مختصرة ويظهر أن الجالسين كانوا يعلمون شيئا عن أعماله السابقة
والحاضرة ولذا كانوا يبتسمون ولا يسألون عنها كثيرا مما يدل على إلمامهم
بها . أما أنا فكنت التزم الصمت عند ورود مثل هذه المسائل على ألسنتهم
وكنت أقصر على الابتسام والضحك حين يضحكون ولا أسال عن شئ
مطلقا يمس هذه الأخبار لا فى حضوره ولا فى غيابه وكان صبرى بك أحيانا
يتكلم معى عن هواء الفيوم وخصب أرضها ووفرة فواكهها وأنا أزيدة علما
فى ذلك كأنتى من صميم أهلها وكان من جراء دخولى إلى منزله أن بعض
عساكر البوليس السرى الذين كانوا يروتنى معه كانوا يهابوننى وإذا أرادوا
أن يسألوا عن شئ فى القهوة الواقعة فى شارع طولون التى كنت اجلس
فيها أحيانا كانوا يسألون غيرى ولا يسألوننى ومرة نهرا حدهم بوليسا سرىا
لأنه تعتمد أن يسألنى عن اخبار مظاهرات الأزهريين

== (المذكرة السابعة والعشرون) ==

نوفمبر عام ١٩٢١

لقد كان العام الأول من أعوام الاختفاء أشد الأعوام قسوة على صحتي وعقلي إذ دفنت نفسي فيه حياً في ذلك المنزل الذي كان كأنه سليل القبور ، لا أنيس فيه يصرم جبل الصمت والسكون ، ولا نافذة تصل ما انقطع من مناظر الكون ، ولا أغيب عنه إلا لما تحت ستر من ظلام الليل ، فكانت الصدمة العصبية من أجل ذلك شديدة قوية ليست كتلك التي تزول بزوال السبب ، وحلول زمن أعذو فيه وأروح بغير تعب ، وإنما أثارها السيئة التي تولدت في ظرف عام من الأعوام لا تنجاب عن الجسم في مثل ذلك الظرف من الزمن بل تحتاج إلى شطر من العمر طويل حتى تهدأ الأعصاب وتعود المياه إلى مجاريها إن كان ثمت من عود .

كذلك كان الحال فإن زيادة عدد مرات خروجي من المنزل ليلاً ونهاراً واختلاطي ببعض الناس وحضوري بعض الاجتماعات لم يكن في وسع ذلك كله أن يسرى عن النفس إلا قسطاً ضئيلاً مما هي فيه من كدود ، ولا أنفك في حاجة شديدة إلى رفيق يحادثني ويخدمني في كل وقت وما برحت أنفر من الوحدة وأفر منها فراراً . فلما طلقت الزوجة ورحلت عني بقضها وقضيضها واستأنفت ثانية حياة العزلة والصمت الرهيب داخل المنزل لم يتسع صدرى لذلك مرة أخرى كما كنت أرجو وإنما تجسست الحقيقة الواقعة أمامي ، وهي أن دور الاستشفاء مما ألم بأعصابي من جراء الوحدة في أول عام من أعوام الاختفاء سيطول أمده ورأيت شبح الزواج مرة أخرى يلوح لي في الأفق أنه الحل

الوحيد والشر الذي لا مفر منه . على أنى كنت فى هذه المرة املك شيئاً من حرية الاختيار وكانت العائلات أعمى كثيرة ، وكان لى أن أقبل ولى أن أرفض . فتمكلمت فى الامر مع الشيخ محمد على المهدي ، وكان الرجل يعد تدريسي معه فى مدرسته واهتمامى بشمونه بغير مقابل مدة طويلة دليلاً على أنى ميسور الحال وعلى أنى جدير بأن أخدم كما صرح لى بذلك ، فلما علم منى أن الزواج أمر يهمنى نفاذه بأقرب فرصة أخذ على عاتقه أن يقابل الجميل بمثله ويتم لى هذه الخدمة فراح يحوب الأرض ليمحى لى عما يرضينى فخطب كثيرين واتسعت دائرة الحديث والتساؤل عن أسرتى وبلدى فلما رأيت ذلك خفت العواقب وخشيت أن يؤدى حسن نيته هذا إلى نتيجة سيئة لا يشعر هو بها الآن فأشعت أن الاتفاق انتهى مع أحد الجيران فلما سمع بهذه الاشاعة سألنى عنها فأكدت صحتها فكف الرجل عن البحث وأظهر سروره لانهاء المسألة على وجه يرضينى وقال إن هذا هو كل ما يتمناه ولكننى عرفت من نتيجة هذه الحركة أنه لا يزال من العسير أن أتزوج من عائلة لها مكانة لضرورة مواجعتى بوابل من الأسئلة قبل إتمام الزواج وأن الزوجة إذا كانت بكراً فستعمل لها بلا ريب كل الحفلات المعتاد إقامتها فى الأفراح وهذا يستلزم نفقات لا قبل لى بها وستضطرنى الظروف إلى الظهور بمظهر قد يحمل فى طياته خطراً بوجه من الوجوه فرأيت أن الأفضل لى هو عدم التخاطب فى شأن الزواج إلا مع العائلات التى تم التعارف بينى وبينها فى مدى السنتين السابقتين وصار عندهم من العقائد والأخبار والاشاعات الحسنة عنى ما يكفل لى منهم عدم الحاجة إلى زيادة البحث عن أحوالى وأقاربى وهؤلاء هم سكان الحارة الأولى التى سكنت بها وكذلك جل سكان الحارة الثانية التى انتقلت إليها وصار لهم من المعلومات التى استقوها من الحارة الأولى ما يحثهم على تقديم أية مساعدة لى من هذا القليل دون أن يروا أنفسهم فى حاجة إلى استيعاب أخبار جديدة وعلى ذلك بدأت بسؤال أصحاب

المنزل الذى أسكن فيه فأمهلوني يومين ثم أفادوني بأن لهم بنتا ثيبا تقيم الآن
بمركز البدارى بمديرية أسيوط ويمكن استدعاؤها على عجل إذا اتفقت معهم
على ذلك وأخيرا اتفقت معهم وحضرت البنت

وفى مساء يوم الأحد الموافق ٦ ربيع أول عام ١٣٤٠ و ٦ نوفمبر
عام ١٩٢١ حضر الشيخ على محمد الشينى المأذون الشرعى إلى منزلى وحضر
قليل من خاصة أصحابي بينهم الشيخ محمد عبد الغنى ثم حضر على الأثر أهل
العروس وكنت أظنهم فئة قليلة فاذا بالعدد الجم من عراة الرؤوس وحفاة
الأقدام يتسابقون إلى الدخول الواحد قبل الآخر وكلهم من سكان الوجه
القبلى وبأيديهم العصى الغليظة والشرر يتطاير من أعين أكثرهم شاهدا على
ما بينهم من خلاف خطير لا أدرى له سرا ولم يكن له من قبل نذير وما كاد
عقد اجتماعهم يكتمل حتى رأيت الغرفة قد اكتظت رغم سعتها حتى لم يعد
بها موضع لقدم وكان بينهم عسكريان يمتان إليهم بصلة القرابة وإثنان على
وجهيهما سيما اليسار هما الحاج حجازى صالح صاحب الخبز الشهير بقسم
الخليفة وأخوه والباقون من عامة الناس وقبل أن تزول دهشتى كان الجدل
قد أمطرهم صيباً من سمانه فيه برق التهديد ورعد الوعيد وأنا وسط هذا
البحران لا أدرى قبلى من دبيرى ولا سبيل إلى استخلاص الخبر من أشواك
الاضطراب والترشق بالسباب وأخيرا عرفت أن بينهم رجلا من أقاربهم
كان يعقد النية على الزواج بهذه البنت ولكنه لا يملك شروى نقير فلما أثرت
مسألة زواجهابى وأنا غريب لا يعلمون من أمرى شيئا على سبيل اليقين
انقسم القوم إلى فريقين فريق يحبذ لا اعتقاده بغناى وآخر يلوم ويهدد وعلا
الصياح واستحكمت حلقات الخلاف فما كان منى إزاء ذلك إلا أن انسملت
من بينهم وخرجت إلى الطريق وتمنيت لو أسدل الستار نهائيا على هذا الزواج
وانفض ختامه بسلام ولكن حدث فى غيبتي أن انبرى الشيخ محمد عبد الغنى
الذى يعرفه القراء وهو من أهالى الفيوم وعلى ثقة كبيرة بأتى أيضا من أهالى

الفيوم مثله إلى حزب المعارضة يساعده المأذون الشرعى من طرف، خفي نظرا لمصلحته في إتمام هذا العقد كي لا يضيع عليه أجره. وقال لهم بصوت عال إن الشيخ سليمان من أعيان الفيوم وهى بلدتى أيضا وأنا أعرفه حق المعرفة وإنه لو أراد أن يصاهر أية أسرة من أسرات الفيوم لما ترددت واحدة منها في هذا الأمر فلما أن سمع القوم هذا الكلام القوى الحجة قال أكثرهم لقد شهد شاهد من أهل بلده يعرفه حق المعرفة وسرعان ما أصاب سهم هذه الكلمات نحر الشقاق وقطعت جبهة قول كل خطيب .

وقام أكثرهم مسرعاً في طلبى حيثما ذهبت وأبرقت أسارير وجهى رمضان علام شقيق العروس ومحمد حسن زوج والدتها اللذين كانا محامى الدفاع عنى لأنهما كانا يسكنان معى في المنزل ويعتقدان أنهما على علم تام بأحوالى ولحقبى فريق منهم وسد على الطريق وأعادونى وأنا متثقل الخطى متقبلاً الاعتذارات الحارة التى تزج إلى يميننا ويساراً وأخيراً عقد العقد بموجب وثيقة زواج رقم دفترها ١٢٢٤٤ ورقم الصفحة ٢ بشهادة محمد حسن ويومى حنفى* ودخلت بالعروس فى ذات الليلة لأن الصداق كان مدفوعاً منذ الصباح وكان شقيقها رمضان وقريبها محمد حسن قد اشترى كل ما يلزم من قبل ونقلاه إلى شقتى رغم أنهما كانا يتوقعان مثل هذا الخلاف الذى دب ديبه فى المساء بغير أن يشير إلى بشىء من مخاوفه مطلقاً وكان كلامى عن نفسى وتمثيلى لحركاتى قد خلجا عقليهما وأوجد لهما خيالاً واسعاً وآمالاً طويلة فيما لو تمت تلك الصفقة فعقدنا فى سرهما كل عزم على أن يجتازا بالقافلة سالمة رغم كل المخاطر وكان من أجل ذلك أن حمى وطيس الخلاف ثم انتهت المعركة على ما يشتهيان . . .

* وثيقة عقد هذا الزواج لاتزال موجودة إلى الآن بطرف صاحب المذكرات

المذكرة الثامنة والعشرون

ديسمبر عام ١٩٢١

كان الشيخ بهي ابراهيم طبانه وهو أحد مفتشى التعليم الأولى بوزارة المعارف يفتش على أعمالى بمدرسة البنات الأولية ويكتب اسمى وهو الشيخ عبد اللطيف سليمان ضمن تقارير التفتيش ، وكان لهذا المفتش رأى خاص وهو أن معلم مدرسة البنات يجب أن يكون من النساء لا من الرجال . فلما انتهى من التفتيش فى هذا الشهر كرر على ناظر المدرسة رغبته التى أبداهها سابقاً ، وهى ضرورة البحث عن معلمة بدلاً من معلم ، ولكن ناظر المدرسة لم تكن له رغبة صادقة فى تنفيذ هذه الفكرة لأنه لا يدفع لى راتباً وطفق يعتذر عن ذلك حتى حضر المفتش فى هذا الشهر وأصر على تنفيذ الرغبة المذكورة ، فاضطر الناظر إلى البحث سريعاً عن معلمة وأرسل إلى من يشرح لى الموقف ، فلما عرفت ذلك تنحيت عن العمل من تلقاء نفسى ، وعلى ذلك دعانى الناظر لىلاً وأقام بمنزله حفلة صغيرة وقام وشكرنى بين الحاضرين على ما بذلته من الجهد مدة أربعة شهور دون مقابل وتمنى دوام الزيارات . ثم ذكر أنه توجد مدرسة أولية كائنة خلف مسجد السيدة سكيينة بجوار حارة الكرداوى * معروضة للبيع ، وأنه على استعداد تام

* حارة الكرداوى هذه هى حارة صغيرة واقعة خلف مسجد السيدة سكيينة سميت باسم عمى المرحوم اليوزباشى على افندى الكرداوى حينما كان ياوراً خاصاً لعرابى باشا وكان يسكن بها وله أملاك فيها وكنت أسمع بها وأنا صغير ولكن لم أكن أعرف مكانها بالضبط فلما سكنت بحارة رشوان بك فوجئت بقراءة لقي على لوحة إحدى الحارات التى تلتصق بحارة رشوان بك من الخلف . والغريب فى أثناء الحفلة التى أقامها الشيخ المهدي ناظر المدرسة أنه حينما أراد ذكر مكان المدرسة التى يريد أن يشتريها لنفسى خاصة أسرع اسم الكرداوى إلى لسانه دون سائر أسماء الحارات المجاورة للمدرسة أيضاً فذكره وأنا الوحيد طبعاً دون باقى الحاضرين الذى أعرف مكان النكتة غير المقصودة .

للتوسط بيني وبين صاحبها لشرائها باسمي فاذا وافقت على ذلك وجدت منه المرشد الأمين حتى تنهض المدرسة نهوضاً كبيراً ، فشكرته على ذلك وقلت إن فتح المدرسة سيكون في بلدتي الفيوم بدلاً من القاهرة وذلك عند ما تنتهي بعض المشاغل العائلية وأنتى لن أنسى تلك الأيام السعيدة التي قضيتها معه ، ثم أطربنا أحد الإخوان وانتهت الحفلة على ذلك * .

المذكرة التاسعة والعشرون

يناير عام ١٩٢٢

بعد تركي الاشتغال بالمدرسة كنت حريصاً على استبقاء سمعتي كمدرس عند من لا يدري أنني انقطعت عن المدرسة . فكنت لذلك أمضى سهرتي كثيراً مع الشيخ المهدي وأصحابه في القهوة ، وطالما أخذوني معهم إلى بعض الأفراح ، فكنت أذهب وأجلس بجوار دكة الفقهاء لأن الشيخ المهدي من الفقهاء المشهورين بقسم الخليفة ومن زملاء الشيخ غالي في إحياء الليالي بقراءة القرآن والمولد ، وذلك علاوة على أعماله في مدرسته نهاراً . وكان الشيخ المهدي إذا قدمني لأحد إخوانه ذكر له مجاملة أنني مدرس . ولكنني لما كنت لا أذهب إلى مدرسته نهاراً كنت دائماً التفكير في اختيار عمل حقيقي أستغل به أمام الناس حتى إذا سئلت لسبب ما عن صناعتي أجبت عنها ، وكانت الإجابة حقيقية . وكنت أمضى أوقاتي نهاراً إما في المسجد أو القهوة وأخيراً أكثر من الجلوس عند رجل صانع أحذية بدكانه الصغير الواقع

* اقرأ في ذيل الكتاب تقريراً مقدماً من الشيخ محمد علي المهدي بخط يده وهو منقول إلى الكتاب بالزنگراف

بشارع درب الحصر أمام جامع خوش قدم واسمه الاسطى محمد عوفى وكان
إمام المسجد المذكور يجلس معنا كثيراً واسمه الشيخ عبد الرازق الشيرقاوى
من بلقاس بمديرية الغربية .

لم أكن أتقن لفة عمامتى وقد لحظ ذلك الشيخ محمد عبدالغنى فسألنى عن
سبب عدم الحذق فى لف العمامة فأفدته بأنى حينما كنت بالأزهر لم أكن
أتعمم إلا على طاقية وكان الشال لذلك السبب يلف حينما اتفق أما الآن
وقد بدأت أن أتعمم على طربوش عمامة فاننى أرجوه أن يتكرم بتعليمى
الطريقة الحسنة لذلك فكان يأخذ عمامتى ويلفها لفاً حسناً ويعلمنى كيفية
ذلك حتى حذقته .

كثرت زياراتى لأنجال حسن افندى المعايرجى فى منزلهم وكان أحمد
يتكلم كثيراً بالانكليزية أماى مع أخيه أمين مفتخراً بأنه يعرف اللغة
الأجنبية أما الواقف معهما فهو أزهرى لا يعرفها وكان يسبنى بالانكليزية ثم
يضحكأن فأقول له (اللى عطاك يعطينا ياسى أحمد)

[المذكرة الثلاثون]

فبراير عام ١٩٢٢

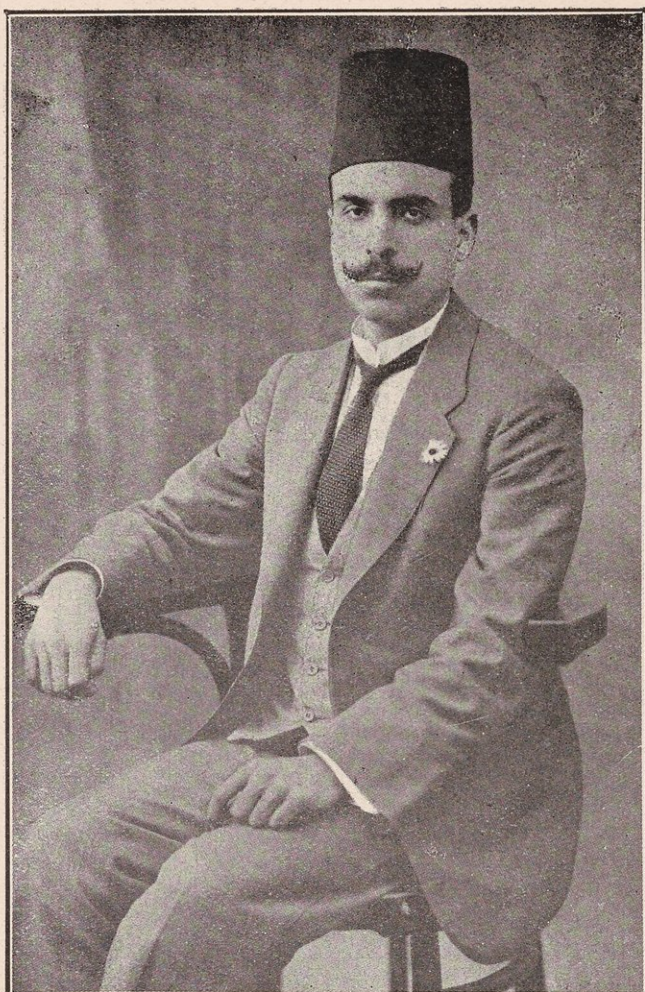
فوجئت فى هذا الشهر بخبر تكدرت من أجله كثيراً وذلك أن الزوجة
الأولى التى طلقتها ظهرت عليها علامات الحمل وأنها الآن فى شهرها السابع
وكانت الزوجة الثانية قد حملت فى أوائل أيامها فكثرت هواجسى ولكنى



صورة الشيخ عبد اللطيف سليمان (صاحب المذكرات)

صورت في يوم ١٦ فبراير عام ١٩٢٢

انظر (ص ١٤٧)



صورة صاحب المذكرات

صورت في يوم ١٨ مايو عام ١٩١٩
قبل حادث الاختفاء بثلاثة أشهر وهي التي طبعت منها وزارة
الداخلية ثلاثة آلاف صورة ووزعتها في أنحاء البلاد كافة
لغرض البحث عنه بموجها

كنمت الخبر عن الزوجة الثانية أشد كتمان وذهبت إلى غمرة لزيارة الزوجة المطلقة فتأكدت من صدق الخبر.

أكثرت من الجلوس بدكان محمد عوفى صانع الأحذية كما أكثرت من السير في الشوارع ليلاً ونهاراً في حى السيدة زينب والخليفة ولم أعد أخشى من الخروج شيئاً بعد أن ذهبت مراراً على قدمى إلى باب الخلق وسرت طويلاً فى جنازة الطلبة المصريين الذين قتلوا فى حادث تصادم قطار بآخر فى إيطاليا وكنت أحلق ذقنى فى ذلك الوقت وأسير إما بزي شيخ وإما بطاقة خضراء وبالطو أسود قديم كأحد العمال.

وفى يوم ١٦ من الشهر كنت سائراً صباحاً فى شارع البغالة متشجاً بزي شيخ ومرتدياً نفس العباءة والكوفية اللتين أهديتهما لى أم عطية التى ورد ذكرها فى المذكرة التاسعة ولم أكن ألبس العباءة والكوفية إلا قليلاً ولذا بقيا عندى زمناً طويلاً وبينما أنا سائر إذ رأيت أحد المصورين الذين يسرون فى الشوارع حاملين آلة تصوير على أكتافهم ليصوروا بها وسعر الصورة قرشان واقفاً فى عطفة صغيرة فتقدمت إليه والتقط صورتي وهما هى ذى أقدمها لحضرات القراء كأنفس تذكاري عندي من هذا العهد.

ويلاحظ أننى كنت واقفاً على باب دكان مقفل وكان اليوم ممطراً فى الصباح ولذا بقيت آثار المطر على مصراع باب الدكان على يميني ويشاهد ذلك جيداً فى الصورة على يسار الناظر إليها وكان المصور معلقاً قطعة من القماش على الباب المقفل.

[المذكرة الواحدة والثلاثون]

مارس عام ١٩٢٢

لما تزوجت الزوجة الثانية كنت أسكن في شقة مكونة من غرفتين وصالة صغيرة بينهما وحدث بعد الزواج أن قابلني محمد حسن وأعرب لي عن رغبته في الإقامة هو وزوجته وأولاده في إحدى الغرفتين فرضيت وبذلك تسنى له أن يمضى جل أوقات فراغه في غرفتي إما بالحديث وإما بلعب (السكرتشيينة) وهو بذلك يعمل جاهداً على توثيق صلات الصداقة بيني وبينه، ولقد تصاحبنا دون باقي رجال الأسرة، وأفضى كل منا إلى الآخر بحديث طويل ولكل منا غرض يرمى إليه من وراء ستار. أما أغراضى فكانت بطبيعة الحال بعيدة عن منال تفكيرهم لا يستطيعون فك طلسمها ولا يلوح على مظهرها لا في نظرهم ولا في نظر غيرهم أنها تحمل في طياتها ماتحمل من أسرار وليس في حركاتى ولا فى ألفاظى ولا فيما يشاع عني إلا كل ما هو طبعى خال من اللبس والابهام. أما من جهة أغراض محمد حسن فهو شديد الاعتقاد فى الحكاية السائدة عني فى أذهان الناس والتي تنص على أن والدى لا يزال على قيد الحياة وأنه ترى عجوز. وكل حكاية إذا دارت أياماً على السنة العامة أو انتقلت من جماعة إلى جماعة أو توارثها الناس جيلاً عن جيل دخلت بتأثير هذا الانتقال فى حيز العقائد المسكينة وزال عنها ما يشوبها من لوثات الريب والشكوك وأصبح مجرد ذبوعها على السنة الناس هو فى نظر العامة مادة الثقة واليقين. وذلك لأن سير الاشاعات فى أذهانهم يبدأ بأن يسمع فرد من آخر خبراً من الأخبار فلا يقول لغيره بعد ذلك إنه سمعه من فرد واحد من الناس بل

يذكر أن الناس يقولون ذلك فيخيل للسامع الآخر أن الناس طراً يقولونه ويقطعون بصحته وما دام الأمر كذلك فلا مراء فيه ولا جدال ولماذا لا يعتقد فيه مثلهم أليس هو واحداً منهم؟ وبهذه تصبح الحكاية أو الأشاعة من القضايا المسلم بصحتها في الأذهان وذلك منطق يقابل من العلماء بكثير من الاستنكار ولكنه الواقع الذي يدور عليه دولاب العمل لدى أكبر عدد من الجنس البشرى .

وهكذا كان موقف محمد حسن حيال ما يملأ الجو من الأقوال الراسخة في أذهان الناس . لقد استقرت في ذهنه أخبار الغنى وكثير من أخبار الطيبة والصلاح فارتوى خياله من تلك الحياض العذبة واختلط لنفسه سبيل الظفر برضائي والتمتع بحسن جوارى طمعاً فيما يرسمه له وهمه على لوحة الأفق من آمال فساح بعد أن يموت والدى (الموهوم) وأصبح أنا الوارث الذكر الوحيد له ، وكنت لا أبخل عليه بأن أريه السهى في دجى أحلامه ولو عفواً في غضون الحديث بكلمة سريعة تلقى فيشتعل بها فؤاده . وهكذا خيل إليه أن الصداقة قد توطدت بيننا فلم يكن يدخر جهداً في إجابتي على كل ما أسأله عنه ، وبذلك عرفت منه علاقة أفراد أسرته بعضهم ببعض ومن منهم عدو الآخر ومن منهم الصديق ، وعرفت كذلك كثيراً من أحوال الصعايدة الموجودين في القاهرة ، وألممت إلماماً تاماً بمبلغ عقليته وشخصيته ، وكيف يديره ويدير أقاربه من له في ذلك شأن ومصلحة . وحدث أن وجد محمد حسن عنده في هذا الشهر مبلغاً يستطيع أن ينشئ به محلاً أو تجارة مستقلة ، فراح يبحث مع إخوانه عن الطريقة المثلى في استغلال ما توفر له من النقود ، وأخيراً انتهى به المطاف إلى رجل صاحب قهوة بحى الأزبكية دعاه للاشتراك معه في ملكية قهوته . ويظهر أن وجود هذه القهوة في حى النساء الفاسدات زين له أن يرتقى في أحضان هذا الرجل لمشاركتة في عمله ولما كان أمياً التجأ إلى لمرافقته نهائياً لفحص حالة القهوة توطئة لكتابة

العقيد اللازم ، فخطبني مراراً في هذا الشأن ، وعلى ذلك رضيت بالذهاب معه ولو لم أرض لأول ذلك بكبريائي ، ونالني من وراء ذلك بعض المتاعب ، وكيف لا أذهب معه وهم يروني أخرج نهاراً في معظم الأيام وأقص عن نفسي أخباراً يؤخذ منها أنني أذهب إلى كل مكان ، وليس في جعبة الاعتذارات شيء يرضيهم مادمت أنا صهرهم العزيز ، وهم من الصعايدة الذين ليس في طباعهم أن يتخلف أحدهم عن خدمة الآخر ، ولو باسالة الدماء. وأخيراً ذهبت معه في عصر يوم من الأيام وجلست أستريح في قهوة بشارع كلوت بك مع أحد السامرة ولم ينته الاتفاق على شيء ، ورأيت أن المسألة ستحتاج إلى معاودة المحي إلى هذا المكان مراراً عدة ، نظراً لتصميم محمد حسن على الاشتراك مع صاحب القهوة ، وتلك مسألة لا تهمني كثيراً ، وإنما أكبر ما ينصرف إليه تفكيري هو كيف أتخلص من هذه الورطة وأجعل محمد حسن ينفر من مرافقتي له أو لا يجد له مصلحة في ذلك فلا يدعوني للتوجه معه إلى تلك الجهة التي يؤمها خلق كثيرون من مختلف الطبقات بلا انقطاع ، وبخاصة وهو في حاجة إلى كتابة عقد اتفاق وذلك في حالة نجاح المساومات ، وسأكون أنا الكاتب والشاهد بلا مرأ ، ولم يدعني محمد حسن إلا لهذا الغرض ، وشهادتي هذه قد تنقلب ضرراً يمسني إذا ما اختلف الشريكان وهرعا إلى المحاكم يشتكيان واستدعيت أمام المحكمة كشاهد . وقد تجسم الخطر أمامي عند ما تأكدت أنني عائد إلى المنزل لأحضر معه ثانية إلى هذا المكان . وفي اليوم الثاني دعاني للحضور معه ، فذهبت وأنا أحقر له من شأن القهوة وموقعها ، وأنصحته بالابتعاد عن القهوات التي تغشاها النساء الفاسدات ، وأكرر على سمعه أن ذلك حرام ينهي عنه الدين . وفي هذا اليوم لم ينته الاتفاق بينهما أيضاً ، وحين العودة لحظت أن الرجل لا يريد أن يتبسط معي في الكلام بشأن القهوة قراراً من سماع ألفاظ الدين والحرام والحلال التي أسوقها إليه . وفي أثناء الليل سألتني زوجته عما تم فأقدمت على الفكرة التي أنا متردد في تنفيذها

وسقت إليها حديثاً جعلتها تعرف منه مكان القهوة بالضبط وبما أنها زوجته فقد انضمت إلىّ في الرأي بوجوب الابتعاد عن شراء محلات عمل في هذه الجهات الخاصة بالنساء الفاسدات . وقالت لرمضان ابنها إن الشيخ سليمان صالح وماله وما لهذه الجهات يستصحبه محمد حسن إليها . فأجابها رمضان بأنه هو أيضاً غير موافق على شراء أية قهوة في هذه الأماكن ، وتضافر الجميع على تشييط عزيمة محمد حسن والحيولة بكل قوتهم دون إتمام هذا العقد وطلبوا إلىّ من تلقاء أنفسهم عدم التوجه معه مرة أخرى لهذا الغرض . أما محمد حسن نفسه فكان يقاوم كل عقبة تقف في سبيل إتمام رغبته هذه ولكنه حين يلقاني يخفي رغبته ويصديه خزي وتخونه شجاعته عن أن يشير إلى الموضوع بقليل أو كثير من الكلام ، كيلا يسمع مني تلك الالفاظ الدينية المعهودة ، وأصبح يود في نفسه لو ينتصر على أقاربه دون أن يزج بي في حومة الموضوع ، وعلى ذلك خرج في اليوم الثالث بغير أن يلقاني وسررت أنا بذلك ، ثم عرفت من زوجته بعد أيام قليلة أنه أتم الاتفاق مع صاحب القهوة وكتب معه عقداً بذلك ودفع له مبلغ ١٨ جنيهاً مقدماً متفقين على السعي لشراء بعض أثاث لتحسين حال القهوة فيما بعد . وقد قابل المنزل بأجمعه هذه الأخبار بالأسف الزائد وأنشأت أنا أدعو له بخير وبنجاحاته من أولاد الحرام .

في يوم ١٥ مارس أطلقت الحكومة في الميدان الواقع بين القلعة وسجن مصر ١٠١ مدفعاً إعلانياً بالغاء الحماية وذلك عقب تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ وكنت حاضراً وقت الإطلاق وواقفا خلف المدافع في الساعة الثامنة صباحاً وفي الليل كانت قصر عابدين والشوارع المحيطة به مضاءاً بأبهى الأنوار الكهربائية وقد مررت ورأيت ذلك كله .

(المذكرة الثانية والثلاثون)

ابريل عام ١٩٢٢

أكثر من الخروج على ما به من إجهاد وعناء . ولعمر الحق لم يكن سيرى في الطرق مما تستفيد منه الصحة وتلد لعيني رؤيته فهذا نوع من السير تدفع إليه الضرورات ولا يعرفه إلا من كابد . ظاهره كغيره وباطنه تمثيل في ثياب حقيقة . فان عادة الخروج في مثل هذه الظروف لا تمحو ما في الأذهان من كسف الشك محواً وإنما يتقلص بها أقله ويبقى أكثره وما دام هناك شك فثم التفكير والحرص وهذان يمحقان الصحة محقاً . وكان يمدى منديل على الدوام فاذا مارابني أمر شخص رفعت المنديل في رفق إلى وجهي ليختفي جزء منه وكنت شديد الانتباه لما يدور حولى في الشارع من نواحيه كافة كثير العناية بتعرف وجوه الناس وأجسامهم قبل أن يقتربوا مني وكثيراً ما رأيت أشخاصاً من معارفى فكنت أتجنب لقاءهم بحركة طبيعية وساعدنى على ذلك ما أعرفه فى نفسى من عدم نسيان أى شخص لقيته ولو مرة واحدة فى حياتى فلم تكن الوجوه لذلك ولا حركات الأجسام تشكل علىّ عند رؤيتها عن بعد . ولم أكن أتردد فى حركاى حين الدخول الى أى مكان أو حالما أهم بركوب الترام وكنت أسلم على الناس وأتكلم معهم وأضحك مما يضحكون وآتى بكل ما هو مألوف ومعروف وكثيراً ما كنت أرى الناس يتهمسون بوجود أحد أفراد البوليس السرى معنا فى الترام ويشيرون إليه من طرف خفى فلم أكن أعبا بذلك . وذات مرة جلس أحد رجال البوليس السرى على مقربة منى فى الترام فلم أتركه حتى تجاذبت معه

أطراف الحديث إلى أن نزل منه وما أسهل أن تميز البوليس السرى من غيره
في أثناء سير الترام ولا يحتاج ذلك إلى عناء أو ذكاء فهو الذى يقول عن
نفسه ها أنا ذا فاعرفونى وما عليك إلا أن ترقب الجمهور حينما يطلب
الكمسارى إليهم دفع النقود فترى بينهم شخصاً أو أشخاصاً أبرزوا علامات
خاصة من المعادن أو قالوا بصوت خافت كلمة «بوليس» أو «بوليس سرى»
فيعفيهم الكمسارى من دفع الأجرة فهؤلاء هم من البوليس السرى وسرعان
ما ترى الركاب جميعاً قد أحيطوا علماً بوظيفة الركاب بينهم وهذا أحد
عيوب نظام البوليس السرى فلو أن أفرادهم يدفعون أجرة الترام كباقي
الأفراد لما استلقوا الأنظار إليهم ولا استمروا مجهولين بين الناس عامة .
و كنت أفضل السير على الأقدام على ركوب أى مركب آخر لأن سير
المختفى ولو أنه مجهد للبخ إلا أن الانسان يملك فيه نفسه ويتنقل على جناح
السرعة كما يريد . أما وجوده راكباً وسط الناس فهو محصور ومقيد فاذا
وقعت عليه عين تعرفه فانه لا يستطيع الافلات بمثل ما يكون سائراً في
الطريق بعيداً عن هذا الحصر . وترى الناس يسرون في الشوارع تعدهم
بالمئات ولكن لا يحدق بعضهم في بعض وما هى إلا نظرات سطحية يلقونها
ذات اليمين وذات اليسار وهذه النظرات السطحية لا يعبأ بها المختفى بعد
أن يدرسها حق الدراسة . وكذلك كنت أفضل السير وحيداً على أن يكون
معى شخص آخر لاني في الحالة الأخيرة أكون مقيداً برغبات زميلي وبما
أنه ليس على علم بحقيقة موقعي فأكون مضطراً للسير معه بكيفية تخالف
ما اعتدته من كثرة العروج بغير هدى أو خطة مرسومة وزيادة على ذلك
فهو يلينى بكلامه عن أن أخصص نظري لرؤية الأشباح السائرة في الطريق
على أبعد ما أستطيع وكل هذا يقف حائلاً دون مراعاة مصلحة التى أعرفها
وغيرى جاهل بها .

في آخر هذا الشهر كان شهر رمضان عام ١٣٤٠ هجرية قد أقبل ، وفي

يوم ٢ رمضان أجهضت الزوجة الثانية في أنثى وقد عانت في أثناء ذلك ما عانت ولم تنته عملية الاجهاض حتى تولّاها الدكتور احمد ابراهيم الطبيب بشارع الصليبية .

وفي يوم الأربعاء ٦ رمضان ولدت الزوجة المطلقة بنتا أسميتها رسمية وهي لا تزال على قيد الحياة .

اتفقت مع عوني صاحب دكان الأحذية على أن يبيع لي دكانه بمبلغ تسعة جنيهات ويستمر هو يشتغل فيه بنصف المكسب وتستمر الأجارة كذلك باسمه وقد عملت ذلك كحالة لخلق صناعة لنفسى تكون ظاهرة أمام أعين الناس وصرت إذا سئلت بعد ذلك عن صناعتي أجبت بأننى صاحب دكان أحذية .

في آخر هذا الشهر كان لرمضان علام شقيق زوجتى قضية مخالقات بقره قول باب الشعرية وقد رافقه كثيرون من أقاربه فذهبت معهم ودخلت فى قاعة الجلسة الواقعة داخل القره قول إلى يسار الداخل وجلست بها نحو ساعة وأخيرا تأجلت القضية فخرجنا جميعا من القره قول .

—[المذكرة الثالثة والثلاثون]—

مايو عام ١٩٢٢

منذ أن اشترك محمد حسن فى قهوة درب طياب رقم ٨ وهو فى نزاع دائم مع شريكه ، وقد أخبرنى أن شريكه يتوانى فى شراء الأثاث الجديد المتفق على شرائه فى صلب العقد وقد برح الحفاء فى هذا الشهر وظهر أن

* أقرأ فى ذيل الكتاب تقريرا مقدما من الشيخ سيد ابراهيم بخط يده وهو منقول الى الكتاب بالزكغراف



صورة رسمية شكري البكر داوى
ولدت في ٣ مايو عام ١٩٢٢
وصورت في يناير عام ١٩٣٠
(انظر ص ١٥٥)

شريكة لم يسدد ايجار المحل لمدة طويلة ، وبناء على ذلك قد توقع الحجز على سائر المنقولات . وأغلقت القهوة وأصبح موقف محمد حسن من جراء ذلك حرجاً أمام نفسه وأمام أهل منزله وأسقط في يده وزاح يتخبط في دياجير الحيرة فلم ير سوى الاختفاء عن أعين الجميع ملاذاله مما غشيه من الخزي والندم فتعلق بأذيال الفرار إلى بنى سويف دون أن يشعر به أحد . أما أهله فقد أعتهم الحيل في البحث عنه وظنوا أن بالامر دسيسة وأن شريكه لا بد قد قتله فاستقر رأيهم على تبليغ الأمر الى النيابة العمومية وطلبوا إلى أن أرافقهم فذهبنا جميعاً إلى دار النيابة بالحلمية وجلسنا عند أحد الكتبة العموميين إلى أن كتب البلاغ وأمضاه باسم اسماعيل حسن شقيق الغائب ثم أخذته أنا منه وصعدت إلى غرفة وكيل النيابة واستأذنت بالدخول ورآني وكيل النيابة واقفاً على باب الغرفة فأشار إلى الساعي فأخذ البلاغ مني ثم عاد الساعي إلى وأخبرني بالحجى في الغد وفي اليوم التالى توجهنا جميعاً إلى غرفة الكتبة الواقعة قبل غرفة وكيل النيابة مباشرة ، ودخلت إلى أحد الكتبة فأخبرني أن البلاغ قيد برقم ٥٥ ثم استدعى وكيل النيابة شقيق الغائب وأخذ منه بعض معلومات وأفاده بأن البلاغ سيحول إلى قسم الخليفة وبعد يومين ذهبنا إلى القسم ونودى على زوجة الغائب فدخلت الى المأمور وبقيت أنا واقفاً على باب غرفة المأمور وأخيراً بعد عشرين يوماً حضر الغائب من تلقاء نفسه وكان سروراً عاماً ببقائه وتضاءلت أنباء الخيبة في ظلال أنباء العودة .

كان عوفى صانع الاحذية يذهب بمفرده لشراء الجلود من الموسكى والدرب الأحمر وكنت أنحاشى مرافقته لأنى إذا أردت أن أسير فى الشوارع كنت أفضل السير وحيداً بـلا رفيق ولما كان لا بد من عذر يبدى له عن تخلفى عن مرافقته عند ما يذهب لهذا الغرض كنت أظهر له أنى على ثقة به وأن البركة فيه لأنه أعرف منى فى اختيار أنواع الجلود . وفى هذا الشهر تأكدت

أن المحل يخسر ولا يكسب وأن ذلك ناتج من عدم أمانة عوفى فتجاهلت الأمر وأغضيت الطرف عن ذلك لأن عدم أمانته كانت مفروضة عندي من بادىء الأمر وخسارة المحل أنضل عندي من مرافقته إلى جهات العتبة والموسكى وغشيان محال التجارة كثيراً ولو لم أشارك معه في تجارته لعمدت إلى القهوات أتقل عليها بعض النهار وهذا يتطلب صرف النقود يومياً وهو نوع من أنواع الخسارة . ولو لم يكن فى الأمر سوى ظهورى أمام الناس كصاحب محل أحذية لكفانى ذلك عوضاً وبديلاً عما أخسره .

— [المذكرة الرابعة والثلاثون] —

يونيو عام ١٩٢٢

كانت وزارة عبد الخالق باشا ثروت قابضة على زمام الحكم وكانت الأحكام العرفية لا تزال مبسوطة على البلاد وكان الرعايا البريطانيون هدفاً للطلقات النارية تصيبهم على حين غرة فى أنحاء العاصمة بين آن وآخر . وكلما حدثت حادثة من هذا القبيل قامت السلطات بحصار منيع للحى الذى حدثت به وألقت القبض على المارة جزافاً يفتشونهم ويحققون فى شخصيتهم ولم تكن الحوادث تقتصر على جهات معينة بل تتعاقب على شتى الأنحاء وقد خولت السلطة العسكرية للبولىس أن يقوم بتفتيش المارة فى الطرق لأقل شبهة وفى أى وقت وبالاختصار أصبح كل سائر فى القاهرة معرضاً لاستيقافه وتفتيشه وأصبح خروجى نهارة من جراء ما تقدم أمراً غير

مرغوب فيه وقد قللت منه إلى آخر حد مستطاع ولكن أقارب زوجتى لا ينفكون يخرجون مركزى بطلب خروجى معهم مرارا لقضاء حوائجهم فى جهات نائية فكان ذلك وما أضيف إليه من ظروف سيئة طرأت فى هذا الشهر عاملا يزهدينى فى الإقامة بالقاهرة وكان من هذه الظروف أننى علمت أن الحكمة بدأت تقيد أسماء أهالى الوجه القبلى المقيمين بالقاهرة وتتعرف حقيقة شخصيتهم ومم يتكسبون وقد أخبرنى أهل الزوجة أن البوليس مر على محال تجارتهم وكتب أسماءهم واحدا واحدا وقد رووا لى ذلك على اعتبار أننى من أهالى الوجه القبلى وأن هذا الخبر يهمنى وأن دورى سياتى إما عاجلا وإما آجلا . ومن ذلك أيضا أن نقودى أوشكت على النفاد ورأيت شبح الأزمة المالية الخائفة تقترب منى رويدا رويدا وأصبح لزاماً علىّ أن أشتغل بتجارة رابحة أو ألحق بامى عمل فى أى محل ولكن القاهرة لم تعد بعد إذ رأيت مارأيت ميدانا تتهيا لمثلئ فى حرية العمل ولا مندوحة لى من تركها والانتقال إلى أقصى الصعيد وكان العزم على تنفيذ هذه الفكرة يخنم فى غضون هذا الشهر شيئا فشيئا وكان المقيمون معى يزودونى بأخبار حوادث تفتيش المارة التى تقع فى القاهرة دون أن يدور بخلد هم مانسيكون لهذه الأخبار من الأثر فى نفسى أو أنها بعينها ستكون من أهم الأسباب المباشرة لحادث خطير يقع لهم يكدر صفوهم ويفقد بنتهم زوجها على غير رغبة منى أو منهم .

(المذكرة الخامسة والثلاثون)

يوليو عام ١٩٢٢

لقد استقر الرأي على ترك القاهرة بأية حال من الأحوال وهنا شغلت باختيار الجهة التي أقصد إليها وتكون أكثر صلاحية لى من غيرها فكان الوجه القبلى أفضل لى من الوجه البحرى حيث أكون مجهولا فى الأول أكثر مما أكون فى الثانى ولما كنت فى مدى الثلاث السنوات الماضية أطيل النظر عند قراءة الجرائد فلا أترك الجريدة حتى آتى على آخر حرف بها كنت على علم تام بأخبار الموظفين وتنقلاتهم من جهة إلى أخرى وكانت أسبوط هى إحدى البلاد التى لم تقع عيني على اسم موظف يعرفنى سواء أكان مقيما بها أو منقولا إليها وبما أنها أيضاً أكبر بلاد الوجه القبلى فأصبح من الراجح أن تكون لى بلداً آمناً إذا هاجرت إليها.

بقى إذن تدير داخليتى وهنا تقف أمام نظرى مشكلة كبرى وهى زوجتى ماذا يحل بها؟ وكيف أقطع صلتى بها؟ أو كيف آخذها معى بالقطار وسيصحها لاحالة بعض أقاربها مع أن اختيار مرحلة السفر من القاهرة إلى أسبوط سيكون من المخاطر التى يعمل لها ترتيب خاص وهذا فى حالة أن أكون فردا واحدا فكيف الأمر إذا كانت معى أسرة تحمى من حريقى فى الانتقال السريع والنزول إلى المحطات التى ليست فى برنامج السفر إذا اقتضت الحال ، وأرعاها أنا وأسهر على راحتها ، إن هذا ليس فى مقدورى مطلقاً ، وليس من مصلحة أحد الطرفين فى شىء ، ولا بد من التأهب للسفر على شريطة أن أكون وحيدا كى أتقى طوارىء الطريق التى ليست فى الحسبان ،

وأكون حر التصرف في البلدة التي أهبط فيها ولا أزال أجهل ماسيكون من أمرى فيها.

ويمكن تلخيص الموقف لحضرات القراء في الكلمات الآتية :

أولاً — ليس من المصلحة أن أطلب إليهم أن تسافر زوجتي معي إلى أية جهة أخرى ، لأننى على يقين أن مثل هذا الطلب سيدبش عن دفائن استظل مقبورة طالما أنا مقيم معهم بمنزل واحد . أما إذا عرفوا أن ابنتهم ستبتعد عنهم فستطرح مسألتى كلها على بساط البحث وتهال على الأسئلة بصدد أقاربنى وينتدبون منهم من يرافقنى إلى حيث أقصد ، وهذا فضلاً عن صعوبة تنفيذ نقلها معى بالقطار كما ذكرت .

ثانياً — إذا أخبرتهم أننى مسافر إلى بلدى بمفردى على أن أعود بعد مدة معينة ، هم أخذت ملابسى وكتبى أسرع الشك إلى نفوسهم واضطروا إلى إرسال أحد منهم معى بأية حجة كانت كعرفة منزلى والتعرف بأقاربنى .

ثالثاً — إذا أقدمت على طلاق زوجتى بغير سبب فذلك موطن الخطر الأكبر ، ولا أقل من أن يتألبوا علىّ وينهالوا علىّ ضرباً يضع حياتى فى خطر ، وأنا العليم بكثرتهم وحب أقاربهم للشاجرات ، حتى ليرتعد من أذاهم بعض الساكنين فى جهات كثيرة بالقاهرة ، وربما ينتهى الأمر بتدخل البوليس فالمحاكم .

رابعاً — إذا اختفيت عن أعينهم فجأة بغير أن آخذ شيئاً من ملابسى ، كأن أخرج من المنزل فلا أعود إليهم ، فلن يذهب بهم الظن إلى أن ذلك هروب لعدم وجود ما يبرر هذا العمل فى نظرهم ولصفاء الجو بينى وبينهم صفاء تاماً ، وإنما سيعتقدون أن هناك نازلة نزلت بى فى أثناء الطريق وسيهرعون إلى إخطار البوليس ، وأنا لا أضمن نتائج هذا الاخطار ، فقد يقصون كل ما يعلونه عنى ، وقد يتنبه أحد الضباط بفضل ما فى أجوبتهم

من نقص وقصور إلى أنى شخص تحوم حول تصرفاته بعض الشكوك خصوصاً إذا استدعى أحداً من سكان الحارة التى كنت ساكناً بها فى أول الأمر وعلم منه أننى صرفت حيناً من الدهر لم أكن أبرح فيه منزلى قط ، وعلى ذلك ينشط البوليس للبحث عنى على ضوء معلوماته الجديدة .

خامساً - لو رسمت خطة أستطيع بمقتضاها أن آخذ ملابسى وأوراقى وأسافر بغير أن يرافقنى أحد منهم وبغير أن أجعل سفرى محفوفاً بالشكوك بل محوطاً بالأمال الزاهرة والأمانى الخلافة لهم جميعاً ، وفوق ذلك لا يكون متصنعاً ولا نائياً عن ظروفه بل أخلق لهم ظروفأ سابقة تجعله فيما بعد جارياً مع طبيعة ظروفه وأمرأ لزماً تفرضه الأحوال التى يخيل إليهم أنهم على علم تام بدخائلها ، فانهم فى هذه الحالة عند ما تطول غيبتى لا يسارعون إلى تبليغ البوليس بل يغل الأمل أيديهم ويستدرجهم الرجاء إلى التسوية عسى أن أحضر من تلقاء نفسى ، كما غاب قريتهم محمد حسن من قبل ، ثم حضر من تلقاء نفسه ، وهذا الخيال يجعلهم يخشون بأش اللوم الذى يلحقهم من رحل سيدفتحهم بخيراتهم إذا ما عاد إليهم يوماً من الأيام ، كما يعتقدون ، وهكذا مستأجل قراراتهم ويكر الشهر تلو الشهر وهم فى سكرة الأمل يترنحون ، ثم ينتهى بهم الرأى إلى اليأس والاختلافات الكبيرة كما أعده فى طباعهم متى كان الشئ لا يمس عصبيتهم ، وتكون النتيجة على ذلك أنى أنجو من شرهم . أما بنتهم فأمامهم أن يلجئوا بشأنها فى النهاية إلى المحاكم الشرعية ويرفعوا أمرها إليها لتطلق على يدها طبقاً للقانون الأخير الذى صدر قبل هذا الشهر وعرفه الخاص والعام ، وهو يبيع للقاضى الشرعى تطليق من غاب زوجها عنها غيبة منقطعة . وإذا بدا لهم أن يبحثوا عنى بأنفسهم فسيسافرون إلى الفيوم أو بنى سويف ، ومهما فكروا فى السفر إلى أية جهة من جهات القطر للبحث فيها فلن يفكروا فى أسبوط مطلقاً ، لأنهم يعرفون أننى أعلم أن هذه هى بلادهم وأنه ليس من المعقول أن أذهب إلى بلادهم نفسها بل إلى

غيرها ، ثم إن لوني ولغتي سيؤكدان لهم أنني لست من جهات أسيوط ، إذا احتسدم الجدل بينهم على تلك النقطة . أما وجودهم في أسيوط على سبيل المصادفات فذلك أبعد الظن لأنني عرفت من كلامهم عن أنفسهم أنهم حينما يذهبون إلى البدارى لا ينزلون في محطة أسيوط ، بل يواصلون السفر إلى أبى تيج ، وهى محطة النزول للمسافرين إلى البدارى ، ومع مرورهم على أسيوط فإن أغلبهم لم ينزل إليها طول حياته .

وبهذه الكيفية نثرت أمام نظرى كل الفروض والم احتملات والحلول العملية فاقنعت بآن الرأى الخامس هو أصلحها لحالتي فسرت فى خطوات تنفيذه كالآتى :

كان أقارب الزوجة الساكنون معى بالمنزل كثرى العدد وكنت أنا الوحيد بينهم الذى لا أمت إليهم بصلة القرابة تلك الصلة التى لا تزال لها لدى سكان الوجه القبلى على وجه خاص العصية الكبرى فوق كل شىء آخر وإزاء أى فرد آخر وقد يتشاجرون ويتخاصمون ويكره أحدهم الآخر ولكن ذلك كله يعتبرونه مسألة داخلية سرعان ما تختفى غالباً إذا دعاهم داعى التضامن ضد من لا يمت إليهم بصلة الرحم أو صلة البلد وهكذا كنت فى وسطهم الغريب الذى لا يولونه ثقة ومكانة إلا من ناحية ما يعتقدون فيه من الغنى وبقدر ما أخذهم بالأحاديث أسوقها تشويقاً وتأكيذاً لآمال المستقبل أو أقصاها على الجيران فى الخارج فتصل إليهم على سبيل أنها أقوال الناس وأقوال الناس لدى العامة هى الحججة الدامغة والبرهان الاوفر وهكذا جرياً على عاداتهم كان كل ما يتعلق بى يبدون فيه رأياً ولا يكون هذا الرأى إلا واحداً لا يختلفون فيه . بخلاف ما لو كان الأمر يتعلق بهم أو بأقاربهم فيذهبون فيه مذاهب شتى وكانت بينهم امرأة عجوز هى جدة زوجتى لأمها وكانت هذه كثيرة الكلام وكثيرة بث الظنون والمخاوف فى الأذهان وبذلك كان من الثابت المؤكد عندى أنني لا أستطيع أن أنفذ رغباتى إلا

إذا انقسم هؤلاء السكان الأقارب إلى فريقين وسكن كل فريق في منزل بعيد عن الآخر وانقطعت ما بينهما من الصلات ولو إلى وقت ما ريثما تتم رغباتي وأفلت من أيديهم جميعاً بحالة مرضية لا تلحق بي أذى عاجلاً أو أجلاً . أما طالما كانوا يقيمون مجتمعين بمسكن واحد وعددهم يربو على العشرة فأبداً فكرة أبدئها فجميعهم يتصدون لها بالنقد والتحليل . ولا أستطيع الفوز على عشرة مجتمعين ، ولكن أستطيع الفوز عليهم لو كانوا أقل من ذلك عدداً وكانوا متخاصمين . وقد كان سبيل تفرقتهم مهاداً أمامي عن طريق أطفالهم فقد كان لكل منهم أولاد ، وكان الأولاد يتضاربون في أكثر الأحيان ، وكان تضاربهم هذا يزوج بالكبار إلى الشجار فالخصومة فالصلح بعد حين . فتضارب الأولاد إذن هو الظرف الذي لو أحسنت استخدامه لأمكنني الانتقال إلى منزل آخر ومعى بعضهم لا غير . وعلى ذلك انتظرت إلى أن غلى رجل الشقاق في يوم من الأيام بسبب تشاتم الأولاد ورأيت على وجه محمد حسن أمارات الغيظ الشديد فلم أفل من حدة غضبه كما كان موقفي في كل مرة بل همست في أذنه أن انتقالي وإياه إلى منزل آخر بعيد عنهم هو الحل الوحيد لقطع دابر هذا الشقاق وإراحة النفوس والأدمغة من التعب الذي تلاقيه بين آن وآخر وهكذا كان فانه تكلم مع زوجته واستقر رأيهما على هذا الحل ثم طلب إلي أن أبحث لهما عن المنزل المناسب فأبيت إلا أن يرافقني في كل مرة . وإلا أن يكون هذا الانتقال طوع رغبتة وطبق مرامه تماماً فكان يحضر يومياً ونخرج معاً للبحث وكنت في أثناء البحث أرى منه أحياناً تخلخلاً في عزمه وتردداً في إتمام الأمر فأعمل على تثبيت عزمه بسرد مزايا الاقتصار والبعد عن كثرة الأولاد الذين هم مصدر مشاكل لا تنقطع وأخيراً اهتدينا إلى شقة مناسبة بمنزل بحارة حلوات رقم ١ بالقرب من شارع سوق السلاح فكتبنا الايجارة باسمي وقد نقلت إلى المنزل الجديد في منتصف هذا الشهر وكذا انتقل معي محمد حسن وزوجته ورمضان علام

وزوجته وتركنا باقى أفراد الأسرة مع قريبهم بيومى حنفى جمعه فى منزله الذى يمتلكه وبعد إتمام هذا الانقسام لم أشأ أن أتبع هذه الخطوة بخطوة أخرى تتلوها مباشرة بل رأيت أن أمهل وأنتظر أياماً أخرى حتى تنسى هذه الحكاية قليلاً وكانت الخطوة الأخرى التى أضمرتها فى نفسى هى أن أدخل فى روعهم جميعاً أنى منصرف تمام الانصراف عن فكرة السفر إلى أهلى بالفيوم وموطد العزم على الاشتغال بالتجارة بالقاهرة وعند ما آنس منهم اعتقاداً راسخاً بهذا المظهر الجديد تظهر فجأة حكاية اضطرارى إلى السفر على النمط الذى سأفصله فيما بعد وعلى ذلك بدأت بعد أسبوع أتحدث إليهم عن ميلى إلى الاشتغال بالتجارة وفتح دكان قريب من المنزل وقلت لهم أبى رأيت الشارع القريب منا فى حركة تجارية جيدة ولما كانوا يتمنون من أعماق نفوسهم أن يروا لى عملاً معيناً ، ورأس مال مقيداً ، رأيت منهم كل تعاضيد لهذه الفكرة ، وراحوا يستبشرون بالخير ويحثوننى على انتهاز هذه السبيل خصوصاً عند ما ورد على لسانى أنى سأجعل رمضان عام يشتغل معى فى المحل على الدوام ، وكان رمضان يشتغل فى محال كثيرة وإنما لا يطول به المطال فى محل معين ، وقد ملوا كثرة انتقاله فى عمله من محل إلى آخر . وبدأ الحديث يدور كل مساء على محور هذا العزم وعلى أى السلع أفضل من الأخرى تجارة وأدر رجحاً وكان رمضان عام يحبذ تجارة الفسيخ ويقول إنه على دراية كبيرة بها وكنت أحبذ تجارة العطارة إلى أن قالوا : أنت وما تراه ، وكان رمضان يخرج معى فى بعض الأوقات لفحص حالة الشوارع المحيطة بنا توطئة لاختيار الدكان المناسب ، وكان يلوح على أنى منهمك فى التفكير فى هذا الأمر إلى النهاية التى ليس بعدها نهاية وكنت أعلل التأخر فى التنفيذ بأننى أطمع فى العثور على دكان أحسن مما رأيت وكانوا فى كل ليلة يأتوننى بأخبار الدكاكين الخالية للإيجار وكنت مصمماً على أن أمضى باقى أيام الشهر فى مجرد الكلام بغير فعل حتى إذا

ما أقبل الشهر التالى وقد تم يقينهم بأننى حقاً فى شغل شاغل بهذا العزم ورأيت ذلك منهم رأى العين بدأت فى مباغتتهم بالخطوة التالية التى أضمرها. ولكن حدث لى فى مساء ٢٧ من الشهر حادثة لم تكن فى الحسبان وكانت من الخطورة بحيث دفعتنى إلى الاسراع فى تنفيذ الخطوات المقررة فى ذهنى وهذه الحادثة هى كالاتى :

غادرت المنزل بعد أن خيم الظلام لابساً طاقية قطيفة خضراء ومعطفاً من التيل الأبيض متوسطاً فى القدم ، وتبدو على هيئة العامة سيما العمال أو التجار كما هو الحال فى كثير من أوقات خروجى . ثم ركبت الترام المتجه من القلعة نحو العتبة الخضراء واخترت مجلسى عند المقعد الخلفى الذى يتجه نظر الراكب عليه صوب الشارع عكس مسار الترام ، كما هى عادتى عند ركوب الترام ، ثم سار الترام يتهادى ويشد فى انطلاقه حتى تخطى عدة محطات وانتهى إلى محطة باب الخلق ، وما كاد يستقر فى وقوفه حتى أطبق على بحسبه شاب يناهز الثلاثين من العمر أسمر اللون قصير القامة قوى العضلات وحملق فى وجهى ثم عبس وبسر وارتمى بكتفاه يديه يقبض على حديدتى الترام وقفز فاذا به جالس عن يمينى أشد شئ التصاقاً بى ، ثم مال بحسبه مسدداً نظراته إلى وجهى وواضعا مرفقه على خشبة الحاجز ، وسألتى بلوعة المغيظ الحاقق ، وعلى وجهه إشراق الظافر الشامت فقال إلى أين أنت ذاهب ؟ فأشرت يدي بغير اكتراث إشارة مبهمه نحو العتبة الخضراء وقلت (هنا) .

ولا تسال عن ضميرى وقتئذ أىها القارىء فقد ملئت يقيناً عند النظرة الأولى إليه وهو يحملق فى وجهى ويختطفنى ببصره اختطاف القانص لقيصته أن هذا هو الجاسوس الماهر الذى عرفنى حق المعرفة ، وأن اليوم هو خاتمة الاختفاء ومررت برهة سكنت كلانا فى أنفائهما . أما ذهنى فشدد رحاله إلى أجواز السماء ثم إلى طباق الأرض يناشد الالهام وفى لمح البصر رأيت أننى لو طفقت جالسا إلى العتبة فهناك قسم الموسكى وجهرة البوليس السرى والعلى والافلات من

هؤلاء ضرب من الصعوبة بمكان فليس أمامي إذن سوى النزول في أول محطة يقف عندها الترام وبذلك تطول مسافة السير إلى القسم وتحشد الجماهير وأرقب الظروف وليكن الأمل رائدى إلى آخر لحظة. ووقف الترام فهممت بالوقوف بابطاء زائد دون أن ألقى إليه بالاً أو أعيره التفاتاً متجاهلاً كل شيء متجاهلاً تماماً ونزلت إلى الأرض النزول الطبيعى ، ولكن قدمه كانت أسبق من قدمي نحو الأرض، وفي الحال قبض على ذراعى بيد من حديد وقال قف! وتحرك الترام فظهر من خلفه شاويش واقفاً يحرس الطريق فنادى الرجل بأعلى صوته قائلاً إمسك هذا يا شاويش !.. فأسرع الشاويش الخطى نحو الصوت ولكنى زعقت في وجه الرجل بأعلى صوتى مغنفاً وقلت (مالك عاوز إيه) فقال يا شاويش هذا الشخص شق جيبى ليلة أمس بمطواة وسرق منه ورقة بخمسة جنيهات وما أن قال ذلك حتى أدركت فى الحال سر الحكاية وحقيقة الموقف ولا تسأل أيها القارئ عما غمرنى من السرور إذ عرفت أنه شخص مسروق يبحث عن سارقه فالتبس عليه الأمر وضل عن الصواب .

وناهيك بقوة قلب البرى فقد دفع ذلك لسانى إلى النطق السديد واجتمعت لى أسباب الجراءة والتهويز وقلت هازناً : سرقة !! .. (اخرس إوعه تسكلم) أنا من أعيان قسم الخليفة ، وأعيان الجهة كلهم يعرفوننى ، والقسم ذاته يعرفنى ، وإذا أردت أن تتحقق من ذلك فاركب معى عربة وتعال هناك لتعرف عائلتى .. وهكذا انطلق لسانى بشدة وبسرعة فى إيراد الاخبار التى لا تستند إلى حقيقة ولا أعرف كيف خرجت ، ولكنه الموقف ! الموقف الغريب !! الذى إن أنقذت منه من تهمة السرقة فلا أنسى أتى المحتفى الذى تبحث عنه كل القوات وأتى واقف بين يدي عسكرى يحفره آخر للقبض على ليرسلنى إلى القسم وأن مئات الناس قد احتشدوا بسرعة البرق وأنى أصبحت محط أنظار الجميع والهدف الذى يتقاتل الناس بالآ كتاف كى يفوزوا برؤيته وقد كنت إلى هذه اللحظة حين أسير فى الطريق ألود من هذا بذاك . فالموقف

الذى يقصر القلم دون وصفه ، وبطلان التهمة جعلانى أفدأ بالرأى تلو
الرأى دون لجلجة ولا لعثمة ولا اختصار وبلهجة المتكبر الذى لا يستعطف
الشيء الذى حدا بالعسكرى أن يتردد فى القبض على حار فى أمره فوجه
كلامه إلى الرجل وقال: كيف أخذ إلى القسم شخصاً لم أضبطه متلبساً بجريمة
وليس لديك أدلة على ماتدعى ؟ فقال الرجل : إنه كان بالأمس لا بساطر بوشا
وعمل ماعمل فضربت الكف على الكف ساخراً وقلت : أنا شيخ ، ولم
ألبس طربوشاً طوال حياتى ، وكل جهتي تعرف ذلك أكيداً واسمى الشيخ
سليمان . وصناعتي تاجر أحذية بدرب الحصر . فقال له العسكرى وما هو
غرضك من إرساله إلى القسم فقال : ليفتشوه فقلت : إذا كنت تريد تفتيشي
فها أنا ذا على أتم استعداد وأدرت يبصرى فرأيت بالقرب منا حانة مكتوباً
عليها (بار العنب) فقلت : تعالوا هنا وفتشوني فدخلنا جميعاً إلى الحانة ، وفي
أثناء هذه المأساة كان كثيرون من أفراد البوليس السرى قد اجتمعوا حولنا
وافدين علينا من الشارع المكتظ بهم ، وتزاحم الناس بالمناكب على باب
الحانة فوقف بعض أفراد البوليس على الباب يمنعون الناس من الدخول بعد
أن دخل كثير منهم وبقى بعض أفراد البوليس السرى من الداخل لمعاونة
العسكرى . وفي الحال أخرجت مافي جيبى من النقود وكان عددها ١٦ جنياً
فأعطاها العسكرى إلى أحد أفراد البوليس السرى وطلب إليه أن يعدها فقال
الآخر كم عددها قبل أن أعدها فقلت ١٦ جنياً فعدّها معاً ووجدناها
كذلك وكان بينها ورقة بخمسة جنيات فأخرجها البوليس السرى وأراها
للرجل وقال له : هل هذه هي ورقتك ؟ فقال كلا ، ورقتي جديدة ، أما هذه
فقديمة . فقال إذن فالشيخ برى . ويظهر أن الرجل كان قد عادت إليه ذاكرته
شيئاً فشيئاً واتضح له خطؤه ، وفي لمح البصر اختفى عن الأعين فاقترب مني
صاحب الحان يستفهم عن تفصيل الخبر فرويته له فقال : (هل أنت عبيط)
كان من الواجب عليك أن تمسك به وترسله إلى القسم وتطلب رد شرفك

منه وكلنا معك شهود . ثم قال لى العسكرى لو كنت طلبت منى أخذه إلى القسم لما تأخرت والله عن ذلك . فقلت بلمجة المشفق . يكفيه ما أصابه من الحزى أمام الناس وهو مسكين ، أما رأيتموه كالمجنون من أجل ضياع خمسة جنّيات فمنه لله فقال الخواجا صاحب الحان . لا . أنت والله رجل طيب وقال العسكرى إنت والله رجل طيب .. ثم وضعت نقودى فى جيبى وحذرنى البوليس السرى بقوله (إوعه لفلوسك) ثم سرت بين صفوف الناس وأنا أتلقى التشجيع والتحيات من الجميع بقولهم لى أنت والله رجل طيب وهكذا إلى أن غبت عن الأنظار ولما كان حشد مثل هذا لا يخلو من النشالين فقد أسرع أشخاص بالسير معى يظهرون لى الاخلاص الكامل ويقولون لى إنهم كانوا على استعداد تام للشهادة ضد هذا الرجل الذى جعلنى (فرجة) للناس ولما لاحظت عليهم أنهم أطالوا السير معى بلا مبرر رجحت أنهم من النشالين الذين أطمعهم عليهم فى أثناء تفتيشى بوجود نقود فى جيبى فسرت حثيثاً ، وعلى ذلك أخذ عددهم يتناقض رويداً رويداً ماعدا واحداً فقد أعتنى الحيل فى الخلاص منه ، وما زال معى يقص على من أنبائه عجبا حتى رأيت مسجد الرويعى الواقع خلف الخازندار أمامى فاستأذنت ودخلت المسجد وصليت العشاء ومكثت به حتى لم يبق به أحد سوى ثم خرجت فلم أجد أحداً فعدت إلى المنزل سائراً على قدمى وكان هذا الحادث هو القرار النهائى لتركى القاهرة بأسرع وقت ممكن *

* هذا الشخص الذى قابلنى فى يوليو من عام ١٩٢٢ وكان يبحث عن سارقه لم أنصرف بعرفة اسمه إلى الآن وأرجو منه فى حالة مطالعته لكتابى هذا أن يبادر بالكتابة لى عن حقيقة شخصيته فانى فى شوق لى لقائه والتحدث إليه ولا زالت صورته عالقة بذهنى ولا يظن أنى متكدر منه بسبب حادثته وتصرفه معى فلا كدر ولا استياء وأنا أسر الآن ببقاء كل من كانت له بنى فى زمن اختفائى علاقة لأى ظرف كان ففى لقائه متعة وبلقائه حديث طريف

== (المذكرة السادسة والثلاثون) ==

اغسطس عام ١٩٢٢

بعد حادثة ٢٧ يوليو زال كل تردد في التمثل في تنفيذ الخطة المقررة في ذهني ونشطت إلى الاسراع ما استطعت لهجر القاهرة فعزمت على البقاء مع الأسرة ريثما يحل أول أغسطس وأدفع حصتي في إيجار المنزل وعندئذ أشرع في تنفيذ ما عولت عليه ومضت الأيام يشبه بعضها بعضا مليئة بالكلام الكثير حول موضوع التجارة و يتخللها خروجي مع رمضان بين آن وآخر لرؤية الدكاكين الخالية واستصحبتة مرة إلى أحد النجارين لأخذ الرأي في تكاليف أخشاب المحال الجديدة وبذلك خيل إليهم أن تنفيذ الأمر أصبح قاب قوسين أو أدنى وساد في الأذهان أن كل ما يشغل فكري صباح مساء هو الاندماج في سلك تجار القاهرة وفي يوم أول أغسطس دفعنا إيجار المنزل وفي اليوم الثاني كتبت خطابا خارج المنزل وضمنته أن ابن عمي الموجود بالفيوم يخبرني أن والدي طريح الفراش بين أنينا شديدا وأنه يلهج بذكرى بين حين وآخر وأن ابن عمي هذا يتوسل إليّ توسلا حارا بأن أعود إلى والدي على جناح السرعة و يبلغني فيه وعد والدي الأكيد بتنفيذ كل طلباتي ورغباتي المعروفة لدى الجميع على الفور . وفي ذيل الخطاب يذكر فيه مرسله أنه زار المريض اليوم فوجد حالته سيئة للغاية وأنه ليس من المصلحة أن يموت الوالد في غيبة ابنه ثم سطرت على الظرف عنواني بدرب حلوات بسوق السلاح وألقيته بصندوق البريد ، وفي اليوم الثاني خرجت من المنزل مبكرا وتعمدت التأخير إلى الظهر ولدى حضوري تصاعدت نداءات سريعة

أن قد وصل خطاب باسمك فأسرعت وفضضت غلافه وقرأته صامتا وفي الحال بدت علامات الكدر على وجهي وسكت لا أنبس بينت شفة ولكنهم سألوا عن سبب الكدر وألحفوا في السؤال وأخيرا قرأته على مسمع منهم فظاهروا بالأسف الشديد وتوسلوا إلى الله بأن يمن عليه بالشفاء وعلى بالطمأنينة وزوال المكروه وقد أمضيت باقي النهار لا آكل ولا أتكلم إلا قليلا وتعددت اجتماعاتهم فيما بينهم وقد أخذوا بالحيلة لسبيين هما :

أول — لأنهم على علم قديم بالحكاية المشهورة التي تروى أنني وحيد والدي وأنتى تركته في بلده لخصام قام على أثر وفاة والدي وزواجه بأخرى إلى آخر ما هو مدون في فاتحة المذكرات .

ثانيا — ليقينهم أنني لم أكن في الأيام الأخيرة أفكر في والدي على الإطلاق بل كنت منصرفا بمجزئاتي وكلياتي إلى مسألة افتتاح محل تجاري جديد بالقاهرة وعلى ذلك لا يكون خبر مرض والدي إلا خبراً مبالغاً لم يكن يطرأ على بال أحد وأنه الحقيقة الخالصة . وأنه قطع على سبيل التفكير فيما كنت أرغب فيه رغبة صادقة وأوقعني في الحيرة والارتباك .

ولهذين السبيين خيل إليهم أن والدي قد قربت منيته وأنتى سارته وعندئذ يتصل بهم أثر الغنى والنعمة وينتقلون من حال إلى حال . وحضر محمد حسن ليلتشد إلى منزله فأمضوا معه فترة من الزمن يستعرضون فيها بعض الحوادث القريبة والبعيدة وعلى أثرها قابلني وأظهر لي أسفه وكدره . ونمت تلك الليلة مبكراً وأخبرتهم أنني في حيرة من أمري وفي الصباح أخبرتهم أن فكرة أخرى قد خطرت على بالي : وذلك أن ابن عمي هذا الذي أرسل إلى الخطاب كثيراً ما يسعى جهده للتوفيق بيني وبين والدي وأخشى أن يكون خطابه هذا الذي أرسله إلى هو من هذا القبيل ليضطرني إلى السفر وعندئذ يهدون الطريق للصالح الذي لا أخرج منه إلا بصفقة المغبون فلكي أزداد وثوقاً من صحة الخبر قلت إنني عزمتم على أن أحرر خطاباً لابن عم لي آخر أستعلم منه

عن جليلة الأمر وأستحلفه بالله أن يصدقني الخبر فإذا أفادني هو أيضاً بخطورة الحالة فلا مناص إذن من السفر حرصاً على أمواله (وكمبالاته) من الضياع .
 أما إذا كان الخبر سابقاً لا وانه فلا حاجة الآن إلى السفر السريع فوافق الجميع على ذلك . ويقتني أنهم تمنوا أن يكون الخبر حقيقياً وأن يكون موته عاجلاً وأن محمد حسن أوصاهم باخفاء فرحهم وإبداء كدرهم مع القيام بتنفيذ رغباتي كافة استبقاءً لأوامر الود والرضا . وبناء على ذلك أرسلت ابن محمد حسن وهو ولد صغير بالمدارس الأولية اسمه حسن محمد حسن ليشتري طابع بريد وورق خطاب ولما حضر انتحيت جانبا وكتبت خطاباً ثم كتبت على الظرف ما يأتي : —

(إلى الشيخ علي سليمان التاجر بشارع المحطة بالفيوم) وأعطيته إلى حسن هذا ليلقي به في صندوق البريد وأنا واثق أنه سيقراً العنوان وسيفيد أهله بالاسم وأنهم حالما يجدون اللقبين واحداً سيعت ذلك فيهم ثقة واطمئناناً أما البوستة فستصرف في شأن الخطاب كما تتصرف عادة في الخطابات التي لا يعلم مقر أصحابها أي أنها ستمزقه بمعرفتها بعد وقت معين . وبدخولنا في هذا الطور الجديد من الأحوال المباحثة أوقف الكلام الدائر حول التجارة وفتح الدكان الجديد بالقاهرة . واستمر مظهرى يدين للسكون والكتابة في داخل المنزل وخارجه وذهبت إلى عوني صانع الأحذية وأفضيت إليه بخطورة الحالة الصحية عند والدي واقترحت عليه شراء أدوات المحل ثانية وعلى ذلك قدرنا ما به بأربعة جنيهات وأخذتها منه وتنازلت له عن حقوق في دكانه . وفي يوم ٧ أغسطس كتبت خطاباً مديلاً بامضاء علي سليمان ذكرت فيه أن والدي قد ألحت عليه الأمراض وأن جميع الأقارب يناشدوني العودة سريعاً خشية وفاته ثم ألقيت به في صندوق البريد بعد كتابة عنواني على الظرف . وفي صباح ٨ منه بينما كنا جالسين نذكر الحوادث أبدت لهم رأيي في تأخر الرد لهذا الوقت وأفدتهم بأن ذلك دليل على أن الوالد في

صحة جيدة ، ولم يطل الوقت حتى وصل الساعى ويده الخطاب فقلوته على مسمع منهم فساد سكون رهيب ومع ان الموقف تمثيل فقد أسليت نفسى إليه فظهرت علامات الكدر الشديد على محياى وقلت على الفور لا بد من السفر غداً . ونهضت أبحث عن ملابسى فأخذوا بعضها ليغسلوها سريعاً وذهبت فأحضرت سلتين كبيرتين لوضع الملابس والكتب فيهما وفي الصباح التالى استيقظ محمد حسن من نومه مبكراً وحزم عفشى فى السلتين وربطهما جيداً وجلس يتحدث معى ففهم منى أننى سأذهب أولاً إلى أحد أقاربى بالواسطى لاستعارة ملابس جديدة للبسها قبل التوجه الى الفيوم حيث أن ملابسى لا تلائم مركزى اذا كنت هناك وأنه لو كنت اعلم أن القدر سيسوقنى إلى الفيوم بمثل هذه السرعة لكنت فصلت لى ملابس جديدة منذ أمد بعيد فما كاد الرجل يسمع ذلك منى حتى ذهب فوراً إلى غرفته وعاد يحمل يديه جبة وقفطانا جديدين وأقسم على مغلظا فى إيمانه لألبسهما إلى حين العودة ، وقد لقيت صعوبة كبرى فى رد هذا العرض حتى قبل أن يعيدهما ثانية إلى غرفته ، أيت شعرى هل هناك دليل أقوى من ذلك على شدة اقتناعهم جميعاً بصحة أقوالى ! لقد أثلج ذلك صدرى وزاد من طمأنينتى وذهب محمد حسن إلى حيث يشتغل واعدنا بالحضور لمرافقتى إلى المحطة .

وفى الساعة الثالثة مساء عاد محمد حسن إلى المنزل وبقدمه دقت ساعة الوداع ، ويلوح لى أنهم أوصوا الزوجة بالبكاء والنحيب فاكفهرت الوجوه وكانت لحظة عصيبة ..! وشددنا رحالنا بين الأسى والعبرات إلى حيث موقف الترام وبعد قليل وصلنا إلى العتبة الخضراء فنزلنا وركبنا تراماً آخر إلى المحطة وهناك أخذ محمد حسن العفش وانتظرنى على باب الدخول الى الوجه القبلى حتى اشتريت تذكرة إلى الواسطى ثم دخلنا واستقللت القطار وظل رفيقى واقفاً على النافذة من الخارج وأنا أقص عليه من الانباء كثيراً وأخذ رأييه فيما هو مناسب من أنواع الهدايا التى آخذها معى من الواسطى إلى الفيوم والمج

له من طرف خفي بأنه هو الذي سيكون عضدى فى حالة مالو قدر الله ووافته
والذى منيته . وبعد مدة ليست قصيرة تحرك القطار وهو يذكرنى ويعيد
تذكيرى بعدم التأخير فى إرسال الخطابات إليهم للأطمئنان وأنا أؤكد له
حصول ذلك على أثر وصولى إلى الواسطى وأن ذلك سيكون فى الغد ثم
ودعته وداعا حارا .

وفى أثناء سير القطار لم يحدث شئ سوى أن شخصا والى مروره من
أمامى ذهابا وجيئة مرات عدة وكان فى كل مرة يسدد إلى نظراته فبقيت
على حالى لا أغير منها شيئا ولا أبادله نظراته وكان شيئا لم يحصل وأخيرا
تقدم إلى مبتسما وقال ألسنت حضرتك من البدرشين ؟ فابتسمت فى الحال
وقلت كلا !... أنا من مصر فذهب ولم يعد . ووالى القطار سيره حتى الواسطى
فنزلت فيها ثم انتظرت قطارا آخر وفى أثناء ذلك أخذت تذكرة أخرى إلى
أسيوط فوصلتها فى الصباح الباكر من يوم ١٠ أغسطس عام ١٩٢٢ .

المذكرات

من ٣٧ الى ٥٤

في أسبوط

لم تكن المعيشة في أسبوط في مدى الثمانية عشر شهراً التي أقنتها في تلك المدينة حافلة بالحوادث غير العادية بنفس القدر الذي كانت به في القاهرة ولذا اقتصر في وصفها على خلاصة أسوقها جملة ليست متفرقة على شهريات كما كانت الحال في وصف حياتي في القاهرة والى حضرات القراء أهم ما وقع من الحوادث أجمعها تحت عناوين لا يقتصر كل منها على مدة وجيزة وإنما يمتد إلى نهاية مدة الإقامة بتمامها

ما انتحلته لنفسى من الاسم الجديد

كان أول ما عنيت به عقب وصولي إلى أسبوط هو اختيار اسم أطلقه على نفسى يكون مغايراً نوعاً ما للاسم الذى أصبحت مشهوراً به عند من يعرفونى بالقاهرة وهو عبد اللطيف سليمان وذلك منعاً لتسرب أخبارى إلى إلى القاهرة وقد انتهيت إلى جعل اسمي الجديد هو (عبد منصور سالم).

أى منصور على الحكومة وسالم منها . ووضعت اسم عبده فى صدر الاسم السبين أولها : لتكون ذرا للرماد ولأنها تجرى على عادة كثير من الاسماء وثانيهما : لأنها مختصر كلمة عبد اللطيف فإذا ما قابلنى والحالة هذه أحد من كانوا يعرفونى فى القاهرة ونادانى باسم عبد اللطيف فإن ذلك لا يدع للشك سبيلا إلى أذهان السامعين لأنى أستطيع أن أقول أن كلمة عبده هى فى الأصل عبد اللطيف ولحظت أيضا أن كلمة سالم قريبة من سليمان وهنا يوجد مجال للكلام إذا ما نادانى أحد باسم عبد اللطيف سليمان وبعد الانتهاء من مرحلة اختيار الاسم فكرت فى اختيار البلدة التى أنتسب إليها وكذلك فى كل ما ينتظر أن توجه إلى به أسئلة فى غضون الأحاديث مع الناس وأخيرا رأيت أن أقول أنتى من أهالى القاهرة واتى حضرت الى أسيوط لأن بي مرضا وأشار على الطبيب بالاقامة بمناخ أسيوط الى أن أشعر بالتحسن وقد اضطررت الى القول بأننى من القاهرة لأننى لحظت أن لغتى هى لغة الوجه البحرى وكذلك هيتى العامة فلا يحسن الابتعاد كثيرا عن الحقيقة وإذا كان لابد من الانتساب إلى بلدان الوجه البحرى فاختيار البلاد الكبيرة أفضل من اختيار الصغيرة وبذلك وقع الاختيار على القاهرة

المهنة التى احترفت بها أمام الناس

أمضيت أياما طويلة فى بادى الأمر متفلا بين القهوات ومختلطا بالعامية إلى أن سمعت أن طبيبيا فى حاجة إلى (تمورجى) فقدمت نفسى إليه واستطعت أن التحق بخدمته وكان له مستشفى صغير وبالاحتراف بهذه المهنة استطعت أن أغشى مجالس أطباء أسيوط كافة وأن أختلط بكثير منهم ومن خدمهم وأن أعرف أحوالهم وأسرار عياداتهم وليس أحد كالخدم والطباخين وسواقي السيارات والمرضى ملما بالأسرار التى تخفى على الناس فى الخارج وكان من الأطباء الفاضل النزيه كما كان أحدهم من كبار أدياء الصلاح

والوطنية يتكلم كثيرا عن الدين والسياسة ويتصدر الناس في هذين الأمرين كأنه زعيم أبر ويتحدث عنه المخدوعون فيه بأنه ابن السياسة والحالب لشرطها فإذا ما رأته في عمله الطبي رأيت لسانا خادعا وقلبا قاسيا وطمعا أشعيا يؤم عيادته كثير من الفلاحين الجهلاء فيستغل سداجتهم ويبالغ لهم في وصف أمراضهم ولا يزال بهم يحجزهم في عيادته حتى يستنزف أموالهم كما يستنزف دماهم ولا فرق بينه وبين بعض أبناء الفرنجة الذين لا ينظرون إلى المصري إلا نظرهم إلى بقرة حلوب أو قصبه يتمصونها حتى إذا ماجفت عصارتها ألقوا بها في اليم . وكان إذا أحيل عليه طالب علم أو طالب وظيفة لتقرير حالته أخذ منه مائة قرش رشوة وإلا كان لا محالة من الراسيين . وكان بعد ذلك هو البخيل الذي يقتر على نفسه وعلى سواه .

ألا أيها الشباب الناهض إن مصر ليست بحاجة إلى العلم والمال كما هي بحاجة إلى الخلق القويم والتربية الصحيحة . إن مصر لا تنال مكائنها بين الأمم حتى تكون الوطنية البريئة هي السر الدفين بين ضلوع أبنائها . وليست الوطنية هي إجادة الخطابة والكتابة أو شدة التصفيق وحسن صياغة القصيد أو المظاهر الخلابة والشهرة الكاذبة . كلا ما هذه كلها سوى وسائل قد يستغنى عنها وخطوات أولى لها ما بعدها . أما الوطنية الحققة فهي الفضيلة شائعة بين حنايا الضلوع . هي إلزام حدود الواجب سرا وعلانية . هي العمل الصامت لخير مصر والانسانية ولو تجرد ذلك كله من مديح الناس وتقديرهم ، وأخيراً هي سجية الانتصار للحق والموازنة بين الصالح العام والصالح الخاص .

حالي المالية والصحية

تحسنت حالي المالية باشتغالي في خدمة الأطباء . أما الحالة الصحية فلم تكن حسنة لأن الآثار العصبية السيئة التي طرأت على جسمي من جراء المعيشة الفردية في السنة الأولى من سني الاختفاء عند القلعة بالقاهرة كانت

تعاودنى ولا أستطيع عليها غلبا ومن أجل ذلك كنت سريع التأثر والتألم من الحالة الخلقية السيئة التى كنت أراها بنفسى خصوصاً كلما تذكرت أننى مضطر لكسب عيشى والسكوت على مضض فى هذه الآونة المخرجة ، وأننى لا أستطيع هجر هذه الوظيفة والابتعاد عن كسب عيشى بغير طريق الأطباء لقلة مالى الذى لا أريد المغامرة به فى ميدان التجارة ولا أريد أن أرتبط بقيد ما . وكانت طبقة الافندية تأنف من المسير معى طويلا ، لأننى فى نظرهم تمورجى لا غير . وكانت طبقة الخدم ومن إليهم لا يجدون ما يرغبهم فى المسير معى لأنهم جميعاً يدخلون الحشيش والدخان ويسكرون ويقامرون ويسب بعضهم بعضاً بأفخس السباب فمن ليس على شاكلتهم لا يالفونه ولا يالفهم ولذلك كنت أمضى أغلب أوقاتي وحيدا منعزلا رغم أن صحى كانت تتطلب كثرة الكلام وكثرة الاجتماع بالناس وكانت العزلة والانفراد يضران بها ضرراً بليغا .

منوعات

كان وكيل مديرية أسيوط فى ذلك الوقت هو صاحب العزة ابراهيم رشدى قححه بك وحكمदार المديرية هو صاحب العزة أحمد سرور شريف بك وقد زارا العيادة مراراً وعرفانى معرفة أكيدة وكلفنى حضرة وكيل المديرية أكثر من مرة باستحضار أدوية معينه وتوصيلها إلى سيارته وركبت معه فى سيارته مرة بجوار السائق من العيادة إلى مخزن أدوية جاليتى بجوار المحطة وكان ينادينى باسمى سالم وكان إذا طلب الطبيب فى التليفون ورد عليه الخادم بعدم وجوده طلب إليه أن ينادى سالم ليكلم وكيل المديرية فى التليفون . هذا مع العلم بوجود المكافأة لمن يلقى القبض على ووجود أوصافى وصورتى فى كل مديرية .

وكنتم أشعر بارتياح زائد من وقوع أمثال هذه الحوادث وأتمنى المزيد

منها لأن العفو عنى يوما ما كان من الأمور التى تلوح فى أفق السياسة فإذا ما وقع أصبح سرد هذه الأخبار على مسامع الجمهور أو كتابتها فى كتاب من بواعث السرور والاعتباط

وقد ذهبت إلى البندر مرتين وكلمت المأمور بخصوص تجديد رخصة سيارة الطبيب وكان بعض سعاة المصالح يحضرون الخطابات الخاصة بالطبيب إلى فاتسلها وأوقع لهم فى السركى بامضاء عبده سالم أو عبده منصور

كنت أعرف أخبار موظفى أسيوط وتنقلاتهم من قبل حضورى إليها، وذلك من كثرة قراءة الصحف . وكنت على يقين حسب ما وصلت إليه معلوماً من أنه ليس هناك من يعرفنى ومنذ إقامتى بهذا البلد وأنا أبذل جهدى لمعرفة وجوه الأفندية كافة وبعد أن تمت لى معرفتهم جميعاً وأيقنت أنه ليس منهم من يعرف شخصيتى أمنت المسير فى الطرق إلى حد ما .

وكنت أعنى كثيراً بالتقاط أخبار تنقلاتهم منهم ومن الصحف ولم ألبس هناك غير الطربوش وكانت قصتى مع كل إنسان واحدة وكل مظاهرى وأحوالى يؤيد بعضها بعضاً بأننى من سكان القاهرة وأتيت للاستشفاء بمناخ أسيوط .

وذاث يوم حدثت مشادة عنيفة بينى وبين شخص اسمه ابراهيم الدسوقي من خدم مأمورية الأوقاف فكنت وقتئذ مالكا لعواطفى ولم أغر عليه بشىء قط بل انتهزت الفرصة وأيدت فى كلامى عند الصلح أننى مثله تماماً وأنه يجب علينا أن نعيش فى صفاء وعرفت من لم يكن يعرف سبب وجودى فى أسيوط وأنه إذا تحسنت حالتى الصحية لن أبقى فيها يوماً واحداً بل أعود إلى بلدى القاهرة .

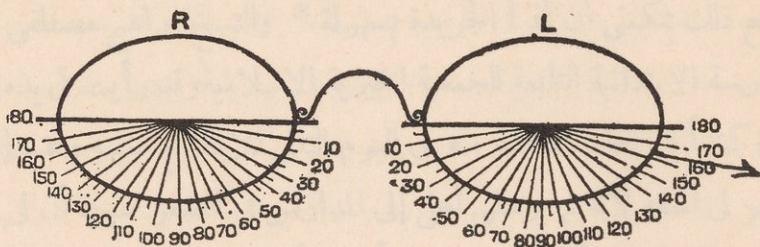
عرفنى جيداً معظم أطباء أسيوط وبخاصة حضرة الفاضل النزيه الدكتور محمد عبود طبيب العيون — وبلدته الأصلية دمياط — وقد نال هذا الطبيب

شهرة فائقة وثروة طائلة بفضل نزاهته وصدقه وحسن معاملته لمرضاه على اختلاف طبقاتهم وكان ذلك بعكس الطبيب الذى كان يغش الناس ويخدعهم طمعاً فى الغنى السريع فان عيادته أقفرت من المرضى وساء مصيره

ضعف بصرى كثيراً من جراء الانقطاع عن العالم حينما كنت مقيماً فى المنزل الأول من منازل الاختفاء بالقاهرة وقد شعرت بذلك جلياً وأنا بأسىوط فلم أكن أستطيع القراءة كعادتى وعلى ذلك عرضت نفسى على الدكتور محمد عبود فى يونيو عام ١٩٢٣ فكتب لى تذكرة لنظارة للعيون.. وهاهى ذى تذكرة الطبيب منقولة إلى الكتاب بالزئكغراف وتجد اسمى المعروف بأسىوط مكتوباً بأسفلها إلى جهة يسار الناظر وهو (عبده سالم) اختصار (عبده منصور سالم) وهو مكتوب هنا بخط يد الدكتور نفسه

وكان الاتفاق قد تم بينى وبين الدكتور محمد عبود على أن يرسلنى مرضاً بعيادته التى افتتحها حديثاً بملوى ولكن ذلك الاتفاق وقع متأخراً ولم ينفذ لانتهاه أيام الاختفاء عند انقلاب الحالة السياسية وتأليف وزارة سعد باشا زغلول فى أوائل عام ١٩٢٤ فأفدته بأننى مسافر إلى أهلى بالقاهرة ولم يكن يدرى شيئاً أصلاً عن ارتباط الحالة السياسية بشئونى . وكذلك عرفنى حضرات الصيادلة وأذكر منهم الخواجا قره بت حكيمان وليب أفندى الميرى والخواجا جورج اليونانى وكذلك عرفنى جميع موظفى مأمورية الأوقاف وخصوصاً حضرة مأمورها محمد بك حسنى وكنت أتردد على منازل الكثيرين من الأعيان لتحصيل نقود خاصة بزيارات الأطباء وأذكر منها منزل خشبة باشا وثابت بك ومحمود بك بسيونى * وإبراهيم بك ممتاز المحامى وكثيرين غيرهم وكان يتردد على العيادة كثيرون من الأعيان والأهالى وقد

(*) وقد قبض عليه ونفى وأنا موجود بأسىوط وعاد من النفى وأنا لا أزال بأسىوط أيضاً وقد كنت ضمن الجمع الحاشد على المحطة لاستقباله عند عودته وكذلك عند عودة حضرة سينوت بك حنا من جزيرة سشل



Elias Modern Press, Cairo.

RIGHT.			LEFT.		
Spher.	Cylindr.	Axis	Spher.	Cylindr.	Axis
	+5	horizontal		+5	165°
		for the reading at			30 cm

Remarks: nible. frame no 7 {water proof filling
medium sized calibar (dist. = 6 cms.

Nome
Cairo

Signature

Date

22. 6. 1923

[Handwritten signature]

صورة تذكرة نظارة العيون التي كتبها لصاحب المذكرات
الدكتور محمد عبود بأسيوط في ٢٢ يونيو عام ١٩٢٣ أنظر (ص ١٧٨)

توثق حبل المعرفة بيني وبين كثيرين من حضراتهم أذكر منهم حضرات الشيخ محمد توفيق رضوان من أعيان أسيوط وكان يثير إعجابه أننى تمورجى ومع ذلك يمكننى أن أقرأ الجريدة بسهولة * والشيخ ابراهيم مصطفى ناظر المدرسة الابتدائية التابعة للجمعية الخيرية الاسلامية وقد رأيت فى يده ذات مرة كتاباً فى الطب فطلبت منه فى اليوم التالى للاطلاع عليه وعند إعادته أظهر لى أسفه لأنه لم يرسلنى أهلى إلى المدارس فى الصغر حيث أن لى ميلاً للاطلاع والتعلم وهكذا كنت شغوفاً بعمل أمثال هذه المداعبات مع كثيرين عندما أكون مطمئناً للنتيجة وذلك كى تكون ذكريات جميلة بيني وبين حضراتهم فى المستقبل إذ كنت أتوقع العفو يوماً ما كما سبق ذكره .

وتوثقت الصلات أيضاً بيني وبين حضرة محمد محمد السراج افندى من كبار تجار أسيوط وعباس افندى راغب المدرس بمدرسة الصنائع الأميرية والشيخ محمد جلال العطار والشيخ يونس عبد الرحمن شيخ بلدة القوصية وفهيم افندى محمود الكاتب بمجلس المديرية والشيخ غانم شيخ بلدة موشا وقد زرتة مرة فى بلدته ونمت عنده ليلتين لمناسبة مرض أخيه . وكذلك كثيرين من أسرة حمدالله من أعيان الجبرات مركز طهطا وهم من أصحاب العزة محمود بك بسيونى عضو الوفد المصرى وقد ذهبت فى العيد الصغير إلى الجبرات راكباً القطار ذهاباً وإياباً ومكثت هناك ثلاثة أيام فى ضيافة هذه الأسرة الأخيرة ولقيت من حضراتهم إكراماً لا أنساه مع أنى فى نظرهم تمورجى لا أكثر وازدادت الصلات كثيراً بيني وبينهم بعد ذلك حتى صار أبناءهم وهم تلاميذ بالمدرسة الابتدائية الأميرية بأسيوط يترددون على كثيرأ بالعيادة لقضاء بعض مصالحهم . وقد زرت كذلك فى أيام متفرقة كثيرأ من قرى مركز أسيوط ورغم هذه الزيارات والمقابلات فإن الحذر

(*) أقرأ فى آخر الكتاب تقريراً مقدماً من حضرة الشيخ محمد توفيق رضوان بخط يده وهو منقول الى الكتاب بالزكفراف

الحق — ذلك الحذر الذى لا تبدو آثاره للناظرين وإنما تعرفه النفس فى قرارها الدفين — لم يكن يفارقنى لحظة كأنه من طول عهدى به قد امتزج بالشعور فأصبح سحبة لتصرفاتى دون عمد فيينا أنا أقابل الناس وأشد الرحال إليهم إذا بالشك يقص أطراف اليقين وإذا بحدة التفكير لا ينضب لها معين وإن خفف من غلوائها فعل الأيام والسنين وما تركه العادة للعقل والأعصاب من المران والاستئناس بالواقع الذى ينقلب لها أليفاً على أتى لم أغتر يوماً واحداً بطول عهد النجاة بل كنت أستعيد فى ذهنى بين آونة وأخرى أسباب النجاح الماضية وأناقصها الحساب استعداداً للأيام الآتية ولم يكده عقلى يتذوق طعم الراحة هوناً ما ويخفف عن عاتقه أشد أحماله ثقلاً من الحيلة والحذر إلا بعد أن أشرف عام ١٩٢٣ على الانتهاء وودعه المصريون قاطبة وداعاً جميلاً ليستقبلوا بشغور باسمه زهرة عام ١٩٢٤ التى تفتحت أكامها عن الاستعداد لاجراء انتخابات حرة لأول برلمان مصرى حقيقى فى العهد الحديث. وكان من المقرر فى الأذهان أن الوفد المصرى برئاسة رئيس الأمة الجليل سعد باشا زغلول سينال الأغلبية الساحقة فى معركة الانتخابات. وكان من الثابت أيضاً طبقاً للتصريحات العديدة أن من أولى أعمال وزارة الزعيم الخالد سيكون استصدار عفو شامل لجميع المحكوم عليهم سياسياً.

وإذ بزغت شمس ذاك العام تبدد الجانب الأكبر من ظلمات الشكوك وغدا أريج العفو يعبق بالآفاق، كما بات الأمل بتحقيق الأمان الوطنى خطف الراحتين وكان من آثار ذلك أن ازدادت نسبة خروجى إلى ساحات المدينة واختلاطى بأهلها وجلوسى فى بعض قهواتها البارزة وأسقطت خشية البوليس من حسابى نهائياً.

== [المذكرة الخامسة والخمسون] ==

شهر العفو

مارس عام ١٩٢٤

فى يوم ٢٨ يناير عام ١٩٢٤ تسلمت وزارة سعد باشا زغلول مقاليد الحكم فى البلاد ورفعت البرنامج الآتى إلى صاحب الجلالة الملك ، وهو :
مولای صاحب الجلالة

إن الرعاية السامية التى قابلت بها جلالتم ثقة الأمة ونوابها بشخصى الضعيف توجب علىّ - والبلاد داخلة فى نظام نيابى يقضى باحترام ارادتها وارتساز حكومتها على ثقة وكلائها - ألا أتنحى عن مسئولية الحكم التى طالما تهيئتها فى ظروف أخرى ، وأن أشكل الوزارة التى شاءت جلالتم تسكينى بتشكيلها من غير أن يعتبر قبولى لتحمل أعبائها اعترافا بأية حالة أو حق استنكره « الوفد المصرى » الذى لا أزال متشرفا برياسته .

إن الانتخابات لأعضاء مجلس النواب أظهرت بكل جلاء إجماع الأمة على تمسكها بمبادئ الوفد التى ترمى إلى ضرورة تمتع البلاد بحقها الطبيعى فى الاستقلال الحقيقى لمصر والسودان مع احترام المصالح الأجنبية التى لا تتعارض مع هذا الاستقلال كما أظهرت شدة ميلها للعفو عن المحكوم عليهم سياسيا ونفورها من كثير من التعهدات والقوانين التى صدرت بعد إيقاف الجمعية التشريعية ونقصت من حقوق البلاد وحدثت من حرية أفرادها وشكواها من سوء التصرفات المالية والادارية ومن عدم الاهتمام بتعميم التعليم وحفظ الأمن وتحسين الأحوال الصحية والاقتصادية وغير ذلك من

وسائل التقدم والعمران فكان حقا على الوزارة التي هي وليدة تلك الانتخابات وعهدا مسئولا منها أن توجه عنايتها إلى هذه المسائل الأهم فالمهم منها وتحصر أكبر همها في البحث عن أحكم الطرق وأقربها إلى تحقيق رغبات الأمة فيها وإزالة أسباب الشكوى منها وتلافي ما هناك من الأضرار مع تحديد المسؤوليات عنها وتعيين المسؤولين فيها وكل ذلك لا يتم على الوجه المرغوب إلا بمساعدة البرلمان. ولهذا يكون من أول واجبات هذه الوزارة الاهتمام بأعداد ما يلزم لانعقاده في القريب العاجل وتحضير ما يحتاج الأمر إليه من المواد والمعلومات لتمكينه من القيام بمهمته الخطيرة الشأن.

وقد لبثت الأمة زمانا طويلا وهي تنظر إلى الحكومة نظر الطير إلى الصائد لا الجيش إلى القائد وترى فيها خصما قديرا يدبر السكيد لها لا وكيلا أميناً يسعى لخيرها وتولد عن هذا الشعور سوء تفاهم أثر تأثيرا سيئا في إدارة البلاد وأعاق كثيرا من تقدمها فكان على الوزارة الجديدة أن تعمل على استبدال سوء الظن بحسن الثقة في الحكومة وعلى إقناع الكافة بأنها ليست إلا قسما من الأمة تخصص لقيادتها والدفاع عنها وتدير شؤونها بحسب ما يقتضيه صالحها العام.

ولذلك يلزمها أن تعمل مافي وسعها لتقليل أسباب النزاع بين الأفراد وبين العائلات وإحلال الوئام محل الخصام بين جميع السكان على اختلاف أجناسهم وأديانهم كما يلزمها أن تبث الروح الدستورية وتعود الكل إحترام الدستور والخضوع لأحكامه وذلك إنما يكون بالقوة الحسنة وعدم السماح لأي كان بالاستخفاف بها والاخلال بما تقتضيه...

هذا هو بروجرام وزارتي. وضعته طبقا لما أراه وتريده الأمة شاعرا كل الشعور بأن القيام بتنفيذه ليس من الهنات الهيئات خصوصا مع ضعف قوتي. واعتلال صحتي ودخول البلاد تحت نظام حرمت منه زمانا طويلا

ولكننى أعتد فى نجاحه على عناية الله وعطف جلالته وتأييد البرلمان ومعاونة الموظفين وجميع أهل البلاد ونزلائها .

وأعقب تشكيل وزارة الأمة تنفيذ الافراج عن جميع المحكوم عليهم سياسيا ، واقتصر العفو والافراج على الذين كانت تهمتهم الاعتداء على مصريين أما الذين اعتدوا على الانكليز فلم يفرجوا عنهم ، وبدءوا بمن كان الحكم عليهم صادرا من محاكم عسكرية بريطانية بموجب الاحكام العرفية ، ولما كان العفو عن الذين صدر الحكم عليهم من محاكم الجنايات المصرية مثل يحتاج إلى قرار خاص من مجلس الوزراء أو تقديم التماسات من وزارة الحقانية إلى السراى لاستصدار عفو ملكى عنهم أبطأ صدور العفو عنى ولم يصدر طوال شهر فبراير ولم أدر أنا السبب فى ذلك على وجه التحين ، إلا أن الصحف فى غضون هذه المدة كانت تؤكّد جميعا أن العفو سيشمل جميع المحكوم عليهم سياسيا سواء أكان الحكم صادرا من محاكم عسكرية أو من محاكم أهلية ولذلك كانت النفس مطمئنة إلى أن سبب الابطاء لا بد أن يكون شيئا آخر غير الاحجام عن التنفيذ ، واستمر الأمر كذلك إلى أن رأيت ملخص العفو عن زميلى فى القضية وهو الشيخ سيد على محمد منشورا فى جريدة الاهرام فى يوم ٢٦ فبراير عام ١٩٢٤ ، أما نص العفو بأكمله فقد جاء فى جريدة الوقائع المصرية (الجريدة الرسمية) عدد ٢١ فى يوم الخميس ٢٣ رجب عام ١٣٤٢ الموافق ٢٨ فبراير عام ١٩٢٤ وهو :

أمر ملكى رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٤

بالعفو عن باقى العقوبة المحكوم بها على سيد على محمد فى قضية النيابة
نمرة ٥٠٤ (الرمل عام ١٩١٩)

نحن ملك مصر

بعد الاطلاع على كتاب وزارة الحقانية المؤرخ ٢١ فبراير عام ١٩٢٤

رقم ١٠٥ الوارد لديواننا بالتماس العفو عن باقى مدة العقوبة المحكوم بها على سيد على محمد فى قضية النيابة نمرة ٥٠٤ (الرملى سنة ١٩١٩) من محكمة جنايات اسكندرية فى ٢٣ فبراير عام ١٩٢٠ لشروعه عمدا فى قتل حضرة صاحب الدولة محمد سعيد باشا يوم ٢ سبتمبر عام ١٩١٩ بجهة شارع جناكليس بقسم الرمل بالاسكندرية

أمرنا بما هو آت

(١) يعنى عن باقى مدة العقوبة المحكوم بها على سيد على محمد من محكمة جنايات الاسكندرية فى قضية النيابة نمرة ٥٠٤ (الرملى سنة ١٩١٩) المتقدم ذكرها .

(٢) على وزير الحقانية تنفيذ أمرنا هذا

صدر بسرأى عابدين فى ١٨ رجب عام ١٣٤٢ (٢٣ فبراير عام ١٩٢٤) فؤاد

وعند قراءة ملخص ذلك العفو فى الصحف لم أدرك السبب فى عدم شمول الأمر الملكى لاسمى أسوة باسم زميلى واقتصار العفو عليه وحده ولو أنه عفو عن العقوبة وليس عن الجريمة وانتظرت ورود اسمى فى الصحف عاجلا ولما أبطأ كثيرا سافرت إلى القاهرة وأنا مملوء ثقة بأن الجو صحو لا غم فيه ولا بد أن يكون هناك سبب لا أعلمه لهذا الابطاء ولا خوف منه على الاطلاق طبقا للبرنامج الرسمى للوزارة

وفى صبيحة يوم الأحد ٣ شعبان عام ١٣٤٢ الموافق ٩ مارس عام ١٩٢٤ ظهرت فى القاهرة بشخصيتى الحقيقية لأول مرة منذ الاختفاء وتوجهت إلى وزارة الحقانية وقابلت حضرة صاحب العزة محمد بهى الدين بركات بك مدير مكتب معالى وزير الحقانية وأعلمته بحقيقة شخصيتى وحقيقة موقفى فأبدى اهتماما أشكره عليه وقابل معالى الوزير ثم حضر وأفهمنى أنهم لم يهملوا أمرى مطلقا وإنما هناك فرق بين موقفى وموقف زميلى الآخر فى القضية

وذلك أن الحكم الصادر ضدى كان غيائياً لا حضورياً لحكم زميلي الشيخ سيد والحكم الغيائى لا يعتبر نهائياً لاحتمال الطعن فيه ولذلك لا يحتاج إلى عفو ملكى كالحكم الحضورى وأنه كان هناك تفكير جدى فى حل موضوعى إلا أنهم كانوا يعتقدون أنى مقيم بأوروبا وأن التأخير فى الاجراءات لا يضر بحريتى كما يضر شخصا موجودا فعلا بمصر ثم تحادث معى مليا بخصوص البوليس السرى فى مصر وعمما إذا كانت هناك نقط ضعف لحظتها عليه فى زمن اختفائى فسردت لعزته طرفا من حكايتى ومن آرائى الخاصة فيما يجب إدخاله من الاصلاح على نظام البوليس السرى فى مصر فطلب إلى أن اكتب مذكرة وافية فى هذا الشأن فوعده أن أفعل ذلك فى حالة واحدة فقط وهى حالة نجاح سعد باشا فى المفاوضات السياسية ونيل البلاد استقلالها الحقيقى . وقد قطع حديثنا جرس التليفون واضطرار عزته إلى القيام إلى جهة أخرى وعلى أثر خروجه أقبل كثيرون من حضرات الموظفين للتسليم على مؤكدين لى أنهم كانوا على ثقة تامة بأنى مقيم بأوروبا لا بمصر ثم قابلت حضرة صاحب المعالى وزير الحقانية محمد نجيب الغرابلى أفندى فأحسن مقابلتى وقد ألقىت أمام معاليه خطبة قصيرة مفادها أن قد تعاقبت على كراسى الحكم ست وزارات وقد فشلت جميعها فى إلقاء القبض على حتى أذن الاله بتقليد الامر لوزارة الأمة فطوقت جيد المحكوم عليهم سياسيا بمئة العفو وها أنا أخرج اليوم من مخبئى بمحض رغبتى شاكرآ للوزارة حسن صنيعها وعند ذلك هنأتى معاليه مراراً برى حريتى إلى فخرجت من عنده شاكرآ .

وقد حضر فى هذه اللحظة صاحب العزة النائب العمومى بالنيابة وهو حضرة على بك عزت وذلك لغياب النائب العمومى محمد ابراهيم بك بالاسكندرية واستصحبنى معه إلى دار نيابة الاستئناف وحرر محضر ظهورى وتقرر حفظ القضية قطعياً وأخطرت على الفور جميع النيابةات ومراكز البوليس فى القطر بخبر ظهورى وبعدم التعرض لى

وقد صورت في هذا اليوم وها هي ذى الصورة
وكتبت الصحف عامة نبأ ظهورى وجاء في جريدة الأهرام في عددها
المؤرخ يوم الاثنين ١٠ مارس عام ١٩٢٤ ما يأتى :

[بين المسجونين السياسيين]

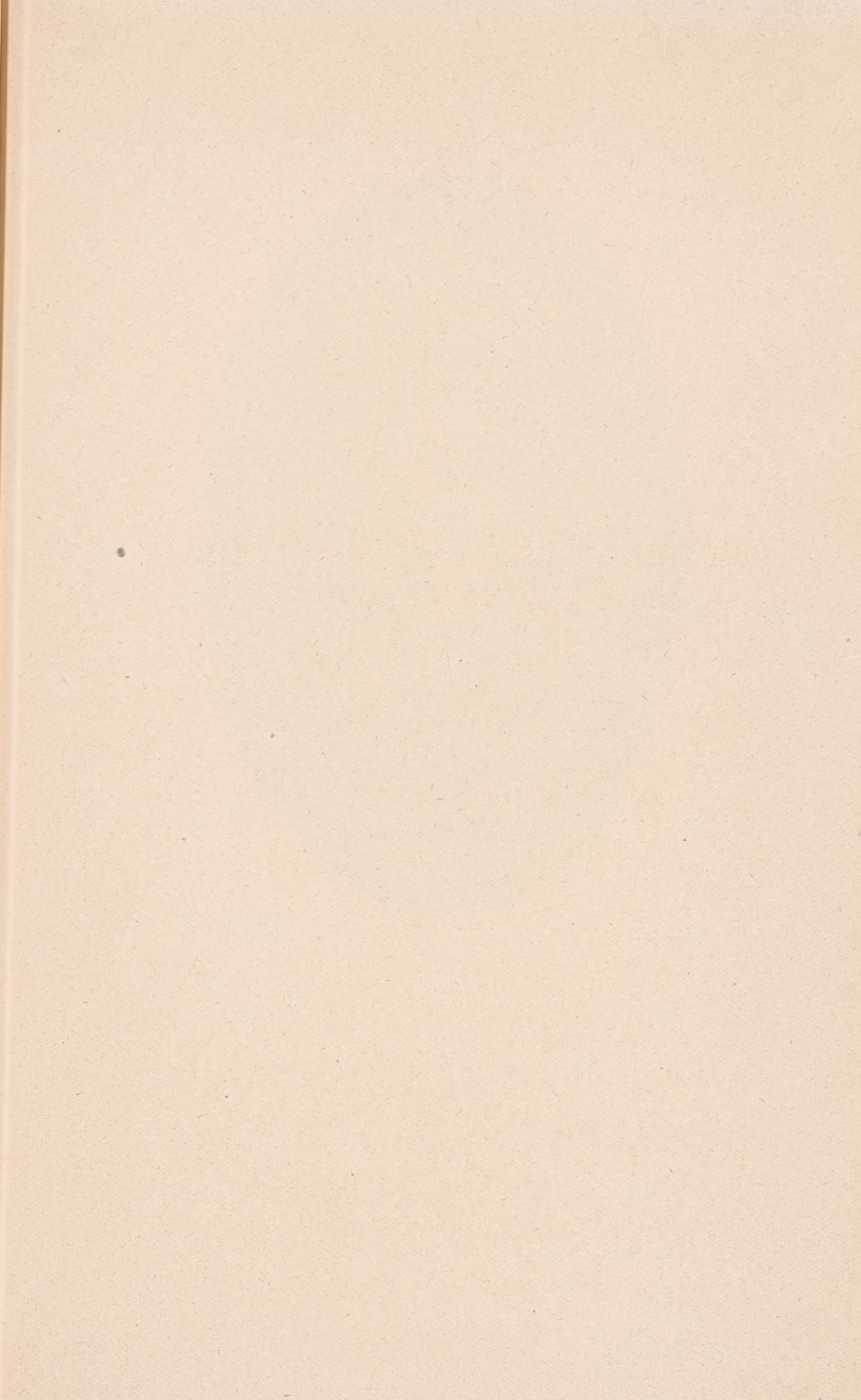
(ظهور سجين غائب)

(ظهر في القاهرة فجأة أمس محمد شكرى الكرداوى أفندى أحد طلبة
مدرسة الطب المحكوم عليه غيايبا بالسجن مع الشغل ١٥ عاما في قضية محاولة
قتل صاحب الدولة محمد سعيد باشا في سنة ١٩١٩ في رمل الاسكندرية وهو
في كرسى رئاسة الوزارة المصرية والذي كانت وزارة الداخلية قد عينت
٥٠٠ جنيه مكافأة لمن يعتقله أو يرشد إليه وقد توجه إلى معالى وزير
الحقانية في مكتبه فأحسن معاليه مقابلته وهناه برد حريته إليه وخرج من
لدنه ولسانه معطر بالشكر والدعاء)

وكتبت جريدة البلاغ في يوم الثلاثاء ١١ مارس عام ١٩٢٤ ما يأتى :
(كان من المحكوم عليهم في قضية الاعتداء على حضرة صاحب الدولة
محمد سعيد باشا سنة ١٩١٩ طالب طب يدعى محمد افندى شكرى الكرداوى
حكم عليه غيايبا بالأشغال الشاقة المؤقتة مدة ١٥ عاما وجعلت وزارة
الداخلية مكافأة مقدارها ٥٠٠ جنيه مصرى لمن يرشد إليه أو يقبض عليه .
وقد عرف القراء أن المحكوم عليهم في هذا الاعتداء السياسى قد شملهم
العفو السامى وأفرج عن المسجونين منهم ومن ثم قدم الكرداوى افندى
نفسه قبل ظهر يوم الأحد إلى معالى وزير الحقانية فأمنه معاليه على حريته
وهناه بردها إليه)



صورة صاحب المذكرات
وهي صورة يوم تطبيق العفو وانتهاء الاختفاء
صورت في يوم ٩ مارس عام ١٩٢٤



بعض فكاهات طريقة كتبها جريدة السيف في عددها رقم ٤٧٩ في يوم الأحد ١٣ ابريل عام ١٩٢٤ بمناسبة حوادث اختفائي وظهوري فجأة في القاهرة ، وقد أملت مني بطرف من التفاصيل وهي :

(ظهر فجأة محمد افندى شكرى الكرداوى الطالب بمدرسة الطب الذى حكم عليه غايبا بخمس عشرة سنة فى قضية سياسية سنة ١٩١٩ ولم يهتد البوليس إليه وقد قدم نفسه إلى معالى وزير الحقانبة فأحسن مقابلته وهناه برد حرته إليه) — الأهرام

السيف — كنت فين يا حلو غايب عن عيوني لك زمان
(قيل لأحد رجال البوليس لما محمد افندى شكرى الكرداوى كان متسكرا بشكل شيخ كنتم بتقولوله إيه قال كنا بنقول له — خد لك طيه)

(ظهر محمد افندى شكرى الكرداوى فقبض عليه البوليس وسلبه لبواب منزله)

(قبل أن يظهر محمد افندى شكرى الكرداوى استدعت النيابة رئيس البوليس السرى وقالت له الكرداوى لسه مادخلش السجن فقال — ينفلق واحنا مالنا)

(ظهر محمد افندى شكرى الكرداوى فأظهر البوليس استعداداه للبحث عنه)

(قالوا للكرداوى إزاي نفدت من إيد بدر الدين قال — نفدت من عينه)

(كان الكرداوى أثناء الاختفاء عامل رمال وكان البوليس يروح له يضرب الرمل عشان يعرف له طريقه)

وفي يوم ١٠ مارس عام ١٩٢٤ حظيت بمقابلة صاحب الدولة سعد باشا
زغلول في بيت الأمة لتقديم واجب الشكر إليه ، وفي يوم ١٤ مارس
سافرت إلى المنصورة وكانت محطتا طلخا والمنصورة غايتين بالمستقبلين
وكانت المسافة بين محطة المنصورة وبين منزلى تقطع على الأكثر في ١٥
دقيقة ولكن السيارة في هذا اليوم لم تصل إلى منزلى إلا بعد مرور ساعة
ونصف الساعة تقريبا وذلك لتكرار وقوفها في الطريق استماعا لأقوال
الخطباء ، وكان الطلبة الكشافة يتقدمون السيارة وينادون بنداءات مختلفة
منها (ليحيى الدكتور شكرى) ولكن الواقع أن كلمة شكرى كانت تمر
على ذهنى كأنها كلمة غريبة عنى يقال لشخص غبرى ، وذلك لأن النسيان
كان قد سحب عليها ذيولا كثيفة وكنت لا أزال متأثرا باسم عبده منصور
سالم الذى اشتهرت به فى اسقوط ، وهنا لا يسعنى إلا تقديم أجزل عبارات
الود والاخلاص لحضرتى الأستاذين حسن عبد الوهاب وصالح رمزى
الذين قاما بتنظيم الاستقبال على المحطة وفى المنزل خير قيام .



[خاتمة]

(١) كنت يوم ظهوري عقب الاختفاء مثقلا بالأمراض وقد اختفى بعضها وأزمن البعض الآخر وكان وزن جسمي في ذاك اليوم ٦٣ كيلو جراما ورقم ياقة رقبتي ٣٣ ، وما فتى التحسن في الصحة يضطرد بمرور الأعوام حتى بلغ وزني بعد أربع منها زهاء التسعين وأصبح من العسير أن ألبس ياقة رقما أقل من الأربعين ، وبمقارنة الصور المختلفة المثبتة في هذا الكتاب يستطيع القارى أن يرى الفروق الكبيرة بين التغيرات الجسمية ورغم ذلك قد أزممت بعض العلل كضعف الساقين وضعف البصر والامساك المتواصل وسرعة الغضب بنسبة أكثر من ذى قبل وقد دفعتني الاعتبارات الصحية إلى كثرة غشيان المجالس والنفور من الوحدة والاقلال من التفكير والقراءة وبخاصة في الأعوام الأولى التالية لعودتي إلى الحياة المعتادة وقد توظفت بوزارة المعارف في أكتوبر عام ١٩٢٤ وحصلت على دبلوم المعلمين العليا في عام ١٩٣٠

(٢) كان لي قبل الاختفاء اثنا عشر فدانا مستأجرة بزمam طلنخا ومزروعة قطناً وقد صدرتها الإدارة بأمر السلطة العسكرية وباعت محصولها بأبخس الأثمان في عام ١٩١٩ الذي ارتفع فيه سعر القطن حتى بلغ الأربعين جنيها للقطار الواحد ، ولا أريد أن أقص على القراء الأنباء المكثرة التي تخللت تلك المصادرة وذلك البيع وإنما أكتفي بالقول بأن الإدارة تكلمت بوضع عشرة جنيها باسمي في مديرية الغربية باعتبار أنها المبلغ الذي تبي لحسابي من هذا كله وقد ذهبت إلى مديرية الغربية في مايو عام ١٩٢٤ لأخذ

المبلغ وإذا بي أرى صاحب العزة رشدى بك قححه وكيل مديرية اسيوط
قد نقل من اسيوط إلى الغربية فكتبت طلبا وتعمدت الدخول إليه ، فلما
قرأ فى الطلب أتى الذى حكم عليه فى عام ١٩١٩ بالأشغال الشاقة خمسة عشر
عاما فى قضية الاعتداء على محمد سعيد باشا وأن لى مبلغا مودعا بالمديرية منذ
ذاك العهد ، أطلال النظر فى وجهى وقال يخيّل إلى أتى رأيتك سابقا ولكنى
لا أذكر أين رأيتك فأحببت أن أطيل فترة الاستغراب ولذلك أجبته كلا
لم ترنى مطلقا قبل الآن ثم دار الحديث بيننا حول طرق الاختفاء وما يتوسل
به المختفون لتغيير معالم وجوههم وقال أظن أنك أطلت لحيتك ووضعت
نظارات سوداء على عينيك ، فأجبته بأن التجربة أرشدتني إلى أن المبالغة
فى إخفاء معالم الوجه وتغيير الانسان نظام حياته حتى يصبح مخالفا لما درج
الناس عليه كل ذلك مجلبة الضرر لا سبيل النجاة خصوصا وإن إطالة اللحية
ولبس النظارات هى الوسائل التى تخطر فى ذهن كل فرد بادية ذى بدء فلا بد
من اتخاذ وسائل بعيدة عن متناول التفكير العادى ووسائل الاختفاء المجدية
ليست هى تغييرات مادية فحسب ، وإنما أكثرها آت من ناحية الصفات
الفطرية فى الشخص المختفى كمتانة الجهاز العصبى وسرعة البداهة والحماسة
التي تهب الانسان صبورا طويلا ويعاون ذلك كله ظروف حسنة . وفى نهاية
الحديث أظهرت لحضرته صحة نظره من أنه رآنى قبل هذا الوقت ، وقلت
أنا الذى كنت ممرضا باسيوط وكنت أسير ورايك أحيانا واطابك فى
التليفون مرارا باسم سالم ، أى سالم منكم ، فضحك كثيرا وأظهر دهشة
كبيرة من هذه المفاجأة وأحب لو أزوره مرة أخرى فى المنزل ليتباحث
معى طويلا وكان رئيس حسابات المديرية قد عاد فى أثناء ذلك وأفاد بأن
المبلغ سيحول إلى مديرية الدقهلية لصرفه منها لأن اجراءات الصرف ستطول
بضعة أيام فاستأذنت وخرجت شاكرآ ولم أشرف بمقابلته مرة أخرى منذ
ذلك الوقت إلى طبع هذا الكتاب

(٣) كان لى قبل الاختفاء أصدقاء كثيرون كنت أظن أن بعضهم عدة لى وقت الشدائد فاذا بمالى أصبح وقت اختفائى والحكم قائم ضدى نهيا مقسما بينهم ولا أذكر لحضرات القراء جميع حوادث التبديد والنصب التى منيت بها وقت اختفائى من كثير من هؤلاء وإنما اكتفى بذكر أدنى حادثة وقعت وذلك أن سيدة من بيت كريم كانت مدينة لى قبل الاختفاء بمبلغ ٦٠ جنيها فلما اختفيت لم أغب عن ذكرها وكانت تسأل عن أخبارى بين حين وآخر أحد أقاربها الذى كانت تعتقد أنه الصديق المخلص لى لما كانت تراه بيننا من الصلات المتينة فاتتهز قريبها هذا فرصة اهتمامها بأخبارى وعطفها علىّ وذهب ذات يوم وأسر إليها أننى موجود بسويسرا وأتى أرسلت إليه خطابا أطلب إليه فيه أن يتسلم منها الستين جنيها ويرسلها إلىّ بسويسرا بطريقة خاصة زعم أننى شرحتها له فى خطابى إليه فما كان من السيدة إلا أن دفعت له المبلغ بعد أيام قليلة ولم ترتب فى ذرة مما قاله لها فأخذ هذا النصاب المبلغ لنفسه خاصة ثم أفادها بأن المبلغ أرسل لصاحبه وتصادف أن سألته بعض أقاربى فى مرة من المرات عما إذا كان يعلم بأى مبلغ لى عند أحد من الناس فأفادهم بلمهجة التأكيد بأننى استرددت كل ما كان لى بطرفه قبل حادثتى وأنه لا يعلم شيئا عن أى مبلغ آخر .

وعند انتهاء الاختفاء وحضورى إلى المنصوره كان هذا الشخص أول من خف للقائى والترحيب بى وأخيرا اتضحت الحقيقة وكان منه بكاء مروتوسل حار طالبا التستر على فعلته وعدم إذاعتها أو شكايته لرؤسائه وقد كتب المبلغ فى سند ضمن مبالغ أخرى لا تزال لها مشاكل قائمة إلى وقت تقديم هذا الكتاب إلى الطبع وقد توفيت السيدة غاضبة منه كارهة لذكر اسمه ولا جدال عندى فى أن هذا الشخص وأمثاله قد تورطوا فى الاعتقاد بأن عودتى إلى بلدى أصبحت ضربا من المحال وأننى سأقضى نحبي بشكل من الأشكال سواء أكنت فى داخل القطر المصرى أو فى أوروبا لما يعلمونه من ضعف صحتى قبل

الحوادث فسولت لهم انفسهم الخالية من الضمير والانسانية أن يرتكبوا ما ارتكبوه

(٤) كنت أغشى بيت الأمة كثيراً في عام ١٩٢٤ وذات يوم بينما أنا جالس مع صديقي العزيز على افندى أحمد شكرى الكاتب الشهير وصاحب جريدة المبادئ وإذا بمحمد سعيد باشا — وكان وزيراً للحقانية بعد أن رضى عنه سعد باشا زغلول وأدخله في وزارته لظروف خاصة — دخل في بيت الأمة ولما كان جليسى على معرفة تامة به ذهب للتسليم عليه وما لبث أن ناداني لتقديى إليه فأقبلت عليهما وأنا أعرف أنها مقابلة تاريخية ولأول مرة وضعت يدي في يد سعيد باشا ثم جلست معهما في الغرفة التي بها مكتب سعد باشا وكان كل منا كثير النظر والتحديث في وجه الآخر دون أن يوجه اليه كلمة واحدة واقتصر الحديث عليهما وحدهما وبعد مضي ربع ساعة استأذنت وخرجت وخرج على افندى معى.

وقد تقابلت مع سعيد باشا في بيت الأمة مرة أخرى وهو لا يزال وزيراً فما أن وقع نظره على حتى ابتسم وقال: هل هناك مؤامرة أخرى يا كركداوى فقلت ضاحكا كلنا الآن جنود سعد باشا.

(٥) كنت تزوجت مرتين بالقاهرة في أثناء الاختفاء والآن أقص على حضرات القراء ما تم في العلاقة بينى وبين كل منهما فالأولى كانت مطلقة وقد تزوجت بآخر من بعدى وأنا لا أزال محتفيا وبعد انتهاء الاختفاء وظهورى في الحياة الاجتماعية كانت ببقى رسمية في حضانتها وقد كبرت نخشيت لو تركتها عندها أن تفسد تربيتها وتتأثر بالبيئة التي تعاشرها ولو أهملت شأنها لما استطاعت والدتها أن تعرف مكانى مدى حياتها لأنها لا تعرف اسمى الحقيقى ولا تقرأ فى الصحف شيئا ولا تدرى من أمور الدنيا قليلا ولا كثيرا ولو تسلمت البنات فى عامها العاشر مثلا لكانت تربيتها قد

جمدت على قالب لا يرضى وتذهب جهود الإصلاح بعد ذلك سدى فذهبت ذات يوم صوب مسكنها وما لبثت أن تحققت بنفسى أن رسمية لا تزال على قيد الحياة دون أن يشعر أحد بهذه الزيارة. وعلى ذلك بحثت عن الشيخ سيد ابراهيم الموظف بمصلحة التنظيم فوجدته بخلوان فذهبت إليه وأطلعته على حقائق الامور وطلبت إليه مساعدته فى تسليم البنت إلى أبيها فلم يدخر وسعا فى تحقيق هذا الغرض ولكن الامم رفضت ذلك رفضا تاما زاهدة فى كل شئ إلا ابتها وعلى ذلك ترك الشيخ سيد التدخل فى هذا الامر بعض الشيء وأخيرا بعد محاولات عدة ومتاعب حمة التجأت إلى مهندس كبير بمصلحة التنظيم من رؤساء الشيخ سيد وبدخل هذا الكبير فى الامر واستعماله التهديد والضغط تنازلت الام نهائياً عن القيام بترية ابتها وبذلك أنقذت البنت وتسلمتها وهى فى سن الخامسة من عمرها ومنذ ذاك الحين وهى بمنزلى وتحت اشرافى ورعايتى .

أما الزوجة الثانية التى اضطرت إلى هجرها بغير طلاق كما يذكر القراء فقد انتظر أهلها طويلا ولما لم أعد إليهم ذهب أخوها رمضان إلى الفيوم حيث يعتقدون أتى سافرت وسأل عنى فى جميع الدوائر الحكومية والأهلية وطاف على كثير من القرى المحيطة بالفيوم فلم يعرف أحد شخصا بالاسم والأوصاف التى ذكرها ثم توظف عند أحد تجار الفيوم وقتا طويلا كى يكون على صلة ومقربة من أهالى المديرية وأخيرا لما أعيته الحيل عاد إلى القاهرة ورفعوا دعوى أمام محكمة الخليفة الشرعية وأبلغت النيابة العمومية لتبحث عن شخص هجر زوجته وغاب غيبة منقطعة واسمه عبد اللطيف سليمان وصارت النيابة بهذا الحادث الجديد تبحث عن شخصين أحدهما اسمه شكرى والآخر اسمه سليمان دون أن تعرف أنهما شخص واحد وأخيرا طُلقَت الزوجة على يد المحكمة وتزوجت من نفس قريبها الذى كان يريد زواجها من قبل وقد عرفت تفاصيل ذلك فى عام ١٩٢٥ بغير أن يعلموا هم شيئا عنى إلى الآن .

أما وقد تم تدوين حوادث الاختفاء فانا نقدم إلى حضرات القراء تقارير
بخط اليد منقولة إلى الكتاب بالزنگراف وهي مقدمة من بعض حضرات
الذين كان صاحب المذكرات يعاشرهم أو يعاملهم لمناسبات مختلفة في أثناء
اختفائه وقد شرحوا فيها حقائق الأحوال التي كانوا يرونها بأنفسهم في زمن
الاختفاء دون أن يعلموا من أسرار الموقف شيئا لا قليلا ولا كثيرا .

هذا وقد كان صاحب المذكرات مولعا منذ الصغر بتصوير نفسه في أول
يوم من أيام السنة العربية في كل عام ولذا صار عنده الآن مجموعة كبيرة من
ذلك وسيقدم صوراً من بعضها إلى حضرات القراء في آخر الكتاب .

التقارير والصور

التقرير المقدم من حضرة محمد افندي امين منصور

ناظر ملجأ جلالة الملك بالمنيا

وهو مكتوب بخط يده ومنقول إلى هذا الكتاب بالزنگراف

(انظر ص : ط المقدمة)

أظلمنى حضرت سراج شكرى الكرداوى على مذكراته . بمفرد
سوقه أيام انعاده الحماية البريطانية على مصر في سنة ١٩١٤ . وأقراني
كنت في هذا التاريخ متوجهاً حديثاً من مدينة المنيا والى القاهرة المحمدية
ببولس . زلتني لا ريب ما عديت لثقتي التي التزيت .
وأقيم مع بعضه اخذاني من احوال المشرق في منزل واحد بشاهد
شكرى الكرداوى بالقاهرة فجاءه ذلك فين شويج المرحوم السراج
حسبه كامل . ولم تكن نلت من امر حضرت شيئاً كما لم يظنني
على شكرى من مقاصد . ولكنه جلت لي أيام قليل افوه اخذت منه
الكرداوى التاجير بالمشرك وبعض اقايم . وأخذنا يجمعونه عن ربا لونا
عمر من وهدده في طاعة زعموا فطراي وعلينا من اخيه المذكور انه
لجئ سرا بأنه شكرى الكرداوى . ما عرفت القاصد الذي قصد به السراج
حسبه كامل بالرضا من أحتياها على ثبوت رفع الحماية البريطانية على
رئيس السور العام ونيب الدواية ضد على بريطانيا وذلك في
حفظه تويج . فانه انما ليث عنه في جميع انحاء القاهرة طوال يوم السبت
في الصباح اى يوم غفم الشريج بالذات رتبنا الفنا ونزغنا على
منافذ ميانه عابه يوم المرافقة حضور به افخ ثأثنا من احكام اخيه
واقارب منبه من أتيانه هذا الحادث ولم يرح احدنا من غفم الشريج

وعلنا في اليوم بانه اخاه راقابه قابله واخذوا بيدوه عليه
 في العودة معهم الى المصروف ليغوثا عليه فحيث رستروا عليه كثيرا
 وصعدوا على راسه فصارا كيدا وحاكمتهم الثمرو لو تبيلني البهريه عليه
 وشم الذم بعدونه معهم الى المصروف في اليوم المذكور
 وبعد استحقاقهم لم نقر الادواته بالقاصه مع اخري ولم
 نعلم من امن شيئا في صف الحق ايضا ولكنه بعدت ايام سمنا
 بانه سيقبل ان انه حمة صرب تحت المرحوم السلطان حية كامل
 مسر في باد مسالره واطلعه عليه رصاصة اصابته العربة بالقرب
 من رأس السلطان حية كامل بجوار سياره عاصيه في ابريل ١٩١٥
 وقد قبضه على شكرى ابنه بالقاصه وعلى نفسه اقراره واخيه بالمفسد
 ثم افرج عنه وعاد الهلاك وهذا ما اذكره بالدمه عن هذا الموضوع
 حيث لا يزال ماثلا بذاكرتي كما هو دونه انه انسى من شيئا

٢٨ يناير ١٩٢٥

سرية
 ماخرمنا جبره ذلك
 فزاد الازد بالنا

التقرير المقدم من حضرة عبد اللطيف افتدى سيد احمد
تاجر الحدايد بمدينة المنصورة

وهو مكتوب بخط يده ومنقول إلى هذا الكتاب بالزنگراف
(انظر ص : ى المقدمة)

الحمد لله على ما جاء في مذكرات جفقه الشيخ محمد فتحي شكري
بكرادوى وعلى الرخص الجزاء المذكور به حاشية البرهان
على السلطة حيد كان فوجده يقرر
(ومنه عجيب بطرف الى رفض فجة الى الحصول
على مشدشات منه طراز بروشني كان احد الزمان
ويدين مدرسين جولد بروج وهو كوميونجي حدايد
المانيه بالمدخل قبيل الحرب الى جفقه حيد يتي ليعضد
عبد اللطيف افتدى لطفى سيد احمد تاجر الحدايد بمدينة
المنصور فلما علم بحيد اللطيف افتدى منى بالرفض
محمد البحث لحيد مشدشات شريح الى بنط ورفضه انه
يشناول ليل انها ما)

والا قرر به هذا الحيد محصل ولم يكافئ
به الشيخ شكري افتدى لوقد بعد انه شاوره بالحديث
مذرا ضد النحايه ابريطانيه منذ انه رفضت على ما
روجه بيننا لوانه را في الجزاء والاشهر 2 حيد
لقد انقلع
عبد اللطيف لطفى سيد احمد
تاجر الحدايد بالمنصور

الخطاب المقدم من حضرة حسام الدين أفندي محمد

الموظف بمجالس مديرية المنيا

وهو مكتوب بخط يده ومنقول إلى هذا الكتاب بالزنگراف

(انظر ص ١٠٨)

المنيا ١٩٢٤

عزيزي الوفي محمد بن شكري الدرداري

الموظف بوزارة المعارف

بداخي، سمعت به محنتكم وانتم تقصوه حكاية
مختلفكم خمس سنوات عذبة اليوس على سامع حضرات
محمد بن عثمان وعبد الحميد انصا كل وعبد العزيز افندي عمر وعبد
انصا ليس ومحمد بن عبد الرزاق محمد بن يوسف بن مدير المنيا
وكانه من جيل الجزء الثاني باستغناكم بالسر والفراد الكثير
من الناس وكانه من بهيه ذلك حكاية المصور على ساعة
ذهبي سرقته من شخص يدعى محمد انصا محمد جميل تاجر
بناحية القلعة بمصر بناء على ارشادك وتفكيرك الثاني
فادعته جدا انني كثيرا ما عاشتكم وسرتكم في
الطرفة طوبى وتراورنا في المفاخر مرارا ومع ذلك لم انسه
اعلم بل لم ينه يظن على خاطري انك الشيخ الذي كنت قد
سمعت بنصومه حكاية هذه الساعة من نفس الشخص
المسروقة من وكنت هيرانه من تأويل هذه الامور وكيف
يثير لشخص انه يظهر المحبات وكنت على شوق
عظيم لتعرف برهة الشيخ وبخاصة ذلك انشرف بارسال
هذا الخطاب اليك اقر فيه ما سجدته سمعته في ١٩٢٤

بخصوص هذه المسألة مع العجائب الشديد بله وكفارة تلك
المتنازلة وهما أنا أدونه فيه ما سجد ذكرته أمسى امام
الرفوانة المذكورة بعد العمود وقف سمعى موادتك وانما
تفعل عليا وتلتهم فيما ياتي

توفي والدي المرحوم السيد محمد اسعد الحسيني في نوفمبر ١٩٤٧
وفي أثناء المآتم الذي كانه مقاما بشارع البجاية الجديد
بالقلم عفر معزونه كثيرا كانه من بينهم على ما أوكد
شخص يسمى عبيد افق محمد جميل تاجر ادوات كهربائية بشارع
سجنونه بالقرب من القلم ثم حدث في غضون الزعماء
مع آخرين في المآتم انه جادت ذكري المستقلية بالاعمال
الروحانية وما يظهره من العجائب فكانه من المصروف وما
المذهب فأنرى من وسط هذا الجمع عفت عبيد افق جميل
المذكور وأد أنه من بينه لقولوا لا تخاف من الكوفة
فترى المارة والصدوق ودليل على ذلك انه لا يزال
يذكر شيئا على جانب عظم من الكفاءة في الظاهر مخبات
الحوادث ثم سرور عليا حكايته بالزفة

قال انه في غضون ١٩٤٧ تفقد ذات يوم ساعته
الذهبية الكروية التي يبلغ ثمنها اربعة جنيه في الجيب
الداخلي لمعطفه أثناء خروجه من محل عمله فلم يبق
عليه وكان وقع هذا الحادث اليما جدا في نفسه فاستمر

يكنى حتى اجتمع خلقه كثير من حوله وكاتبه من بينهم امرأة
ارشدته الى شيخ يقطعه بمارة موسى الحداديه يريه بقلمه
اسمه الشيخ سليمان فقام قورا وذهبه اليه واعطاه اثره
ولم يحصه يوما حتى استدعاه الشيخ المذكور واكرمه
السار والباعه لعمو العامل الموهود بنفسه على
ذلك عاد واخفى ما اخبره الشيخ به على العامل وانما
عرفه بانه سرور راوه وهو يظن كشف آخر فانه
في اول الامر ثم عاد وطلب من خميه قرنا فقط ليرجعه
اليه حيث ذكر انه اخذ مثل هذا المبلغ عربونا لثمنه
اخذ الاشخاص الذي اتفقوا مع على شرائه من مبلغ
خمسة مئتين وعلى ذلك اعطاه خميه اف المبلغ المذكور
ثم ذهب العامل وبعد قليل عاد اليه ومعه شيء وكذا
يقول خميه اف انه تأسف لعدم ارساله شيئا آخر
في الخفاء ورا هذا العامل ليعتبه من الشئ الذي
اودعته تحت السر فاعيدت له الخاء شوقا عظيما
عند جميع السامعه وقتئذ حتى سأل بعضهم من
اقام هذا الشيخ لزيارته فاجبت انه متأكد من انه
نقل الى حرة اخرى ولا يعرف احد مقرة اثره فتأسف
الجميع لذلك واظهروا انما هم من هذه الخاء ولم كنت
انا متوقفا معكم لمعرفة هذا الشيخ لأمور خاصة كانت

- ٤ -

تسوف بالى وقتئذ وكما به يروى جدا انه يساعدين
في معرفة نتائج شيخ عظيم كهذا الذي سمعت عنه عادات
المال برة الشغل والكل يقتدوه في طرقاته
واضاه بالجمه .

لقد خدعته الخطاي التي سمعتك بنفسى في ١٩٤٢
والرد لك يا عزيزي (الشيخ سليمان سابقا) واثمن
لك مستقبل باها بما انت جدير به وأمدى عظيم
في انه اقرا مذكراتك التي شوقني اليها في القريب
العاجل انه شاء الله .

وختمها ما تقبلوا مني عظيم التحية وفائق الاحترام

المخلص

صالح البرم

مجلس مودة لينا

التقرير المقدم من حضرة الشيخ محمد علي المهدي
ناظر مدرسة النجاح سابقاً

وهو مكتوب بخط يده ومنقول إلى هذا الكتاب بالزنگراف
(انظر ص ١٤٥)

في عام ١٩٤١ كت ادبر مدرسه اوليه
اسر بامدرسه النجم في اول شارع الخليف وكانه
بالمدرسه مدرس يدعى الشيخ محمد خليل وحدث
انه مرض مرضاً خطيراً وارتفع عن الحضور الى
المدرسه فشرعت ابوت عن مدرسه آخر ليحل محله
واخيراً هذاني صديقي الشيخ مرعي الفني الى استاذ
يسمى الشيخ عبد اللطيف سليمان وقد ذه الى
باعتبار انه يكتم بجران وانه من الحاصلين
على الشهاده الاهليه من الازهر وانه ذكناً
علميه عظيمه توقعوت هذا الاستاذ للمدرسه
سمى بالمدرسه فقام بعمله خير قيام الى ان
الشيخ خليل من مرضه وعاد الى وطنه فطلب
منى الشيخ سليمان انه اكمل له بالمدرسه من
غير اخر بمدرسه البنات الخائنه بمحارة
البر وكننت املاكها ايضاً لما كان الشيخ

سليمانه مبروراني الجهة بانه غني ومن عائلته
كبير في القوم وشيخ مبارك ماهر في اظهار
المخبات لم يكن طلبه الاستغفار بغير اجر
الا امره بالديار ومعتولا فعلى ذلك قابلت
طلبه على عجل واستمر بحضر الى مدرج
البنات ما ينظام لمدة ثلاثة شهور تقريبا
الى ان اشار على حاضرين مفتش المعارف
باستيداله بعلمة فلما سمع الشيخ سليمان
هذا الخبر لم يسه الا الاعتذار عنه الاستمرار
في الشغل وانقطع عن الحضور الى المدرج ولكنه
استمر يقابلني كثيرا في الفترات ايام عزمه
على الزواج ورافقتني كذلك الى المنازل التي
كنّا نقيم السهرات فيها والشيخ هو محمود علي
والشيخ حسين رمضان واضرون وكان

يذهب معي أيضا الزيارة ضمن أحمد أفندي
 صبري مع كبار رجال البوليس السري
 بمنزله الكائن بشارع طرلوم وبعد مدة
 طويلة انقطع عن الظهور ولم نعد نراه ونحننا
 انه سافر الى بلده وكانت دهشتنا عظيمة
 جدا لما تأكدنا بعد ذلك بمدة طويلة انه هذا
 الشيخ الذي كان يقيم بيننا بكل عادي جدا
 هو نفس ضمن محمد أفندي شكرى الكرداوى
 الذى كانت الحكومة تبحث عنه بمكافأة
 قدرها ٥٠٠٠ جنيه لمن يقبض عليه
 لمناصبه عادية سياسية وقعت في عام
 ١٩١٩ وعرفنا انه استمر متنكرا باسماء
 واشكال مختلفه مد خمس سنوات الى ان صدر
 الصفو العام سنة ١٩٤٤ عن جميع المحاكم

عليهم سياسيا واني ابست الى حضيرته
 تحياتي واعجابي به واقرا انه لم يكن
 بالامكان مطلقا ان يكتشف احد منا
 حقيقته في مدة اختفائه لانه لم يكن
 يصدر منه اية حرك او كلمة او شئ
 عنه الا انما يمكن ان يستخ الان
 منها شيئا ولم يكن يضر عليه انه
 يشتغل بالسياسة او مهتم بها

محمد علي المير علي

محمد علي الردي

صاحب مدر
 التجار سابقا

التقرير المقدم من حضرة الشيخ سيد ابراهيم احمد

الموظف بمصلحة التنظيم بمصر

وهو مكتوب بخط يده ومنقول إلى هذا الكتاب بالزكغراف

(انظر ص ١٥٤)

في عام ١٩٤٠ كنت مقيم في مصر في منزلي
التي لا زلت فيها إلى الآن وحدثتني سلفتي بمارة
جوشي الحداد بيم حلفت في الحلفاء وكنت رئيس محلي
والسنة عامه ولا أخطئه يا فلان بماره فالعزلي
بان جوارك ابن عمي للطيف سيماء حل ولي
الدوبير وكنت وصالي ويشغل بعلم الغيب
ويذهب اليه الناس ولا يأتونهم فغور ال
الغيبيل منه الذي يوفى وذل من مدحهم
صاحب المنزل المحي ارحم افندك الملبى
فتمت ان احرف هذا اليك الرطيم وبعده
فلم صرنا اهلى مع جوارك لا يجتمع معه
منزل ال بالليل وحج بلمه بلغت نظرا
في شئ لا نسا فتشقه اليد واز يشغل نظرا
يا حضار الجن عجزا ان لي بيت مطلق
وحيث لا وكنت احف له فقه السور كل شئ
ولا نت زوجتي فتشقه فيه ياد ولي له وبار

ايتقل المحيط على المحيط راحة بوجد في الحارة رجل
 اكمه ايجل فاسح كان يستند منه بالبريخ عظم
 لا يماند شيخ اخذ وركب نعام فحطيت رزق
 ام عظم الى زوجه بواسطه والضا اماره
 عررها به غايه جدا كانت سرقه منه احد
 اثمار الكرم الى صاحبها وكانت الحارة للوا
 تقبل يديه وتطلب منه الدعاء ولما انتقل هان
 حوش الحداديه الى حارة شوان ملك كان القلي
 نكهم في الحارة في اسف شديده اشتغاله بعيدا
 عنهم ولم يلاحظ عليه الا كثرة الصلاه والصلوات
 والافضار في حاله وولكن كان كل ما يقرب
 مصير في شايها وعيد ذلك طلف بيني وبين
 اننا سافه الحدوث لكونه علم بعد ذلك
 ما زاجري له الى يدوان هولاء عند ما حفت
 لي بملوان ولطف استقل هناك في ١٩٤٤
 فلما رايته لم اعرفه وعيد الكلام من منه ورايته

بیات غنی و حیدر بنده رسمیه و پیر یو اخذها و بیکه
 امرا رفعت و بعد از آن قرآن مجید از قفسه
 قفسه در حاشیای کتب وید و بیکه بیکه بیکه
 بدل از پیشانی به کشید و در آن شئی زهد
 بظهر قلبه ایوان طلفا خوانند که نام مع لیس و نور
 و صد رکن مدد بیدار بکار مدد بکار قفسه الحلیه
 که بعد از آن ایوان اول اله و اخذها و
 بنده مدد و اندر

لا نه

بیان حیدر
 ۱۹۷۱ میلادی طرف بمصلح التظیم
 عیسی

[التقارير بحروف المطبعة]

« وهنا نعيد كتابة ماجاء في التقارير »

« بحروف المطبعة ليتسنى لحضرات »

« القراء قراءتها بوضوح تام . »

التقرير المقدم من حضرة محمد افندى أمين منصور

أطلعنى حضرة محمد افندى شكرى الكرداوى على مذكراته . بخصوص موقفه أيام إعلان الحماية البريطانية على مصر فى ديسمبر سنة ١٩١٤ . وأقرر أننى كنت فى هذا التاريخ متخرجاً حديثاً من مدرسة الفنون والصنائع الخديوية ببولاق . وأشتغل بها بصفة مساعد مدرس لتمضية السنة التمرينية . وأقيم مع بعض إخوانى من أهالى المنصورة فى منزل واحد فشاهدنا شكرى افندى الكرداوى بالقاهرة فجأة وذلك قبيل تتويج المرحوم السلطان حسين كامل . ولم نكن نعلم من أمر حضوره شيئاً كما لم يطلعنى هو على شىء من مقاصده . ولكن حضر بعد أيام قليلة أخوه احمد افندى حسن الكرداوى التاجر بالمنصورة وبعض أقاربه . وأخذوا يبحثون عنه ويسألوننا عن محل وجوده فى حالة ذعر واضطراب وعلمنا من أخيه المذكور أنه بلغه سرّاً بأن شكرى افندى أخيه ما حضر للقاهرة إلا بقصد ضرب السلطان حسين كامل بالرصاص احتجاجاً على قبوله رفع الحماية البريطانية على مصر وليشير الشعور العام وبنه الأذهان ضد عمل بريطانيا وذلك فى حفلة تتويجه . فأخذنا فى البحث عنه فى جميع أنحاء القاهرة طوال ليلالى التتويج . وفى الصباح أى يوم حفلة التتويج بالذات رتبنا أنفسنا وتوزعنا على منافذ ميدان عابدين لمراقبة

حضوره بدافع تأثرنا من اهتمام أخيه وأقاربه بمنعه من إتيان هذا الحادث ولم يره أحد منا حتى تمت حفلة التتويج .

وعلمنا في مساء اليوم بأن أخاه وأقاربه قابلوه وأخذوا يشددون عليه في العودة معهم إلى المنصورة ليفوتوا عليه قصده وشددوا عليه كثيراً وصمموا على ذلك تصميماً أكيدا مهما كلفهم الأمر ولو بتبليغ البوليس عليه وتم الأمر بعودته معهم إلى المنصورة في اليوم المذكور .

وبعد أشهر قليلة لم نشعر إلا ورأيناه بالقاهرة مرة أخرى ولم نعلم من أمره شيئاً في هذه المرة أيضاً . ولكن بعد عدة أيام سمعنا بأن محمد خليل افندى ابن عمته صوب نحو المرحوم السلطان حسين كامل مسدسه في باقة من الورد وأطلق عليه رصاصة أصابت العربة بالقرب من رأس السلطان حسين كامل بجوار ميدان عابدين في ابريل سنة ١٩١٥ وقد قبض على شكري افندى بالقاهرة وعلى بعض أقاربه وأخيه بالمنصورة ثم أفرج عنه وعاد إليها . وهذا ما أذكره بالدقة عن هذا الموضوع حيث لا يزال ماثلاً بذا كرتى كما هو دون أن أنسى منه شيئاً ؟

محمد أمين منصور

ناظر ملجأ جلالة الملك

فؤاد الاول بالمنيا

٢٨ يناير سنة ١٩٣٥

التقرير المقدم من حضرة عبد اللطيف افندى سيد احمد

اطلعت على ما جاء في مذكرات حضرة الاخ محمد افندى شكري الكرداوى وعلى الاخص الجزء المدون به حادثة الاعتداء على السلطان حسين كامل فوجدته يقول :

(ومن عجيب الظروف أنى وفقت فجأة إلى الحصول على مسدسات من طراز بروننج كان أحد الألمان ويدعى موريس جولدنبرج وهو كومسيونجى

حدايد المانيه باعها قبيل الحرب إلى حضرة صديقي المفضل عبداللطيف افندى
لطفى سيد احمد تاجر الحدايد بمدينة المنصورة فلما علم عبد اللطيف افندى
منى بالغرض من البحث عن مسدسات تبرع لى بها ورفض أن يتناول لها
ثمنها ما)

وإني أقرر أن هذا هو ما حصل ولم يكشفنى به الأخ شكرى افندى إلا
بعد أن تبادلنا الحديث مرارا ضد الحماية البريطانية منذ أن رفعت على مصر
ووجد بيننا تواردا فى الخواطر والشعور فى صدد هذه الفكرة ؟

عبداللطيف لطفى سيد احمد
تاجر حدايد بالمنصورة

الخطاب المقدم من حضرة مسام الدين افندى محمد

المنيا فى ٢ / ١٢ / ١٩٣٢

عزيزى الأخ محمد افندى شكرى الكرداوى

الموظف بوزارة المعارف

بعد التحية ، سمعت من حضرتمكم وأنتم تقصون حكاية اخفائكم خمس
سنوات عن أعين البوليس على مسامع حضرات محمد افندى عثمان وعبد الحميد
افندى كامل وعبد العزيز افندى عمر وعبدالوهاب افندى يس ومحمود افندى
عبدالرازق من موظفى مجلس مديرية المنيا وكان من بينها الجزء الخاص
باشغالكم بالسحر والعرافة لكثيرين من الناس وكان من بين ذلك حكاية
العشور على ساعة ذهبية سرقت من شخص يدعى حسين افندى محمد جميل
تاجر بناحية القلعة بمصر بناء على إرشاداتك وتفكيرك الخاص فأدهشنى
جدا أننى كثيرا ما عاشرتكم وسرت معكم فى الطريق طويلا وتزاورنا فى المنازل
مرارا ومع ذلك لم أكن أعلم بل لم يكن يطرأ على خاطرى أنك الشيخ الذى

كنت قد سمعت بخصوصه حكاية هذه الساعة من نفس الشخص المسروقة منه وكنت حيران من تأويل هذه الأمور وكيف يتيسر لشخص أن يظهر المخبات وكنت على شوق عظيم للتعرف بهذا الشيخ وبمناسبة ذلك أتشفرب بارسال هذا الخطاب اليك أقرر فيه ماسبق أن سمعته في سنة ١٩٢٣ بخصوص هذه المسألة مع إعجابي الشديد بك وبكفاءة تلك الممتازة وها أنا أدون فيه ماسبق ذكرته أمس أمام الاخوان المذكورين أعلاه عقب سماعى حوادثك وأنت تقصها علينا وتتلخص فيما يأتى :

توفى والدى المرحوم السيد محمد أسعد الحسيني في نوفمبر سنة ١٩٢٣ وفي أثناء المأتم الذى كان مقاماً بشارع الباب الجديد بالقلعة حضر معززون كثيرون كان من بينهم على ما أوكد شخص يسمى حسين افندى محمد جميل تاجر أدوات كهربائية بشارع شيخون بالقرب من القلعة ثم حدث فى غضون الأحاديث مع آخرين فى المأتم أن جاءت ذكرى المشتغلين بالأعمال الروحانية وما يظهرونه من العجائب فكان منا المصدق ومنا المكذب فأنبرى من وسط هذا الجمع حضرة حسين افندى جميل المذكور وأكده أنه من بين هؤلاء الأشخاص من هو فى منتهى المهارة والصدق ودليله على ذلك أنه لا يزال يذكر شيخنا على جانب عظيم من الكفاءة فى إظهار مخبات الحوادث ثم سرد علينا حكايته الآتية قال إنه فى غضون سنة ١٩٢٠ تفقد ذات يوم ساعته الذهبية الكرونومتر التى يبلغ ثمنها أربعين جنهما فى الجيب الداخلى لمعطفه أثناء خروجه من محل حلاق فلم يعثر عليها وكان وقع هذا الحادث ألماً جداً فى نفسه فاستمر يبكى حتى اجتمع خلق كثيرون حوله وكان من بينهم امرأه أرشدته إلى شيخ يقطن بجمارة حوش الحدادين بجهة القلعة إسمه الشيخ سليمان فقام فوراً وذهب إليه وأعطاه أثره ولم يمض يومان حتى استدعاه الشيخ المذكور وأكده أن السارق للساعة هو العامل الموجود بنفس محله وعلى ذلك عاد وأخفى ما أخبره الشيخ به على العامل وإنما عرفه بأن شهوداً رأوه وهو يعطيها لشخص آخر

فانكر في أول الأمر ثم عاد وطلب منه خمسين قرشا فقط ليرجعها إليه حيث ذكر أنه أخذ مثل هذا المبلغ عربونا لثمنها من أحد الأشخاص الذي اتفق معه على شرائها منه بمبلغ خمسة جنيهات وعلى ذلك أعطاه حسين افندي المبلغ المذكور ثم ذهب العامل وبعد قليل عاد إليه ومعه الساعة وهنا يقول حسين افندي أنه يتأسف لعدم إرساله شخصا آخر في الخفاء وراء هذا العامل ليتبين مقر الشخص الذي أودعت عنده الساعة فأحدثت هذه الحكاية شوقا عظيما عند جميع السامعين وقتئذ حتى سأله بعضنا عن محل إقامة هذا الشيخ لزيارته فأخبره أنه متأكد من أنه نقل إلى جهة أخرى ولا يعرف أحد مقره الآن فتأسف الجميع لذلك وأظهروا إعجابهم من هذه الحكاية وكما كنت أنا متشوقا معهم لمعرفة هذا الشيخ لأمر خاصة كانت تشغل بالي وقتئذ وكان يهمني جدا أن يساعدني في معرفة نتائجها شيخ عظيم كهذا الذي سمعت عنه ما دامت المسألة بهذا الشكل والكل يعتقدون في مهارته واتصاله بالجن .

هذه خلاصة الحكاية التي سمعتها بنفسى في سنة ١٩٢٣ وأكرر لك يا عزيزى (الشيخ سليمان سابقا) تحياتى وأتمنى لك مستقبلا باهرا بما أنت جدير به وأملى عظيم فى أن أقرأ مذكراتك التى شوقتنى إليها فى القريب العاجل إن شاء الله .

وختاماً تقبلوا منى عظيم التحية وفائق الاحترام ؟

المخلص

حسام الدين

بمجلس مديرية المنيا

التقرير المقدم من حضرة الشيخ محمد علي المهدي

في عام ١٩٢١ كنت أدير مدرسة أولية اسمها مدرسة النجاح في أول شارع الخليفة وكان بالمدرسة مدرس يدعى الشيخ محمد خليل وحدث أنه مرض مرضاً خطيراً وانقطع عن الحضور إلى المدرسة فشرعت أبحث عن مدرس آخر ليحل محله وأخيراً هداني صديق الشيخ محمد عبد الغني إلى أستاذ يسمى الشيخ عبد اللطيف سليمان وقدمه إلى باعتبار أنه يسكن بجواره وأنه من الحاصلين على الشهادة الأهلية من الازهر وأنه ذو كفاءة عليية عظيمة فدعوت هذا الأستاذ للتدريس معي بالمدرسة فقام بعمله خير قيام إلى أن شفى الشيخ خليل من مرضه وعاد إلى وظيفته فطلب مني الشيخ سليمان أن أسمح له بالتدريس من غير أجر بمدرسة البنات الكائنة بحارة البئر وكنت أمتلكها أيضاً ولما كان الشيخ سليمان مشهوراً في الجهة بأنه غني ومن عائلة كبيرة في الفيوم وشيخ مبارك ماهر في إظهار المحبات لم يكن طلبه الاشتغال بغير أجر إلا أمراً عادياً ومعقولاً فعلي ذلك قبلت طلبه على عجل واستمر يحضر إلى مدرسة البنات بانتظام لمدة ثلاثة شهور تقريباً إلى أن أشار عليّ حضرة مفتش المعارف باستبداله بمعلمة فلما سمع الشيخ سليمان هذا الخبر لم يسعه إلا الاعتذار عن الاستمرار في الشغل وانقطع عن الحضور إلى المدرسة ولكنه استمر يقابلني كثيراً في القهوات أيام عزمه على الزواج ويرافقني كذلك إلى المنازل التي كنا نقيم السهرات فيها أنا والشيخ محمود غالي والشيخ حسين رمضان وآخرون وكان يذهب معي أيضاً لزيارة حضرة احمد افندي صبرى من كبار رجال البوليس السرى بمنزله الكائن بشارع طولون وبعد مدة طويلة انقطع عن الظهور ولم نعد نراه وظننا أنه سافر إلى بلده وكانت دهشتنا عظيمة جداً لما تأكدنا بعد ذلك بمدة طويلة أن هذا الشيخ الذي كان يقيم بيننا بشكل عادى جداً هو نفسه حضرة محمد افندي شكرى الكرداوى الذي كانت الحكومة تبحث عنه بمكافأة قدرها ٥٠٠ جنيه لمن يقبض عليه لمناسبة حادثة سياسية وقعت في عام ١٩١٩ وعرفنا أنه استمر متمكراً

بأسماء وأشكال مختلفة مدة خمس سنوات إلى أن صدر العفو العام سنة ١٩٢٤
عن جميع المحكوم عليهم سياسياً وإني أبعث إلى حضرة تيجاني وإعجابي به
وأقرر أنه لم يكن بالامكان مطلقاً أن يكتشف أحد منا حقيقة في مدة
اختفائه لأنه لم يكن يصدر منه أية حركة أو كلمة أو إشاعة يمكن أن
يستنتج الإنسان منها شيئاً ولم يكن يظهر عليه أنه يشتغل بالسياسة أو مهتماً بها
محمد علي المهدي

صاحب مدرسة النجاح سابقاً

التقرير المقدم من حضرة الشيخ سيد ابراهيم احمد

في عام ١٩٢٠ كنت موظف بمصلحة التنظيم بمصر التي لا زلت فيها إلى
الآن وحدث أني سكنت بحارة حوش الحدادين خلف قسم الخليفة وكنت
ريس عمال وألبس عمامة ولما اختلطت باهل الحارة قالوا لي بان جارك الشيخ
عبد اللطيف سليمان رجل ولي ويشغل بعلم الغيب ويذهب اليه الناس ولا يأخذ
نقود إلا القليل من الذي يدفع ولذلك مدحه لي صاحب المنزل المسمى ابراهيم
افندي المليجي فتمنيت أن أعرف هذا الشيخ العظيم وبعد مدة قليلة صرت
أصلي معه وكان لا يخرج من منزله إلا بالليل ولم يكن يلفت نظرنا في شيء
لأننا كنا نعتقد فيه البركة وأنه يشتغل نهاراً باحضار الجن وأخيراً كان لي
بنت وزوجتها له وكنت أ حضر له من السوق كل شيء وكانت زوجتي تعتقد فيه
أنه ولي الله وبأنه ينقل الحيط على الحيط وكان يوجد في الحارة رجل اسمه
اسماعيل قاسم كان يعتقد فيه بانه شيخ عظيم لا يماثله شيخ آخر وذلك لسماعه
بحكايت رد زينب أم عطية إلى زوجها بواسطته وأيضاً إعادته ساعة ذهبية
غالية جداً كانت قد سرقت من أحد تجار الكهرباء إلى صاحبها وكانت الحارة
كلها تقبل يديه وتطلب منه الدعاء ولما انتقل من حارة حوش الحدادين إلى

حارة وشوان بك كان الناس كلهم في الحارة في أسف شديد من انتقاله بعيداً عنهم ولم نلاحظ عليه إلا كثرة الصلاة والصلاح والاقتصار في حاله ولذلك كان كل ما يقوله مصدق منا جميعاً وبعد ذلك طلق بنتي وكنت أنا متأسف جداً لحدوث ذلك ولا أعلم بعد ذلك ماذا جرى له إلا بعد سنوات طويلة عند ما حضر لي بجحوان وكنت أشتغل هناك في سنة ١٩٢٤ فلما رأيته لم أعرفه وبعد الكلام عرفته ورأيت أنه يسأل عن بنته رسمياً ويريد أخذها ولكن أمها رفضت وبعد ذلك قرأت في الجرائد قصته فكانت دهشتي كبيرة جداً ولم يكن يخطر لي على بال أنه يشتغل بالسياسة ولا كان شيء كهذا يظهر عليه أبداً مطلقاً مع أننا كنّا معه ليلاً ونهاراً وصار كل من يسمع بالحكاية من سكان قسم الخليفة لا يصدقها أبداً في أول الامر وأخيراً أخذ بنته من والدتها

كاتبه

سيد ابراهيم احمد

مارس سنة ١٩٢٨

ملاحظ طرق بمصلحة التنظيم بمصر

التقرير المقدم من حضرة الشيخ محمد توفيق رضوان

في سنة ١٩٢٣ دخلت إحدى العيادات الطبية فرأيت شخصاً يشتغل فيها كموظف عاد تلوح عليه علامات الادب يلاطف المرضى ويعطف على الفقراء منهم ويعتني بشأنهم فسألته عن اسمه فأجابني بأنه عبده منصور سالم وأنه حضر باسيوط لأن جوها يناسب حالته الصحية وأنه من سكان القاهرة ويقيم هنا إلى أن يتم له الشفاء وبعد ذلك بسنوات قابلته فعلمت أنه محمد افندي شكري الكرداوى وأنه المتهم في حادث المرحوم محمد باشا سعيد وأخبرني بعض إخوانه بأن وجوده باسيوط كان للاختفاء عن أعين الرقباء والبوليس وأعجبت بكتمان أمره عن كل عارفه مع رباطة الجأش والثبات ومن هذا العهد ونحن نحفظ له الوداد الجميل لما كان متحلياً به من الكمال ومكارم الأخلاق؟

محمد توفيق رضوان

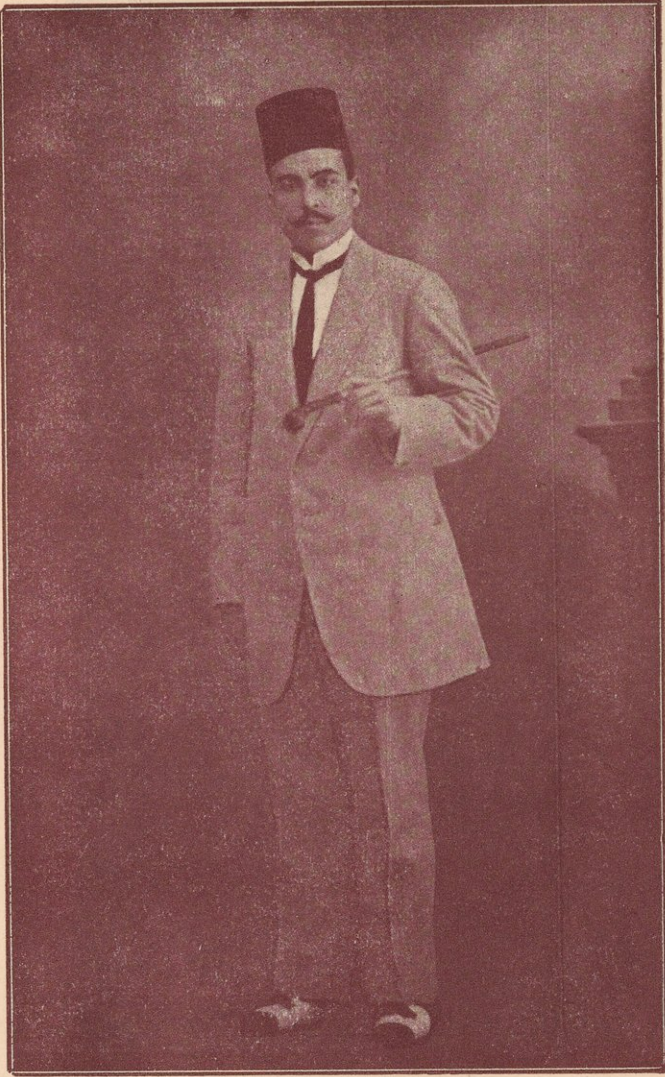
تحريراً في ٣٠ مارس سنة ١٩٣٤



صورة صاحب المذكرات وهو طالب بالسنة الثالثة على
بالمدرسة العباسية الثانوية بالاسكندرية
صورت في أول المحرم عام ١٣٣٠ هـ . الموافق ٢٢ ديسمبر عام ١٩١١ م



صورة صاحب المذكرات وهو طالب بكلية الطب بالآستانة
صورت في أول المحرم عام ١٣٣٢ هـ . الموافق ٢٩ نوفمبر عام ١٩١٣ م .



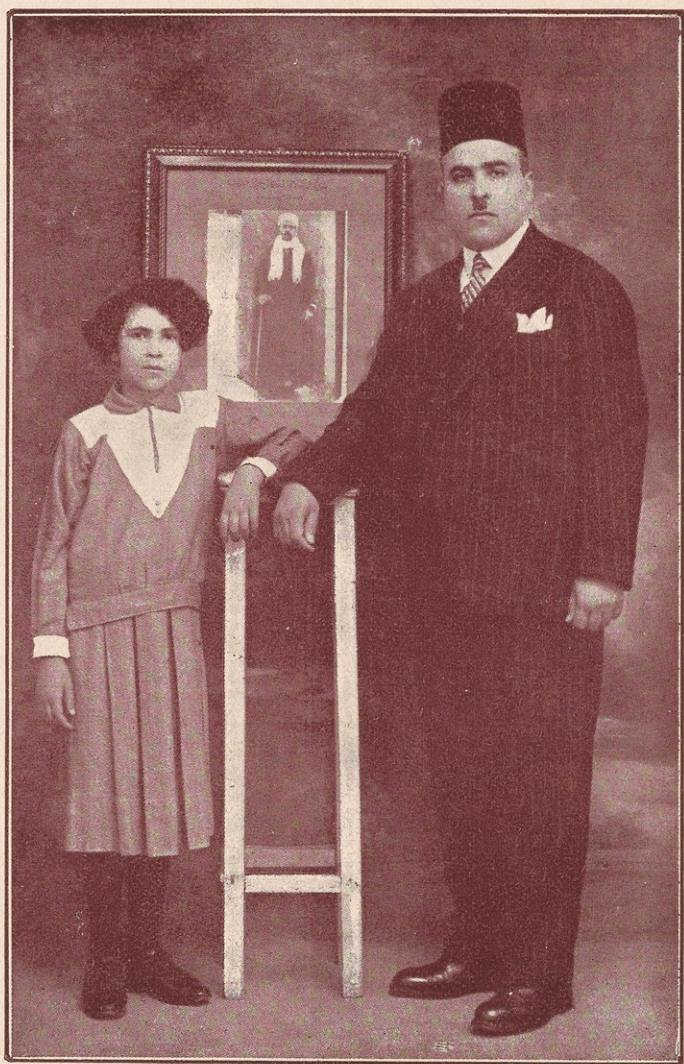
صورة صاحب المذكرات
صورت في أول المحرم عام ١٣٣٣ هـ .
الموافق ١٩ نوفمبر عام ١٩١٤ م .



صورة صاحب المذكرات
صورت في أول المحرم عام ١٣٤٥ - الموافق ١١ يوليو عام ١٩٢٦



صورة صاحب المذكرات
صورت في أول المحرم عام ١٣٤٧ هـ .
الموافق ١٩ يونيو عام ١٩٢٨ م -



صورة رسمية الكرداوى مع والدها
صورت في ٣ مايو عام ١٩٣٤
احتفاءً ببلوغها اثني عشر عاماً من العمر
وقد وضعت صورة الشيخ سليمان بينهما

DATE DUE

A.U.B. LIBRA

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00305644

